صور وأوضاع

الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

جمع وترتيب

محمد وثيق الندوي

الناشر

Dar Al Rasheed دار الرشيد

164/106 Khatoon Manzil, Haidar Mirza Road
Golaganj, Lucknow. Mo: 9452294097-9838154415
e-mail:daralrasheed17@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

اسم الكتاب: صور وأوضاع

مؤلف الكتاب: الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

جمع وترتيب: محمد وثيق الندوي

الصفحات: ٣٣٦

النسخ: ١١٠٠

ثمن النسخة: ٢٦٠ روبية هندية

يطلب من:

(١) المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ.

(٢) المكتبة الندوية، ندوة العلماء لكناؤ

(٣) مكتبة إحسان، مكارم نغر لكناؤ

(٤) مكتبة الشباب الجديدة، مكارم نغر لكناؤ

الناشر

دار الرشيد
Dar Al Rasheed

164/106 Khatoon Manzil, Haidar Mirza Road
Golaganj, Lucknow. Mo: 9452294097-9838154415
e-mail:daralrasheed17@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

لقد صدرت مجلة "البعث الإسلامي" في المتوسط من القرن الماضي الميلادي، وذلك في الوقت الذي كانت الأوضاع في العالم الإسلامي حرجة للغاية، والأحوال السياسية في تغييرات ثورية، ووقعت منازعات فكرية في جماهير الدول العربية والإسلامية، وظهر تأثيرها على الأوضاع الراهنة، وكان الإعلام في ذلك الوقت قد تطور إلى صورة عالمية، فكانت الأخبار الصادرة منه تزيد بلبلة في الأفكار والأذهان، وبسبب عدم الاتصال الإعلامي بين شبه القارة الهندية والبلاد العربية كان المسلمون في الهند لا يعرفون أحوال البلاد العربية رغم حاجة شديدة إلى ذلك وضرورة التضامن الديني بين الهند والبلاد العربية، فنشأت رغبة إلى إنشاء مجلة عربية تكون كهمزة وصل بين طلاب العربية في الهند ومثيلهم في البلدان العربية والإسلامية، وأن يكون ذلك على أساس هذا الاتصال الإعلامي.

وهذه الفكرة هي التي حملها الكاتب الإسلامي الشيخ محمد الحسني رحمه الله تعالى وبعض رفاقه مثل الأستاذ الشيخ سعيد الأعظمي الندوي والأستاذ محمد إجتباء الندوي وبعض زملائهما،

ونشط محمد الحسني، وحمل هذه الفكرة، وقام عملياً لتنفيذها بجهوده الفردية، وتحت إشراف والده المغفور له الدكتور عبد العلي الحسني رئيس ندوة العلماء، وبدأ العمل به بأسلوب حسن، وكان هذا العمل بصورة خاصة في الهند جديداً إلى حد كبير، ونالت المجلة تأييداً وقبولاً في الأوساط العلمية في الهند.

ولما توفي الشيخ محمد الحسني حملت مسئوليتها ندوة العلماء لتربية طلاب دار علومها، وذلك بإشراف الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي، ولا يزال هذا الإشراف قائماً، وتحمل المجلة كلمة الرئاسة للأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي.

كان الشيخ محمد الحسني قد تلقى هذا الفكر الإسلامي النبيل من عمه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى- الذي كان يهتم بهذا الفكر ببذل العمل له، وتتحرق له نفسه، وبرع في الكتابة والخطابة، وكانت مهارته في اللغة العربية لا تقل عن لغة أخرى حتى عن لغة وطن مولده الهند، واكتسب الشيخ محمد الحسني براعته من اتصاله به ووقوفه على فكرته، ولذلك قام بهذا العمل الصعب رغم قلة وسائله، ولكنه نجح في سعيه وأصدر هذه المجلة، وكانت له مرافقة مع أخ له من عمته وهو أخي الحبيب الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي الذي كان قد سار على نفس الطريق، وكان بينهما تبادل الآراء، ولذلك لما توفي الشيخ محمد الحسني اتبعه الشيخ واضح رشيد الحسني الندوي وبدأ يكتب عن جهود المستشرقين ومفكري الغرب الحاقدين على الإسلام.

وكان الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي بسبب اطلاعه على الإعلام الغربي والمخططات والجهود الفكرية التي

كانت تعمل لإضعاف فكرة الإسلام، قد أصبحت له معرفة تلك الظروف والأحوال في المناطق المصابة بها، فاختار عنوان "صور وأوضاع" في مجلة البعث الإسلامي، فكان يعرض فيه ما اطلع عليه من الفكر المعاصر للإسلام، كما يعرض الفكر الإسلامي السليم، ويكتب حول الظروف الراهنة في العالم العربي، والأفكار الغربية المواجهة للفكر الإسلامي السديد، ونال هذا العمود قبولاً كبيراً لدى قراء المجلة حتى اجتمعت كمية كبيرة أثناء سنوات عديدة.

فأراد بعض المطلعين على أهمية هذه الآراء التي تضمنتها هذه الكلمات أن تطبع هذه الصور والآراء الفكرية في كتاب مستقل، فقام بهذا العمل الأخ العزيز الفاضل محمد وثيق الندوي الذي صحبه واستفاد من علمه وفكره وتجربته وهو ينهج منهجه في العلم والفكر والكتابة، رجاءً أن تكون هذه الآراء مفيدة، ووسيلة معرفة لشبابنا المعاصر للمناحي الفكرية الوافدة من عقلاء الغرب ومفكريه، وقام بهذا العمل العظيم بتوجيه الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي وهو ابن أخي الحبيب محمد واضح رشيد الحسني الندوي. فأدعو الله تعالى أن يكون هذا الكتاب مقبولاً عند الله تعالى، ومفيداً للطالبين والمعنيين بالفكر والعمل الإسلامي، وبالله التكلان، وله الحمد أولاً وآخراً، وصلى الله علي سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

٣/جمادى الآخرة/١٤٤٠هـ

٩/٢/ ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: فضيلة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن صديقنا الصالح الكريم الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي الذي توفي صباح يوم الأربعاء التاسع من شهر جمادى الأخرى ١٤٤٠هـ المصادف ١٦/ من شهر يناير ٢٠١٩ الميلادي، لم يكن من الشخصيات التي يعرفها الناس بأعماله العملاقة وإنجازاته الفذة فحسب، إنما كان يعيش في عزلة عن كل شهرة أو عن جميع تلك الصفات التي تعلو بالرجل إلى مكانة عالية من الصيت الحسن، ويذكره الناس بألقاب عالية وأوصاف بارزة، إنما عاش كرجل خاشع متواضع وكداعية مخلص، وكعالم كبير وأديب ألمعي يحب الاستمرارية في أعماله قابعاً في ركن من غرفة المكتب أو مقر النوم.

سعدتُ بالمعايشة معه أكثر من ستة وأربعين عاماً في العمل الدراسي التربوي في جامعة ندوة العلماء وفي مجال الصحافة العربية فيها، ولكن ما واجهت منه شيئاً من مخالفة في أي رأي أو اقتراح، ولا في خطة متبعة أو عمل روتيني، فكرتُه المتعمقة تتجلى بكل

وضوح في إنجازاته التأليفية وفيما كان يكتب من "الصور والأوضاع" التي كانت تصور الاتجاهات السائدة أو المتجددة في مجال العلم والصناعات السياسية والاقتصادية ،أو في مجال التاريخ الإسلامي ومحدثات الأفكار التي تكون من نتاج الدول الكبرى المادية ، أو من الثقافات الصناعية المرتجلة ، فكان الكاتب العظيم الموفق من الله تعالى يكشف عن تلك النوايا السيئة التي كانت تختفي وراء الستار من فلسفتهم الحضارية التي كانت تستهدف تاريخ الإسلام والمسلمين ، وتشوه وجوه الصنائع الطبيعية والحضارية التي فطر عليها الإنسان من أول وجوده على هذه الأرض.

عرفتُه منذ أيام دراستي في جامعة ندوة العلماء يوم كنت في مرحلة التخصص في الأدب العربي في عام ١٩٥٢م للقرن المنصرم الميلادي ، ولكنه لما عاد إلى الجامعة الندوية كأستاذ للآداب العربية وتاريخها في عام ١٩٧٣م وحصلت لي معه زمالة في الدراسات العربية وفي مجال الصحافة العربية ، وتسنَّت له الكتابة باللغة العربية الحديثة الفصيحة حول قضايا العالم بألوانها والسياسات الانتهازية التي تتلاعب بها الدول الكبرى والشعوب العالمية بكاملها ، وتتنافس في الصناعات والتقنيات ، ففضح خفاياها بكتاباته العملاقة وقلمه البليغ ، وكشف عن النوايا الإجرامية التي كانت تعيشها مع دول العالم الثالث ، ذاك أنه كان يدرس الأحوال السياسية والاقتصادية التي كانت تتجدد مع الأغراض الشخصية والظروف المتجددة من خلال الغايات المادية الاستعمارية التي كانت تنصبُّ على فصل الدين عن السياسة ، أو بتعبير آخر إقامة الحواجز بين الشرق والغرب ، واعتبار أنفسهم أساتذة الشعوب

الشرقية المتخلفة التي لا تكاد تخرج من أوكارها الضيقة ومن تخلفها الصناعي والاقتصادي من غير خضوعه أمام الغرب المادي، كالمتسولين الفقراء والعبيد الأذلاء.

انظروا كيف يشير إلى هذه النقطة السرّية:

" كانت فترة قرن كامل لاتصال الغرب بالشرق، وهي الفترة التي أتيحت فيها للعلماء والمفكرين والساسة في الغرب فرصة للاختلاط، ومتابعة واقع الحياة ودراسة التراث العلمي، والثروة الفكرية للمسلمين، تكفي لإزالة الأباطيل والشبهات التي كانت قد نفثتها أقلام المستشرقين والمبشرين الذين صنعوا التاريخ وزوّروه لخدمة المصالح الاستعمارية في بداية القرن العشرين، ولكن الذي يتابع الحركة العلمية فيما يتصل بالشرق الإسلامي، وبالمواضيع الإسلامية يصل إلى نتيجة حتمية وحيدة وهي أن الغرب لا يزال يعيش في أفكار اختلقها المبشرون الصليبيون والمستشرقون الحاقدون قبل اتصالهم بالشرق، وأن الكتاب المعاصرين يسيرون على نفس الخط التبشيري الاستعماري الحاقد بالنسبة للإسلام والمسلمين.

يرجع ذلك إلى فكرة تكونت في ظروف فرضها الاستعمار الغربي على الشرق، فقد كان قادة الفكر في الغرب يعتقدون أن استيلاءهم على الشرق لا يدوم إذا لم تصحبه حملة فكرية عامة لاقتلاع ارتباط الجيل المعاصر والأجيال القادمة بماضيها الذي تعتبره الماضي المجيد، وتحاول استرداد شرفه التليد، ولتتلاءم طبيعتها بطبيعة الحياة التي فرضها عليها الاستعمار، لا بد من قطع الصلة القائمة بتاريخها وبأمجادها وتجريدها عن خصائصها القومية والخلقية وصهرها في بوتقة جديدة ". (البعث الإسلامي، العدد/ ٢٤ لعام ١٩٨٠م).

ويتألم عن افتراق المسلمين في تمثيل الإسلام وتعاليمه وانحياز كل جماعة أو منظمة إلى جانب متعيّن خاص بها دون التركيز على اتحاد الغاية وضم الصوت إلى الصوت، الأمر الذي أضر بالدعوة الإسلامية وفرّق الأمة بين جماعات وفرق شتى، حتى استخف وزن الوسطية التي يدعو إليها الإسلام، وفقدت الكلمة قيمتها في عيون الناس، وساء ظنهم بمن يقومون بالعمل الدعوي أو بتمثيل الدين الذي أكمله الله سبحانه، وصرح بذلك مدوياً مجلجلاً (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْأَسْلَامَ دِيناً).

يقول في مناسبة ؛ ولكنه يتألم بهذا التفرق والشتات بين العلماء والدعاة، ويعتبر ذلك مشكلة المسلمين في العالم المعاصر، يقول:

" ليست مشكلة المسلمين اليوم أن الإسلام غير ممثَّل في حياتهم، ولا توجد نماذج للتعاليم الإسلامية، وإنما المشكلة هي أن هناك نماذج، وهناك جهوداً لتمثيل جوانب مختلفة من التعاليم الإسلامية، لكنها متفرقة، وإذا وجدت فهي غير متناسبة، فيوجد الدعاة إلى عقيدة صافية، ومتمسكون بها، وتوجد عناية بالعبادات والأخلاق، وعناية بالدعوة إلى الإسلام، وتوجد أفراد وجماعات تقوم بالتضحية والفداء في سبيل الإسلام، وكل جانب من جوانب الحياة الإسلامية ممثَّلٌ في الحياة المعاصرة، ولكن هذه الجهود مفرقة وملتزمة بجوانبها الخاصة التزاماً يمنعها من العناية بجوانب أخرى للعمل، وقد يقتنع فريق بعمله والتزامه بجانبه بطريق لا يجد وقتاً ولا داعياً إلى التعرُّف على النشاط الإسلامي في الجانب الآخر والإسهام فيه، فإذا كان هذا الفريق مثلاً مهتمّاً بالتعليم فلا يهمه أن وقعت ردّة في منطقة مجاورة له، أو في أي جزء من أقطار العالم،

وإن كان مهتماً بالدعوة فلا يهمه إذا انتشر الجهل والفقر في المسلمين فيصبحون عالة على غيرهم وإذا كان مشغولاً بخدمة الناس، والعناية بأعمال الإغاثة، وحل مشاكل اجتماعية واقتصادية فلا تلتفت عنايته إلى جانب إصلاح النفس وتوثيق الصلة مع الله، والتخلّق بالأخلاق الإسلامية، وبأعمال الدعوة، وبالجهاد وردّ الظلم في غير مجتمعه الذي يعيش فيه، فتبقى كثير من المسائل والمشاكل والأمراض الاجتماعية والانفرادية غير معالجة، لأنه ليس هناك من يهتمّ بها.

فإن سبب خيبة الجهود الدعوية والإصلاحية والحركات الإسلامية في هذا العصر هو التقصير في تمثيل الإسلام الكامل، والتفرُّق في العمل ".

ويحسن بنا أن نسجل أخيراً ما كان يراه نحو الصراع بين الدول والشعوب في العالم، وذلك في آخر ما كتبه من مقال نُشر في صحيفة الرائد (التي رأسها إلى آخر حياته) تحدث فيه عن قوة الحكومات التي تدعي بأن سياستها إنما تقوم على أساس الجمهورية ولكنها لا تراعي هذه الدعوى، وتعامل مع شعوبها معاملة الحكومات المستبدة، يقول:

" تحرر الشرق بكامله تقريباً من براثن الاستعمار وتولى أبناؤه الحكم، وتركزت السلطة في أيديهم لرسم سياسة البلاد الداخلية والخارجية، ولكن الاتجاه الفكري في هذه الدول المتحررة وموقف التكلتلات السياسية لا يزال يتمسك بالطبيعة التي كانت تسود قبل الحرية، فلا يوجد الاشتراك في عمل بناء الوطن، والمساهمة الشعبية في الاحتفاظ بسلامة البلاد وتوحيدها وتمكينها من تحقيق الاعتماد

على النفس، لأنها تواجه صراعاً داخلياً بين الأحزاب السياسية، أو نضالاً بين المواطنين المسالمين والسلطة المسلحة للحكومة.

إن هذا الوضع يسود في معظم البلاد النامية، أو البلاد التي تسلمت زمام الأمور حديثاً فيوجد هذا الصراع في الدول العربية والإسلامية أيضاً التي كانت تحت الاستعمار الأجنبي بما فيها الدول ذات الأغلبية الإسلامية في إفريقيا".

فكان عبقرياً في كل ما يقوم به من نشاط علمي أدبي أو دعوي أو تحليل للمخططات السرية، فكان يخطط الطريق المعتدل السوي الذي تتميز به الأمة الوسط، كأنه يفسر مفهوم قول الله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" [البقرة: ١٤٣] وقد ظل يمثل هذه الشهادة في جميع أقواله وأعماله وفي نشاطاته ومسئولياته، وعاش حياة كلها دعوة إلى التفكير في بناء الحياة على أسس قويمة من العلم والإيمان والحكمة، وكلها مثال للطائفة التي تحدث عنها الله سبحانه وأشاد بها فقال "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" [التوبة: ١٢٢].

هذا غيض من فيض ذلك العمل والفكر الإسلامي المعتدل الذي عاشه فقيدنا رحمه الله تعالى، فقد كان يمثل نماذج خير الأمة الوسط، الأمة التي تحدث عنها ربنا العظيم في كتابه الخالد فقال: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ".

كانت الحاجة إلى تعميم هذا العمل والفكر الإسلامي المعتدل المغمور في الكتابات والمقالات التي كان يكتبها في مجلة "البعث

الإسلامي" بعنوان" صور وأوضاع" فقام مساعده العلمي الأخ العزيز محمد وثيق الندوي الذي لازمه وقضى في تربيته مدة طويلة فاستقى من فكره وعلمه ومنهجه، بجمع هذه الكتابات والمقالات وترتيبها وتنسيقها في كتاب مستقل لتعم الفائدة، وأرجو أنه سيقوم بإخراج ما تركه الراحل الكريم من تراث علمي وثقافي وأدبي وفكري، إلى النور بإذن الله تعالى.

رحم الله تعالى أخانا الكريم وتغمده بجوائز الرحمة والمغفرة ويسكنه فسيح جناته ويسد بفضله العميم الفراغ الذي نشأ برحلته إلى دار الآخرة ويلهم الجميع الصبر على المصاب.

(وَمَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سعيد الأعظمي الندوي

١٨/٠٦/١٤٤٠هـ

٢٥/٠٢/٢٠١٩م

من التناقضات الغربية

هل هناك تحول في الموقف إلى الإرهاب؟[١]

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية استخدام تعبير "الإرهاب الإسلامي" إثر انفكاك الاتحاد السوفيتي، والتخلص من خطر الشيوعية التي حاربتها أكثر من سبعين سنة، وحلّ محلَّ هذا الخطر الخطرُ الإسلاميُّ، وأصبح المسلمون عامة والحركات الإسلامية خاصة هدفاً لهذه الحرب التي شنتها أمريكا، وأدى الإعلام العالمي دوره في ترويج هذه الفكرة، وتخويف العالم من الخطر الإسلامي، وتعرضت عدة دول إسلامية للهجوم المسلح، ولا يزال تأثير هذه الحملة والموقف المعاند لكل ما يمت إلى الإسلام والمسلمين بصلة ما مستمراً، ولتجفيف ما يسمى بمنابع الإرهاب، فرضت القيود على التعليم الديني، وادعى هؤلاء الأعداء للإسلام أن القرآن يعلم الإرهاب، ووصفوا القرآن بأنه يثير الفتنة، ولتسليط الضوء على هذه الدعاية، أخرج فيلم الفتنة، وبذلت محاولات للإساءة إلى القرآن الكريم، وقد ارتكب هذه الجريمة بعض الجنود الأمريكيين في أفغانستان، وحاول بعض رجال الكنيسة حرق القرآن الكريم، واعتبر بعض حكام الدول الغربية اللحية والحجاب الإسلامي رمزاً للإرهاب، وفرضت عدة حكومات الحظر على هذه الرموز، حتى الصلاة، والدروس الدينية في المساجد بعد الصلاة اعتبرت خطراً، ففرضت بعض الحكومات القيود عليها.

---

[١] المجلد: ٥٨، العدد: ٧، فبراير ٢٠١٣م.

وواجه لهذه الفكرة المعادية للإسلام، عدد لا يحصى من الشباب المسلم معاناة في مختلف أنحاء العالم بتوجيه تهمة الإرهاب إلى الإسلام، ثم دبرت إجراءات وعمليات لتوريط الشباب المسلمين في أعمال العنف والاستفزاز لدفع المتحمسين للإسلام، إلى الاحتجاج، لإبراز ظاهرة العنف المنسوبة إلى الإسلام.

كان من عادة الإعلام بناءاً على تقارير المخابرات أو إجراءات الشرطة، أن ينسب كل حادث عنف إلى الشباب المسلمين، ثقة بهذه التقارير البوليسية، فكانت تجري على إثرها حملة الاعتقالات.

وفي الوقت نفسه كان الإعلام العالمي يتستر على سائر أعمال العنف التي كانت تجري في العالم ضد المسلمين، أومن قبل الجماعات المتطرفة من غير المسلمين اليمينيين واليساريين، وقد كانت الدول الأوربية والآسيوية والإفريقية مسرحاً لهذه العمليات، فكانت تمر هذه الحوادث بدون لفت النظر إليها، وكثير منها كانت لا تذكر، أو تذكر هامشياً، فظل الإسلام والمسلمون في هذه المدة خطراً موحشاً للعالم، وفي كل لقاء جرى بين القادة والزعماء كان موضوع الإرهاب الإسلامي المزعوم، ووسائل قمعه، موضوعاً على رأس قائمة الموضوعات، وقد حدثت في هذه الفترة حوادث مروعة للعنف من قبل غير المسلمين والحركات اليمينية والمتطرفة من قتل وهجوم على المعابد، ومراكز التعليم، وصدرت كتب ودراسات مطولة ضد الإرهاب الإسلامي المزعوم.

إن حوادث الإرهاب تتكرر في أوربا وأمريكا، وينتمي مرتكبوها إلى أديان وأيديولوجيات فكرية وسياسية مختلفة، وأحدث مثال لذلك ما أفادت وسائل إعلام أمريكية بمقتل ٢٧

شخصا بينهم أطفال في إطلاق نار داخل مدرسة بولاية كونيتيكت الأمريكية في ٢٠١٢/١٢/١٤، وذكرت وكالة اسوشيتدبرس للأنباء أن من بين القتلى ١٨ طفلا وهم تلاميذ في مدرسة ساندي هوك الابتدائية بمدينة نيوتاون، وكانت تقارير سابقة ذكرت أن مسلحا قتل بالإضافة إلى ثلاثة آخرين وتم نقل جثثهم إلى المستشفى، ويعد هذا ثاني أسوأ حادث من نوعه منذ حادث إطلاق النار في جامعة فيرجينيا الأمريكية الذي أسفر عن مقتل ٣٢ شخصا، وذكرت قناة سي بي إس نيوز الأمريكية نقلا عن مسؤولين أن المسلح آدم نزا هو والد أحد التلاميذ، وكان يرتدي زيا عسكرياً أسود، دخل المدرسة وفتح النار على الأطفال ومعلميهم في فصلين، وقد قتل في الحادث، بينما قالت شبكة سي ان ان الأمريكية إن ناظر المدرسة واخصائيا نفسيا من بين القتلى.

وفي السنة الماضية كان قد قتل الشاب النرويجي بريفيك "Breivik" ٧٧ شخصاً.

وكان الشاب النرويجي قد اعترف أمام المحكمة أن عمله الذي أدين به كان في خدمة بلاده، وأفادت التقارير الصحفية بأن هناك رجالاً وحركات متعددة تسعى وتخطط في محاربة المسلمين والتهجم على الإسلام، ويساعد هذا الاتجاه صدورُ كتب في مختلف الجهات ضد الإسلام والمسلمين، والدعاية المكثفة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين، وقد أصبح الهجوم على المساجد والمراكز الإسلامية أمراً عادياً بالإضافة إلى إجراءات بعض الحكام لفرض الحظر على الرموز الإسلامية.

كانت الهند على خطى أمريكا في هذا الموضوع، فقد وقعت في هذه الفترة تفجيرات، وحُمِّل المسلمون المسئولية في سائر هذه الأعمال المخربة، ومثل القاعدة التي كانت رمزاً للإرهاب الإسلامي في الغرب، كانت حركة المجاهدين ولشكر طيبة رمزاً للإرهاب في الهند، فنسبت سائر الأحداث إلى هاتين الحركتين، وأسر عدد من الشباب المسلمين، وعوملوا بأقسى وسائل التعذيب، ولم تطرح قضيتهم على المحكمة، وكل من عرضت قضيته إلى المحكمة، أصدرت المحكمة حكمها ببراءته، وقد نشرت صحيفة "انديان ايكس بريس" قائمة طويلة للمتهمين الذين صدرت أحكام براءتهم، ولا يزال عدد كبير منهم في السجون، وتطالب المنظمات الإسلامية وزعماء منصفون من غير المسلمين بمحاكمتهم، وإطلاق سراح من ثبت عدم تورطهم في أعمال العنف.

وقد أعلنت المنظمات الإسلامية أن الإسلام لا يدعو إلى الإرهاب، وإن المتهمين بالإرهاب المسلمين المسجونين لا صلة لهم بأعمال الإرهاب، وطالبت بالتحقيق في قضاياهم.

وقد كشفت تقارير لجنة التفتيش أخيراً أن معظم أحداث الإرهاب ترجع إلى حركات متطرفة لغير المسلمين.

يقول تقرير صدر أخيراً للجنة التحقيق القومية (N.I.A.) أن التفجيرات التي وقعت في جمو وكشمير في عام ٢٠٠٤م كانت بتدبير الجماعة الإرهابية التي قامت بتفجير قطار "سمجهوته" ومسجد "ماليغاؤن"، ووصلت اللجنة إلى هذه النتيجة بعد اعتقال أشخاص من الهندوس من ولاية "مدهيه براديش" أسماؤهم: راجيش شودهري، دهن سنغ، وتيج راما، ومنوهر سنغ، كلهم

اعترفوا بتورطهم في أعمال العنف في مختلف أنحاء البلاد، وتدبير تفجيرات قطار سمجهوته ايكسبريس ومسجد ماليغاؤى.

وقد أسر قبل ذلك عدد من غير المسلمين لتهمة ارتباطهم في أعمال إرهابية في البلاد، كسوامي اسيمانند، والكاهنة الهندوسية بركيه تهاكري، والمقدم شري كانت بروهت، وكانت هذه التفجيرات فور صدورها نسبت إلى حركة المجاهدين.

وقبل ذلك قامت حركات متطرفة من غير المسلمين بالهجوم على الكنائس، والراهبين والراهبات، ولكن الحملة الموسعة ضد الإسلام والحركات الإسلامية كانت تخفي هذه الحركات، ويغض الإعلام بصره عنها، وكان المسلمون يطالبون بأن تجري التحقيقات حول مثل هذه الأحداث بدون تحزب، أو اتخاذ حكم قبل التحقيق، أو محاكمة عادلة في القضاء.

في عهد بوش كان الإرهاب مربوطاً بالإسلام ؛ فكان التعبير السائد الإرهاب الإسلامي، ولذلك وجهت العناية إلى الانتماء الإسلامي، وفي عهد أوباما وقع تحول في الموقف ؛ فأصدرت تعليمات لعدم ربط الإرهاب بالإسلام، وأن يستخدم تعبير الإرهاب مطلقاً، ويدل تقرير صحفي على تحول آخر في الموقف.

فقد صدر أخيراً تقرير أمريكي يشير إلى تورط حركات غير إسلامية في أعمال الإرهاب، وتصاعد هذا الاتجاه.

يقول تقرير سري أعده (N.I.C.) أن الإرهاب ينمو في الجهات الهندوكية والمسيحية في العالم، ويتصاعد في المستقبل، ويكشف هذا التقرير أن سخط المسلمين وتخوفهم في أمريكا سيقل في المستقبل.

واعترف التقرير لأول مرة أن الإرهاب له أسباب ودواع، ولا

يمكن القضاء عليه تماماً، إلا أن التفاهم بين مختلف العناصر هو الوسيلة القوية لمكافحة الإرهاب.

وأبدى التقرير تقديراته أن الإرهاب الديني يشكل خطراً عالمياً، وأعرب عن تصاعد خطر الإرهاب في الحركات اليمينية للهندوس والمسيحيين، والحركات اليسارية، ويشكل هذا الإرهاب خطراً جديداً للعالم.

الجديد في التقرير الأمريكي أن الإرهاب له أسباب ودواع، وإنه يوجد في أديان أخرى ومتبعيها، كما يوجد في المسلمين، وأكثر من ذلك يبدي التقرير مخاوفه بتصاعد الإرهاب في الحركات اليمينية الهندوكية والمسيحية، وهو اعتراف بالواقع.

ويطرح هذا التقرير سؤالاً هل هناك تحول في الفكر السياسي في أمريكا؟.

أحداث العالم الإسلامي ومواقف الدول الغربية المتناقض[١]

لوحظت آثار الصحوة الإسلامية، وبرزت مظاهرها في الستينات إثر خيبة النظم السياسية التي كانت قائمة في معظم البلدان الإسلامية التي كانت قد تحررت سياسيا؛ لكنها كانت تخضع للنفوذ الغربي، وتقتدي به في سائر شعب الحياة، وأدركت شعوب هذه الدول المسلمة خيبة قياداتها السياسية في معالجة مسائل الحياة القومية، وازداد هذا الشعور بالخيبة بفشلها في الدفاع عن السلامة الإقليمية والوحدة القومية لتلك البلدان، وكانت هزيمة عام ١٩٦٧م التي منيت بها القيادات الثورية والعسكرية التي قضت حكمها الطويل في القضاء على المعارضين للنظام، أو فرض الأفكار المستوردة من الغرب وخاصة من الدول الاشتراكية في العالم الإسلامي، وصبّت جام غضبها على حملة الاتجاه الإسلامي والدعاة والمصلحين، برهاناً على خيبة هذه النظم التي كانت تستند إلى تأييد الغرب، وتتبع خطاه في الاقتصاد والسياسة والتعليم والتربية، وتنفذ مخططاته لسلخ هذه الشعوب المسلمة عن مميزاتها الإسلامية، وتعطيل صلاحياتها للانتفاضة الإسلامية والتحرك باسم الدين، والعمل لوقاية المقدسات الإسلامية.

كانت هذه الصحوة أمراً طبيعياً، وقد اعترف المستشرق

---

[١] المجلد: ٥٩، العدد: ٤، أكتوبر ٢٠١٣م.

المعروف "ولفرد كانتول اسمت" بأن الصحوة الإسلامية التي تكتسح اليوم في العالم الإسلامي، هي نتيجة للشعور بالخيبة في النظم السياسية القائمة، فكتب يقول في كتابه "الإسلام في التاريخ الحديث" Islam in modern history إن اليقظة الدينية في العالم العربي والإسلامي جاءت بعد صدمة هزيمة ١٩٦٧م، فقد عادت الجماعات والحركات الإسلامية إلى الظهور بقوة منذ ذلك الوقت كردّ فعل طبيعي للهزيمة، فالتحصن بالدين واللجوء إليه لمواجهة شرور الهزيمة كان هو الاختيار الواضح عند الشباب، ولم تتوقف حركة الشباب عند الأفكار الدفاعية التي قدمها لها العقاد، وطه حسين، وأحمد أمين، وهيكل، وعمر فروخ، بل اتخذت الدفاع عن الإسلام شعاراً لها وقالت إن الإسلام ليس كما يفهمونه بأنه سبب انحطاط المسلمين؛ بل هو دين عظيم، يدعو للحضارة والتقدم الإنساني، لم تتوقف الحركات الإسلامية عند حدود الدفاع؛ بل جعلت تحاول أن تقدم مجتمعاً حديثاً على أساس العدل والإنسانية معتمداً على القيم الإسلامية، والدافع الأساسي لها هو النجاح في التصدى للهجوم الأجنبي، وتخليص المجتمع من عوامل الانحلال والفساد التي سقط فيها، فالمجتمع الحالي في تصورها يقوم على مبادئ انتهازية، ويتحرك بأشخاص فاسدين، ولا بد لتقويم المجتمع من برنامج للإصلاح يتحول فيه الفكر الإسلامي إلى قوة فعالة مثمرة في مواجهة وعلاج مشاكل العصر الحديث، هو التصور الوحيد الذي يقف بجدية في صراع الأقطار في مواجهة الأفكار الغربية المادية.

ووصف أحد الكتاب البارزين هذا العصر بجاهلية القرن

العشرين، وأزاح القناع عن زيف الحضارة الغربية وطبيعة استغلال الدول الغربية للثروات والكفاءات في العالم الإسلامي.

ونما هذا الشعور وانتشر في الأجيال الناشئة بتأثير كتب الفكر الإسلامي، وطرق مواجهة الحضارة الغربية ومكافحة الاستعمار بأقلام الذين درسوا الحضارة الغربية وتعرفوا عليها عن كثب وعن كتب، وعرفوا التناقض الظاهر في معالجة قضايا العالم الإسلامي، ونمى هذا الشعور تكرار حملات الكراهية للإسلام والهجوم على المقدسات الإسلامية وخاصة محاولات الإساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وموقف الحكام المسلمين موقف التخاذل والتنازلات أمام مطالب الدول الغربية، فكان ذلك الدافع إلى العودة إلى الإسلام، والحرص على البحث عن حلول المسائل التي يعاني منها المجتمع المسلم في المصادر الإسلامية، وقد هيّأ هذا الشعور حافزاً إلى نقد الفكر الغربي، والكشف عن زيفه، وإثبات عدم نفعية تقليده، والتدليل على خداعه للعالم الإسلامي، وخذلانه له في ساعات امتحان وفائه وكفاءته في ظروف المعاناة، وأوضاع الخطر، وقد ثبت لكل من يعاين مواقف الدول الغربية إزاء الأحداث في العالم الإسلامي أن الغرب لم يتخل عن صليبية القرون الوسطى، وعن أيديولوجية العنصرية، وموالاة اليهود، وترجيح مصالح اليهود على مصالح العرب والمسلمين رغم علاقاته مع الدول الإسلامية، وعرف سكان هذه المناطق أن هذه العلاقات والصداقة وخدمة المصالح الأوربية تقوم من جهة واحدة، كما عرف المتتبعون للأحداث أن أوربا غير مهتمة بتطوير وتقدم مناطق المسلمين وحل مسائلها، بل تحرص دائماً على توريط هذه المناطق في مسائل جديدة

وخاصة أنها حريصة على إضعاف اقتصادها، وتتخذ وسائل لفرض ضغوط اقتصادية عليها، وتنشط وكالاتها في إحداث أزمات اقتصادية وصراعات فكرية وثورات عسكرية في هذه المناطق، لتلجأ لحلها إلى الدول الغربية، وكان همّها الوحيد إبعادها عن مصادر قوتها ومنبع انطلاقها إلى القيادة البشرية؛ ففرضت على حكومات هذه الدول سياسة قمع كل حركة أو دعوة للبعث الإسلامي.

لقد عمّ هذا الشعور بالخيبة في صلاحية النظم السياسية المقلدة للغرب في سائر طبقات السكان في البلدان الإسلامية، وكان هذا الشعور الغلاب الذي لا يمكن السيطرة عليه أو إخفاؤه هو الباعث على التفكير في البديل، وأدرك المفكرون الغربيون أيضاً أن هذا الشعور يتنامي في أذهان المسلمين، لأن الشعور أو الحس بالخسارة أو التبعية يدفع الإنسان إلى العمل لإزالة ذلك العائق أو مكافحة من يفرض عليه هذا الوضع، فلو كانت هذه الدول التي قلدت الغرب، متقدمة متطورة في التعليم، وعم فيها الاستقرار السياسي، وقام فيها النظام الاقتصادي المتطور، ونشأت فيها القوة الدفاعية الرادعة، وكانت متحضرة تتوفر فيها فرص التعليم العالي، والصناعة الراقية، وكانت قادرة على حل مسائلها، لكان لهذا التقليد ومواصلة تبعية الغرب مبرِّر، ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل، فإن مديونية معظم الدول التي قبلت الحضارة الغربية معروفة لدى الجميع، والاعتماد المتنامي لهذه الدول على الخبرة الأجنبية معروف لدى الجميع، وأغرب من ذلك أن أكثر الدول الإسلامية اعتماداً على الغرب واتباعاً له، هي أكثر الدول الإسلامية تعقداً للمسائل واضطراباً للأوضاع السياسية، وقمعاً للحريات المدنية، وتخلفاً في الحالة الاقتصادية.

لقد أتاح هذا الواقع المرير في العالم الإسلامي فرصة للتفكيرفي البحث عن البديل، ومنطلقاً إلى اتجاه جديد، وكان الأجدر للفكر الإسلامي في مثل هذا الوضع بأن يقوي هذا الشعور، وينميه ويوسع دائرته ويقنع النفوس بخواء فكرة تقليد الغرب لتعميم هذا الشعور، فيشمل أوساط المثقفين والمتكلمين والمسئولين وأن يشترك في هذا الشعور أصحاب السلطة وواضعو السياسة، والمثقفون، وأن يكشف زيف الدساتير المنفذة والقوانين المستوردة، ويثبتوا عدم صلاحيتها لحل مشاكل أمة تختلف في طبيعتها ومزاجها وتاريخها وأجوائها الطبيعية والثقافية عن الأمم التي أخذت منها هذه المناهج والفلسفات والنظم.

ومن جهة أخرى كان على الفكر الإسلامي أن يعرض الحلول الإسلامية لجميع هذه المسائل ويثبت أن كثيراً من المسائل التي يواجهها العالم الإسلامي هي رواسب الاستعمار، ونتيجة لتقليد الفكر الغربي، وهي مفروضة على العالم الإسلامي، ولذلك لا يمكن حلها في ضوء التجربة الأوربية.

وكان من أولويات هذه الصحوة الشعورية تنمية هذه الصحوة فكرياً وتنميتها ثقافياً، وهي عن طريق بذل جهود لإصلاح المجتمع الإسلامي، وخلق وحدة في صفوفه، ووحدة عنصرية، ووحدة فكرية، ووحدة ثقافية بإنشاء مدارس التعليم الإسلامي، ومراكز للتربية الإسلامية، ومؤسسات لحل مشاكل الحياة العامة بالمنهج الإسلامي، وتعبئة الرأي العام ضد المؤسسات والمنشآت الغربية التي تستغل ثروات البلاد الإسلامية.

أدت هذه الصحوة الإسلامية إلى تغيير نظم الحكم بالاشتراك

في الثورات الشعبية التي قامت في البلدان التي كانت خاضعة للنظم الديكتاتورية وخاصة النظم الخاضعة للفكر الاشتراكي المستبد الذي قضى الحكام فيه مدة طويلة لقمع الشعور الإسلامي وكبت الحريات المدنية، وبعد سقوط هذه النظم في هذه الثورات الشعبية اختارت طريق الانتخاب الحر للوصول إلى الحكم أو الاشتراك في نظم الحكم، وقد أدت نتائج الانتخابات التي جرت في دول الثورة، إلى الاعتراف بالحقيقة أن الأغلبية في هذه الدول ترغب في تطبيق الشريعة الإسلامية، وحل مسائلها في ضوء تعاليمها، وكان من حقها الجمهوري أن تتقلد مقاليد الحكم، ولكن الخائفين من وصول حملة الفكر الإسلامي إلى الحكم دبروا مؤامرة لتخييب هذا المجهود، وإرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، وإلغاء نتائج الانتخابات كما حدث في الجزائر، وأعيد في تركيا، ونتيجة لهذه المؤامرة عادت هذه البلدان إلى الوضع السابق وهو الحكم العسكري، وكان آخر فريسة لهذه المؤامرة مصر التي تستمر فيها أوضاع الثورة رغم انتهاء عملية الانتخاب وظهور النتائج وتشكيل حكومة جديدة، وقد كشفت وثائق أمريكية عن قيام إدارة أوباما بتمويل المعارضين العلمانيين للرئيس المصري المنتخب الدكتور محمد مرسي بغية إسقاطه، فوفقاً للنسخة الإنجليزية لموقع "الجزيرة" إن هناك سلسلة من الأدلة تؤكد ضخّ الأموال الأمريكية لبعض النشاطات والمجموعات المصرية التي كانت تضغط من أجل إزالة الرئيس المنتخب، وتوفير الأجواء لقيادة الجيش للانقلاب عليه، ويتبين من الوثائق أن برامج الخارجية الأمريكية "المساعدة من أجل الديمقراطية في الشرق الأوسط" توزع مئات الملايين من أموال دافعي

الضرائب عن طريق "مكتب شؤون الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل" و"مبادرة الشراكة الشرق أوسطية" و"الوكالة الأمريكية للتنمية"، وقد أنفقت أمريكا ٩٠٠ مليون دولار للتآمر ضد الرئيس المنتخب تحت ستار "مشاريع الديمقراطية في المنطقة" كما منحت المعارضين لمرسي أموالاً للتحريض ضد الإسلاميين".(مجلة "المجتمع" الكويتية، العدد: ٢٠٦٢، ٢٠ -٢٦/يوليو٢٠١٣م).

وكانت النتيجة أن فرض على مصر نظام عسكري أشد عنفاً واستبداداً من النظام المخلوع، ولجأت الحكومة العسكرية المفروضة إلى ممارسة أقسى وسائل القمع ضد المؤيدين للرئيس المنتخب، ولا تزال تحدث اشتباكات مسلحة يذهب ضحيتها مآت من المتظاهرين بجانب التعذيب والتنكيل مع المسجونين، ومما يدل على تناقض موقف الدول الغربية وخاصة أمريكا أن عدداً من البلدان في آسيا وأوربا مرت بمرحلة الانتخابات، وقامت فيها حكومات الأحزاب التي نالت الأكثرية، وفرضت هذه الأحزاب سياستها، ولم يحدث فيها أي رد فعل، أوهي قائمة، كان منها إيران وفرنسا، وباكستان، وقد تقلد الحزب الفائز في الانتخابات مقاليد الحكم، وهو مطابق للحضارة الغربية المعاصرة، لقد كان انتقال الحكم إلى الحزب الفائز أمراً طبيعياً، وقد كان يقتضي هذا الوضع من حاملي الفكر الغربي الداعي إلى نظام ديمقراطي أن ينتقدوا هذا الموقف المناوئ للنظام الديمقراطي، ولكن الخوف من وصول حركة ذات اتجاه إسلامي إلى الحكم ساقهم إلى تأييد مضمر؛ بل تدبير مؤامرة لتغيير الوضع من النظام الديمقراطي إلى النظام العسكري. وقد أشار إلى ذلك الرئيس الروسي بوتين في تصريح له أدلى به يوم

الأحد(١٧/أغسطس ٢٠١٣م) وقال فيه: "إننا على استعداد تام لأن ندعم الجيش المصري عسكريا دون شروط أو قيد". وأبدى فيه كرهه للإسلاميين، وتشير مصادر إلى أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يريد أن يستغل الفرصة لتوطيد علاقاته بدول الشرق الأوسط، بالإضافة إلى الظهور أمام العالم بمظهر الرجل القوي الذي يخوض حربا ضد الإرهاب في المنطقة، وكما يرى بوتين، وبحسب خبراء، أن "جماعة الإخوان المسلمين هي التي تقود الإرهاب والجماعات المتشددة في المنطقة، سواء في سوريا أو في مصر، وهو ما جعله يساند بقوة الرئيس السوري بشار الأسد من عامين، ضد ما قال انه إرهاب الإخوان المسلمين".

إن تأييد الحكومات التي يجري فيها حكم تقليدي فردي غير ديمقراطي مفهوم، كذلك الذين يعارضون قلب أي نظام بالثورة، ولكن موقف الذين يدعون إلى الحريات المدنية والحريات الفردية وحكم الأغلبية ونظام الانتخابات، يبعث على الشعور بأن للغرب مقاييس مزدوجة ومعايير متعارضة لتقييم الأحداث في العالم.

هل للديمقراطية مكيالان؟!(1)

تَمُرّ الهند هذه الأيام بمرحلة حاسمة، ينحصر على نتائجها مصير البلاد، فقد استقلت الهند من الاستعمار البريطاني في عام ١٩٤٧م، وتحولت إلى بلد ديمقراطي رسمياً، كان شعاره "مجتمع على نمط اشتراكي" و"الوحدة في التنوع" وقد كانت روسيا غالبة في ذلك العهد الذي بدأ فيه الاستعمار الإنجليزي يولّي، وتتحرر البلدان المستعمرة تدريجياً؛ لأن الدول الاستعمارية الكبرى كبريطانيا وفرنسا صارت منهوكة بجراء الحرب العالمية الثانية، فقامت بين الدول المتحررة حديثاً روابط مع الاتحاد السوفيتي، وكانت الهند من هذه الدول، ثم تكونت قوة ثالثة تتوسط بين القوتين العالميتين، وهي مشتملة على الدول النامية، وعرفت هذه الحركة بعدم الانحياز، فكان لها دور ملحوظ في السياسة العالمية، وتسوية النزاعات، وكان من قادة هذه الحركة جواهر لعل نهرو، وسوكارنو، وجمال عبد الناصر، ومارشال تيتو.

وكان للهند صوت مسموع في المنابر العالمية لعدم انحيازها، ولكونها بلداً ديمقراطياً كبيراً، أساسُ سياستِه عدمُ العنف والعلمانية والتوافق بين الجمهور والحاكم.

وبعد تحوُّل البلاد إلى نظام ديمقراطي متسامح قائم على العلمانية، وعدم العنف، وعلى احترام الأديان وحرية الرأي، كان نظام القضاء حراً، فكان المظلوم ينال حقه، وكثيراً ما اضطرت

---

(1) المجلد: ٦٠، العدد: ١، يونيو ويوليو ٢٠١٤م.

الحكومة إلى سحب بعض قراراتها أو تعديل الدستور لإمرار قراراتها في مصلحة الشعب.

وجرت الانتخابات الحرة خلال هذه المدة، وتغيرت الأحزاب التي تولت الحكم، وسقطت الحكومات كلما خسرت تائيد الأغلبية، وكان نصيب حزب المؤتمر الوطني أكبر بالنسبة لمدة الحكم، وقد تحررت البلاد نتيجة لكفاح قادته، وفي مقدمتهم جواهر لعل نهرو، ومولانا أبو الكلام آزاد، ورفيع أحمد قداوئي، وسردار بتيل، وكان أول رئيس للجمهورية بعد جلاء القوات البريطانية راجندر برساد، وتولى هذا المنصب بعده عدد من المسلمين، وفي مقدمتهم الدكتور ذاكر حسين، وفخر الدين علي أحمد، والقاضي هداية الله، وأخيراً الخبير النووي عبد الكلام.

وقد وقعت في هذه المدة الطويلة اضطرابات طائفية أو نشأت عناصر تضايق المسلمين، لكن أمكن حلها بوساطة القادة.

جرت الانتخابات في هذه الفترة بعد كل خمس سنوات وبعد سقوط أي حكومة قبل المدة، وقامت حكومات جديدة على أساس النتائج، وبذلك عرفت الهند على الأساس الديمقراطي بالتسامح، ولم يحدث في وقت من الأوقات أن رفض حزب خاسر في الانتخابات النتائج، أو حاول لمنع الفائز في الانتخابات أن يتولى الحكم وإن كانت بينهما خلافات سياسية.

ومثل هذا النظام العلماني في سائر دول العالم المتقدمة وخاصة في أوربا وأمريكا، وهو عادة متبعة أن يتولى الحكم من يفوز في الانتخابات، والانتخابات هي الوسيلة الوحيدة لاختيار من يحكم البلاد، وهي قوام الديمقراطية.

وقد قال إبراهيم لنكن إن الديمقراطية هي حكم الجمهور.

وتوجد في معظم دول أوربا أشكال مختلفة للديمقراطية، حيث يسيطر قادة على الحكم، ويعيدون مدة حكمهم بانتخابات عادلة، وأما البلدان الإسلامية فيوجد فيها نظام يختلف عن هذا النظام رغم دعوى قادتها بالديمقراطية والجمهورية حيث تجري انتخابات يفوزون فيها بنسبة ٩٠٪ من الأصوات، كما حدث في ليبيا وتونس ومصر وسوريا والعراق، وقبل ذلك وقع في الجزائر وتركيا، وذلك لأن الذين يتولون الحكم، هم عسكريون، والعسكريون يمارسون سائر وسائل الضغط والقهر، ويفرضون سياستهم بقوة السلاح لمنح الحكم لهم، فلا يستطيع مظلوم أن ينال حقه في المحكمة.

وأول من اختار هذا الطريق الحبيب بورقيبة الذي قام بالثورة في تونس ثم أخذ رأى الشعب في استفتاء أن يظل الرئيس في الحكم مدى الحياة.

وتبع هذا الطريق الرؤساء العسكريون الآخرون بإجراء انتخابات مزورة، ويتنافى ذلك كلياً مع النظام الديمقراطي، ولكن الدول الأوربية التي تدعي أنها رائدة تصوُّر حرية الرأي، وحقوق الإنسان، والنظام الديمقراطي للحكم، والعلمانية، وحرية العقيدة، واحترام الأديان، وحرية العمل، لم تعترض على هذه الأحكام القاهرة المستبدة وسياساتها الجائرة، وقد قام في هذه الدول للنظام العسكري من ادعى أنه ديمقراطي وجمهوري، فكان يتوقع من الثورات التي حدثت في البلدان العربية من ليبيا إلى سوريا ضد النظم العسكرية أن تأتي إلى حيز الوجود نظم ديمقراطية بالمعنى الصحيح بإجراء انتخابات حرة، وينال الشعب التمثيل في الحكم.

وقد أجريت في بعض الدول، وكانت منها مصر، الانتخابات، وبرزت في هذه الانتخابات جماعة نالت الأغلبية من الأصوات، ولكن من سوء الحظ وضعت عقبات في سبيل ممارسة الحزب الفائز للحكم، وأخيراً قامت ثورة مضادة، ووقعت نتيجة لذلك حوادث خطيرة ذهب ضحيتها آلاف من الناس، وفرض نظام جديد يرأسه قائد عسكري، وزُجّ بالمنتخبين في الانتخابات إلى السجون، وتجري محاكمات ضدهم، وسكتت الدول الأوربية على هذا الإجراء العسكري، بل نال هذا النظام تائيد بعض الدول، واتهم الحزب الفائز في الانتخابات بالإرهاب، والإرهاب جريمة لا تغتفر في الدول الأوربية، وقد أيدت هذا النظام روسيا أولاً، وأبدت أمريكا تحفظات، ولكن التقارير الأخيرة تفيد بأن أمريكا التي أعادت النظر في تحفظاتها، قد أظهرت توافقها مع النظام بشرط أن تعاد الديمقراطية، وترعى الحقوق الإنسانية، ويمنح لكل مواطن حق الاشتراك في الانتخابات، أفادت " الشرق الأوسط " في عددها الصادر في ٢٤/أبريل ٢٠١٤م بتحسن ملحوظ في العلاقات بين القاهرة وواشنطن، وانفراجة كبرى بعد فترة فتور امتدت لأكثر من تسعة أشهر منذ عزل الرئيس المصري السابق محمد مرسي في مطلع شهر يوليو (تموز) الماضي، وشهدت تعليق مساعدات عسكرية وإلغاء مناورات مشتركة بين البلدين.

وفي وقت أعلنت فيه القاهرة عن توجه وزير الخارجية المصري نبيل فهمي إلى الولايات المتحدة، أعلنت الخارجية الأميركية عن لقاء على جدول الأعمال بين وزير خارجيتها جون كيري ومدير المخابرات المصرية اللواء محمد فريد التهامي في واشنطن. وذلك غداة اتصال هاتفي بين وزير الدفاع الأميركي تشاك هيغل، ونظيره المصري الفريق

صدقي صبحي، أبلغه خلاله قرار الرئيس الأميركي باراك أوباما باستئناف جزء من المساعدات العسكرية، متمثلا في تسليم القاهرة عشر طائرات هليكوبتر هجومية من طراز «آباتشي» خلال أسابيع، إضافة إلى طائرة أخرى مملوكة لمصر كانت تخضع للصيانة في أميركا، وذلك في إطار دعم الجهود المصرية في مكافحة الإرهاب.

وقال جون كيربي، المتحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون)، إن «الإدارة الأميركية ترى أن تلك الطائرات ستساعد مصر في حربها ضد العناصر المتطرفة التي تمثل تهديدا لمصر والولايات المتحدة وللمنطقة»، مشيرا إلى «هذا القرار يأتي في إطار جهود الرئيس الأميركي الأوسع للتعاون مع الشركاء في المنطقة لإعادة بناء قدراتهم في مكافحة الإرهاب؛ وهو ما يصب في صالح الأمن القومي الأميركي». وأضاف كيربي أن «هيغل حث صبحي على ضرورة إحراز تقدم تجاه مزيد من مشاركة كل الأطياف السياسية واحترام حقوق الإنسان والحريات لكل المصريين».

ولكن كيف يتحقق هذا الشرط إذا كان آلاف من أفراد الشعب في السجون بل فرض عليهم حظر ومنعوا من الإدلاء بالصوت.

وكان من حق الرئيس المنتخب أن يستكمل مدته، ويواجه في البرلمان قرار سحب الثقة وتائيد الأغلبية فإذا فشل في ذلك سقطت حكومته بطريق ديمقراطي شائع في العالم كله كما حدثت في الهند مرات، فقد قامت حكومات، وسقطت حكومات على أساس سحب الثقة، ولم يحدث أي اضطراب أو صراع سياسي، فهناك سؤال هل للديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية التعبير معياران أو مكيالان؟!!.

مكيالان لمعالجة الأمور سبب الاضطراب في العالم[١]

يعيش المسلمون في مختلف بقاع العالم، وتختلف ثقافتهم ولغاتهم في القارات الثلاث خاصة آسيا وإفريقيا وأوربا، ويشكلون في بعض الأماكن أغلبية، وفي أخرى أقلية، ويسهمون في تطوير أوطانهم، ويستعدون للتضحية في سبيل الدفاع عن أوطانهم، وعدم تقصيرهم فيه، والإسهام في تطويرها ورفع مستواها.

وقد كان دورهم في الحربين الكونيتين دوراً ملحوظاً، بل كانوا مقدمين في التضحية بحياتهم، وقد استخدمتهم القوى الكبرى في عهد الاستعمار كالوقود في الحروب الطاحنة بينها.

وقد نقل الحكام الغربيون في عهد الاستعمار من بلدانهم المستعمرة عدداً من السكان، وفيهم المسلمون، إلى بلدانهم للخدمة والعمل، ويوجد المسلمون بنسبة ملحوظة في الدول الأوربية، وانتشر الإسلام بتواجدهم فيها، وتصاعد عددهم بدخول عدد ملحوظ من السكان في الإسلام؛ سواء بدراسة الإسلام، أو تأثراً بخلق المسلم، واحترز المسلمون دائماً عن أي عمل أو نشاط ضد مصلحة البلاد، أو يعرض سلامة البلاد للخطر.

رغم هذا السلوك الخلقي نشأت في مختلف بقاع العالم حركات تعادي الإسلام والمسلمين، وحركات متشددة دينية وقومية وعنصرية، وخاصة من أصحاب ما يوصف باليمين، وفيهم

---

(١) المجلد: ٥٨، العدد: ٤، اكتوبر ونوفمبر٢٠١٢م.

الصليبيون المتشددون، والقوميون المتطرفون الذين يشنون الهجوم على المساجد والمؤسسات العلمية، والخدمات الإنسانية للمسلمين، وكان الحكم الذي أصدرته المحكمة النرويجية أخيراً على بريوك "Breivik" الذي قتل ٧٧ شخصاً، دليلاً على وجود حركات المتشددين القوميين والمعادين للإسلام في الدول الأوربية، وقد اعترف الشاب النرويجي أن عمله الذي أدين به كان في خدمة بلاده، وتفيد التقارير الصحفية بأن هناك رجالاً وحركات متعددة تسعى وتخطط في محاربة المسلمين والتهجم على الإسلام، ويساعد هذا الاتجاه صدورُ كتب في مختلف الجهات ضد الإسلام والمسلمين، والدعاية المكثفة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين، وقد أصبح الهجومُ على المساجد والمراكز الإسلامية أمراً عادياً بالإضافة إلى إجراءات بعض الحكام لفرض الحظر على الرموز الإسلامية.

وبتأثير هذه الإجراءات والدعاية ضد الإسلام نشأت حركات معادية للإسلام والمسلمين في بلدان أخرى، فتقع في مختلف أنحاء العالم حوادث للهجوم على المسلمين، وتتخذ الحكومات إجراءات لتقييد العمل الإسلامي، ويكاد يصبح هذا الاتجاه ظاهرة عامة.

ترفع الدول الأوربية وفيها أمريكا صوتها للدفاع عن الأقليات غير الإسلامية في البلدان الإسلامية، وتفرض الضغط على حكامها لتأمين حقوق الأقليات، وأحياناً تؤيد حركات الانفصال إذا أرادت الانفصال عن الأغلبية المسلمة كما حدث في السودان وإندونيسيا، وفي نفس الوقت تغفل هذه القوى لموقفها المعاند للإسلام والمسلمين عما يعانيه المسلمون في بلدان الأغلبية غير الإسلامية، وتمتنع عن اتخاذ إجراءات لتخفيف معاناتهم.

لقد أصبحت قضية الإرهاب المسألة الأساسية في كل بلد من بلدان العالم بتوجيه أمريكا، وتتخذ إجراءات لمكافحة الإرهاب، وتمنح مكافحة الإرهاب الأولوية في المحادثات سواءاً كانت هذه المحادثات حول أمور التنمية أو الاقتصاد أو التعليم والسياسة، ويوضع موضوع الإرهاب في رأس قائمة جدول الأعمال لكل مؤتمر، كما كان في مؤتمر عدم الانحياز الذي انعقد أخيراً في طهران، وقد أشار إليه رئيس وزراء الهند منموهن سنغ أن قضية مكافحة الإرهاب تكون على رأس قائمة جدول الأعمال، ولكن هذه الإجراءات تستهدف المسلمين وحدهم، بينما تقع حوادث عنف وإرهاب في الدول الأوربية وغير الأوربية حتى في أمريكا نفسها حيث قتل عِدة أشخاص في حوادث متفرقة في نيويورك ونيو جرسي سوبر سوق، ولكن لم يوصف هؤلاء المهاجمون بالإرهابيين.

و في الهند تقوم الحركات الموالية للماؤ والنكسليون والقوميون والعنصريون بعمليات العنف، كما يقع في بعض ولايات الهند على أساس العصبية اللسانية والإقليمية، ولكن الحكومة الهندية لا تصف هذه العمليات بعمليات الإرهاب.

ونتيجة لهذا التوجه إلى جانب واحد يعاني المسلمون في سائر أنحاء العالم جواً حاقداً لأن الإعلام العالمي يتهمهم بكل حادث يقع في أي مكان قبل التحقيق، وترتفع الأصابع إلى الشباب المسلمين وخاصة الناشطين للإسلام والمتدينين، ويزج بهم إلى السجون، ويقضون فترات طويلة في الحبس إلى أن تتم تبرئتهم في المحاكم، وتجري المماطلة والإهمال في نقل القضية إلى المحكمة.

وقد أشادت الصحف الهندية الكبرى بصدور حكم المحكمة

النرويجية بالسجن المؤبد على الفتى النرويجي بريوك في مدة ١٧ شهراً، وكتبت تقول: " قضى عدد من المتهمين أعمارهم في السجون بدون محاكمة أو تستمر المحاكمة مدة طويلة بدون صدور حكم في قضاياهم، لقد وقعت حوادث العنف من القتل والإحراق في غجرات في الهند في عام ٢٠٠٢م وحدث قتل عدة آلاف، واتهم وزراء الحكومة الإقليمية بالتدبير لهذه الحوادث المنظمة، وأعلن بعض القادة السياسيين المعروفين أنهم دبروا هذه الحوادث، وأنهم سيعيدونها في أجزاء أخرى، ولم يتخذ إجراء ضدهم وضد المتهمين في القتل الجماعي، وأخيراً بعد المدة الطويلة أصدرت محكمة قضائية فرعية الحكم على وزير سابق ومعه ٣٢ متهماً ومنهم زعيم حركة إرهابية "بجرنغ دل" الحكم بعقوبات قصوى لقتل ٩٧ شخصاً.

إن إغفال القوى العالمية والإعلام معاناة المسلمين وإصرارها على إدانتهم وحدهم، ونقل المسئولية للحوادث الواقعة إليهم أصبح أمراً عالمياً أو جزءاً من السياسة العالمية.

وقد ظهر هذا الانحياز والتحزب جلياً بموقف الدول العالمية والإعلام العالمي إزاء ما يحدث في سوريا وبورما وآسام بشمال شرقي الهند، وقد نقلت وسائل الإعلام أحوال هذه المعاناة، وعرف العالم كله ما يجري في هذه المناطق من قتل وتشريد وإحراق وتدمير للممتلكات، وتحول المسئولية عن هذه المجازر التي تجري، إلى المسلمين أنفسهم رغم ثبوت أن الذين يتعرضون لهذه الاعتداءات هم المسلمون في عدد القتلى، وفي النازحين، فقد وصل عدد الذين شردوا من بيوتهم من المسلمين في آسام وحدها كما تقول وسائل الإعلام والدوائر الرسمية إلى نصف مليون،

والذين حرموا من سائر ممتلكاتهم غير راضين أن يعودوا إلى بيوتهم لعدم السلامة، ولا تخجل الدوائر الرسمية في إدانتهم، وتدعي أن الحركات الإسلامية مسئولة عن إحداث هذه الفتنة الطائفية، وبدأت تحقيقات حول هذا الإدعاء ضد الحركات الإسلامية في المنطقة، وتتهم كذلك الدول المجاورة بإرسال الإرهابيين، والعذر الآخر الذي تقدمه الجهات الرسمية والإعلام أن الذين يتعرضون لهذا السلوك هم المتوغلون الذين دخلوا المنطقة من البلدان المجاورة بصورة غير شرعية، ويطالب المهاجمون على هؤلاء المظلومين بطردهم من البلاد، وتدعي وسائل الإعلام أن المسألة مسألة الهجرة غير القانونية، وأن القضية هي قضية عنصرية أو قومية، وعلى هذا الأساس يحرم هؤلاء المنكوبون العطف والمؤاساة سوى الجهات الإسلامية التي تساعدهم بوسائلها المحدودة.

كذلك تستمر مأساة في سوريا حيث تواصل الطغمة الحاكمة بقوة الجيش الموالي لها قمع الحركة الشعبية التي تستمر من أكثر من ثلاثين سنة، فقد دمرت البلاد تحت حكم العسكريين الذين استولوا على الحكم بقوة الجيش وقهره الشعب السوري، ولا تتصدى لهذا النظام الغاشم الدول التي تطالب بحقوق الإنسان وحرية الشعوب والنظام الديموقراطي، وتحترز عن نصرة المظلوم الدول الديموقراطية التي تعلن معارضتها للنظام العسكري، فلا تندد بهذا الظلم، ويستخدم النظام الطائرات المقاتلة والدبابات وسائر الوسائل الحربية بتأييد دولة قوية عالمية، ومما يدعو إلى الاستغراب أن الدول التي تساند هذا النظام تقوم فيها حكومات أتت إلى الحكم بإحداث ثورة شعبية ضد نظام الحكم القائم.

إن معالجة أحداث العنف بمكيالين لا يضع حداً لاستمرار حوادث العنف في العالم كله، ولا يخفى على أحد أن حوادث الإرهاب قد تصاعدت وتكثفت بعد حملة مكافحة الإرهاب العالمية بإيعاز أمريكا في العالم، ولا يستغرب أن تكون وراء أحداث العنف من التفجيرات والقتل الجماعي والإفساد لجو الأمن والسلام، أيد خارجية، أو وكالات المخابرات الأجنبية، وإن انتشار هذه الأحداث يستدعي إجراء تحقيق عالمي منصف لتحديد مسئوليتها الحقيقية، ولا يتحقق ذلك إلا بقيام حكومة عالمية عادلة تقوم بهذا العمل بدون انحياز، وقد أصبح من العادة المتبعة أن كل حادث عنف، يحول إلى المسلمين فور حدوثه.

موقفان متناقضان لحرية الرأي[(١)]

كل من يستعرض الأوضاع الراهنة يجد أن عدداً من الدول الإسلامية التى ضمت الإسلام إلى نظامها السياسى وتدعى بأنها دولة إسلامية، تفرض فيها قيود على نقد الحضارة الغربية، وتفرض قيود على المؤسسات التى تعمل لنشر الخير والإصلاح في ضوء تعالم الإسلام، وتعارض الإجراءات التى تتعارض مع تعاليم الإسلام، ويتعرض العاملون للإسلام -بدون أي عمل للإساءة لغير الإسلام - للإجراءات التعسفية، ويواجه بعض العاملين عقوبة السجن على مجرد ذكرهم للحضارة الغربية، ونقدهم لاتخاذ الحكومة في بلادهم إجراءات تتعارض مع الإسلام، وقد وصل الأمر إلى حدّ تحمُّل الإساءة إلى المقدسات الإسلامية، وفي بعض البلدان ذات الأغلبية الإسلامية تفرض قيود على الكتب التى تحمل المواد الإسلامية بعنوان تجفيف منابع القوة، ويجرى عمل تغيير النظام الدراسى.

فما معنى حرية التعبير التى يستعمل لها هذا المصطلح في هذا العصر، فإن له مفهوما خاصاً في الدول التى تدعى أن حرية التعبير سمة من سمات الحضارة الغربية، وأن هذا الحق لا يمكن أن يسلب كما ادعى وزير الخارجية الهولندي ستيف بلوك، ولكن هذا الحق مسلوب في الدول التي تدعي انتماءها إلى الإسلام، رغم تقليدها

---

(١) المجلد: ٦٤، العدد: ٦، أكتوبر٢٠١٨م.

للدول الأوربية في السياسة والمجالات الأخرى للحياة، فإن لها معياراً لحرية التعبير يختلف عن معيار مخترعي هذا المصطلح، ويوجد هذا التناقض في كل مجال من مجالات الحياة، في المعاملات، والاقتصاد، والحياة الاجتماعية والحياة الفردية.

وإن هذا التناقض وعدم التعاون بالنسبة للإسلام والمسلمين قد أخرج من غير المسلمين هيبة المسلمين والخوف من رودود فعل من قبل الدول الإسلامية التى يبلغ عددها ٧٠ دولة وهى منتشرة في مختلف أنحاء العالم، فإنه تناقض في القول والعمل.

هذه مأساة الدول الإسلامية أن هناك تناقضاً بين معتقدات وأفكار وبين العمل والتطبيق للتقليد المساوي في كل مجال من مجالات الحياة فضلاً عن أن تكون هذه الدول ناقلة للخير وداعية إلى السلام، وعلى الأقل معربة عن رأيها في السلوك والمعاملات.

بذلت في الماضى محاولات للإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة في الدنمارك، وقام المسئولون عن الحكم بتأويل أن الحضارة الغربية تمنح حرية التعبير، وإن اتخاذ أي إجراء ضد هذا العمل يتعارض مع ميزة الحضارة الغربية، وتكررت الإساءات إلى الإسلام وخاصة إلى الرسول صلى الله عليه في بعض الدول الأوربية، وهذه هى المرة الأولى أن الدول الإسلامية فرضت ضغطها ولوحظ أثرها في مسألة الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في هولندا، فقد حدثت قبل ذلك محاولات عديدة للإساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الدول الإسلامية لازمت الصمت والحياد، وعدم التدخُّل في هذا المجال.

فقد أفادت "الشرق الأوسط" في عددها الصادر في أول

سبتمبر ٢٠١٨م "بأنه نجحت ضغوط الدول الإسلامية على هولندا في تحقيق نتائج إيجابية من وجهة نظر بعض المراقبين الأوروبيين.

وقال النائب الهولندي المعادي للإسلام خيرت فيلدرز، إنه سيلغى إقامة مسابقة للرسوم الكاريكاتيرية التى تجسد خاتم المرسلين النبي محمد، مضيفاً أن خطر وقوع أعمال عنف ضد أبرياء كبير جداً. وقال فيلدرز في بيان نشره على صفحته في موقع التواصل الاجتماعى: «لن أوقف حملتى الشخصية ضد الإسلام لكن الخطر على الأبرياء بالإضافة لخطر شنّ هجمات على هولندا بسبب المسابقة المقترحة كبير جداً... أثبت هذا مرة أخرى وجهة نظري بشأن الطبيعة غير المتسامحة للإسلام». واعتقلت الشرطة الهولندية هذا الأسبوع رجلا في السادسة والعشرين من عمره للاشتباه في تهديده لفيلدرز بسبب المسابقة المقترحة.

ودافع رئيس الوزراء الهولندي مارك روته الأسبوع الماضى عن حق فيلدرز في تنظيم المسابقة وقال إنها تقع ضمن نطاق حرية التعبير، لكنه شدد أيضا على أن الخطة ليست مبادرة من الحكومة.

وتلقت الحكومة الهولندية احتجاجات من عدة دول إسلامية، كان آخرها باكستان، حول إعلان زعيم اليمين المتشدد خيرت فيلدرز تنظيم مسابقة نهاية العام الحالى، في مقر البرلمان الهولندي، لعرض الرسوم الكارتونية المسيئة للرسول محمد «صل الله عليه وسلم». كما تلقت وزارة الخارجية الهولندية رسالة حول هذا الصدد من منظمة التعاون الإسلامى، التى تضم ٥٧ دولة إسلامية من بينها دول إسلامية كبيرة ومهمة، مثل المملكة العربية السعودية ومصر وتركيا والمغرب وإندونيسيا، بحسب ما صرح به

وزير الخارجية الهولندي ستيف بلوك لوسائل الإعلام في لاهاي، التى أضافت أن الحكومة الباكستانية استدعت ثانى أكبر مسؤول في السفارة الهولندية لديها وأبلغته القلق العميق جراء خطط تنظيم هذه المسابقة، التى وصفتها الخارجية الباكستانية بأنها خبيثة ومتعمدة وتسيء للإسلام، وأن الحكومة الباكستانية تنتظر الدعم من دول إسلامية أخرى لطرح الأمر على الأمم المتحدة. ولكن الخارجية الهولندية في لاهاي قالت إن الرد الهولندى على إسلام آباد جاء فيه، أن خيرت فيلدرز الذي دعا إلى تنظيم هذا المعرض هو عضو في البرلمان الهولندي وليس في الحكومة.

وفي تعليق على هذا الأمر قال وزير الخارجية ستيف بلوك إن حرية التعبير مهمة للغاية ولا تنوي الحكومة إلغاء هذا المعرض وفي الوقت نفسه يجب أن نضع في الاعتبار أن هذا الأمر شديد الحساسية في بعض الدول الإسلامية، التى عليها أيضا أن تعمل على ضمان أمن الهولنديين والمصالح الهولندية تحسُّباً لأي ردود أفعال، ولمح الوزير أيضاً إلى وجود ردود فعل متساهلة من جانب بعض الدول ولكن رفض ذكر أى منها بحسب ما نقلت صحيفة «دي تيلغراف» الهولندية اليومية".(الشرق الأوسط، ١/٩/٢٠١٨م)

كذلك مسألة الأقليات الإسلامية التى تواجه معاناة في عدد من الدول ذات الأغلبية غير الإسلامية، ويجرى في كثير من الدول العمل على سياسة تحريم المسلمين من حقوقهم المشروعة حتى إبادة الجنس كما حدث أخيراً في بورما، ولكن الدول الإسلامية أعرضت عن إبداء رأيها فضلاً عن فرض الضغط السياسى، ومقابل ذلك لا تترك الدول المسيحية أي فرصة للتدخل أو الضغط على أي محاولة

تسيئ إلى المواطنين المسيحيين، وأكبر مثال لذلك موقف أمريكا مع تركيا وهو موقف العداء، بالإضافة إلى مسائل أخرى سياسية، على طلب إطلاق سراح مسجون مسيحى.

هذا، وفي جانب آخر يحمل المسلمون الاحترام لأتباع سائر الأديان وقادتهم الدينيين، وخاصة النصارى ومقدساتهم، وللإسلام في ذلك تعاليم واضحة، فقد جاء في القرآن الكريم: " وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ " (الأنعام: ١٠٨) وكذلك يؤكد الإسلام على توفير الأمن والسلام لغير المسلمين في الدولة الإسلامية، وتأمين حياتهم، وحقوقهم المشروعة، ومنحهم حرية العمل بتعاليم دينهم، ومعاملة العدل والتسامح معهم والوفاء بعهدهم " وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ " (التوبة: ٦) وبالعكس من ذلك موقف المسيحيين الذين توصف ديانتهم بالمودة والرأفة، موقف الإساءة والإهانة والظلم والاعتداء، فهم يسيئون إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم والمقدسات الإسلامية، ويُحْرَم المسلمون في الدول المسيحية من حقوقهم المشروعة، وتقمع الحريات، وتفرض القيود على العمل بتعاليم الإسلام، ويوصف الإسلام والمسلمون بالإرهاب والتطرف، وهذا الموقف المتناقض للدول الغربية لا يساعد في إيجاد جو الأمن والسلام والتفاهم والتعاون بين أتباع مختلف الأديان، ويتطلب ذلك سنّ قانون دولى لاحترام سائر الأديان وعدم الإساءة إلى المقدسات الدينية.

ما هي المقاييس السياسية للرفض والقبول؟!(١)

أصبحت كلمة التشدد الديني التي يسميها الإعلام بالتطرف والإرهاب، شائعة، وتكاد تصبح حديث الساعة، وموضوع المحادثات واللقاءات بين زعماء العالم.

كان في الماضي نزع السلاح والسلام العالمي موضوعاً من الموضوعات لدى الزعماء العالميين، وخاصة بين زعماء المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي الأوربي.

وفي ستار هذه المحادثات والمفاوضات كانت حركة اختيار وسائل حربية مدمرة من القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ والقذائف، تستمر، فإذا كان بلد غير غربي ملك شيئاً منها قامت عدة دول لنزع هذا السلاح، وقد وقعت حرب العراق على هذا الأساس، فكانت الحجة وراء هذا الهجوم وتدمير العراق أنه يمتلك أسلحة ذات دمار شامل، ولكن لم تثبت؛ بل وقد ثبت بعد تدمير العراق أن المعلومات التي هيأتها وكالة المخابرات الأمريكية، كانت كاذبة، واعترف رئيس الوكالة ورئيس الوزراء البريطاني بأن العراق تعرَّض لهجوم عالمي على أساس هذه المعلومات الكاذبة، ولا تزال الأمور غير مستقرة، والآن تُوَجَّه هذه التهمة إلى دول إسلامية أخرى، وتُفْرَض عليها القيود، وفي جانب آخر أن الدولة الصغيرة في العالم إسرائيل تمتلك الأسلحة المدمرة؛ ولكنها لا تواجه أي ضغط أو فرض قيود.

---

(١) المجلد: ٦٤، العدد: ٥، سبتمبر ٢٠١٨م.

وخلاصة القول إن حركة نزع السلاح كانت هجوماً علنياً أدى إلى تضعيف دول الأسلحة المدمرة، وكانت تمتلك عدة دول هذا السلاح المدمر، ومن قِبَل هذه الحركة لم يرتفع صوت ضد امتلاك إسرائيل للأسلحة المدمرة، وأُطْلِقت لها الحرية في اتخاذ أي إجراء تعسُّفي مع سكانها، بل تنال المساعدة والدعم من قوى العالم الكبرى، وإذا بلغ أي إجراء إسرائيل إلى إدانة بعض دول العالم تنسحب أمريكا عن هذه الإدانة حتى الخروج من وكالة حقوق الإنسان، وتمنح إسرائيل الحماية الكاملة لاتخاذ أي إجراء تعسُّفي.

ومثل ذلك كان ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان مؤسَّساً على عدم التمييز على أساس العقيدة والجنس واللون، وأصبحت العلمانية بعد سيطرة أوربا على حكم الكنيسة شعاراً للحضارة المعاصرة، وكانت الاشتراكية أكثر الأيديولوجيات المعاصرة عداءً للدين، والتمييز بين إنسان وإنسان على أساس الطبقة.

رغم هذه الشعارات يجري في العالم اليوم ما يدل على أن سائر هذه الشعارات كانت لها أهداف، منها التدخل في شؤون أي بلد باسم مكافحة التشدد الديني، وباسم امتلاك الأسلحة المدمرة، وباسم صيانة حقوق الإنسان، فإذا قامت منظمات حقوق لجالية في بلد لا تنظر الدول الكبرى إليها بعين الرضا، يتعرض هذا البلد للهجوم والاعتداء، وكذلك التمييز الديني، فإذا كان الفريق الذي يطالب بالحرية على أساس دينه ممن ترضى عنه الدول الكبرى، توفر له الحماية والقوة كما حدث في إندونيسيا والسودان، ولكن عندما يطالب المسلمون بحقوقهم المشروعة في نفس البلد أو البلدان الأخرى يواجهون ظروفاً قاسية، ويُتَّهمون بالإرهاب والتطرف.

وأحدث مثالٍ لهذا التمييز أن إسرائيل أعلنت أنها دولة يهودية، وأعلنت الحكومة الهندية بعد الإجراءات الانتخابية أخيراً أنها دولة هندوسية، وأن المسلمين لا حق لهم في هذا البلد، وتجري إجراءات في بعض الولايات ضد السكان على أساس الدين والعقيدة، وتُشَنُّ عليهم حملات بصورة العنف والشغب.

وفي بورما حدثت مجزرة إنسانية كبيرة حيث جربت أقسى وسائل القمع والوحشية ضد السكان المسلمين في الأراكان، وواجه المسلمون في المنطقة والبلدان الاشتراكية التي يقوم فيها الحكم العسكري أشد ظروف الحياة، ولكن الإعلام العالمي الحرّ الذي ينقل هذه الأحداث لم تحرك دعاة حرية الإنسان إلى هذه الإجراءات.

وقد أعلنت إسرائيل أنها دولة يهودية وسكت العالم، ولما أبدى الرئيس التركي طيب أردوغان إرادته بإعادة الإسلام إلى البلد الذي كان قلعة ضد الغزو الأجنبي قروناً طويلة، وكانت الخلافة رمزاً للوحدة الإسلامية العالمية، وجهت إليه إدانات.

وقد واجهت إجراءات الرئيس التركي الأسبق نجم الدين أربكان لأسلمة بعض مجالات الحياة بدون تمييز بين متبعي الأديان الأخرى، مخالفات، وقامت ضده دعاية عالمية، واعتبرت هذه الإجراءات ضد العلمانية التي أصبحت كلمة مقدسة في الحضارة المعاصرة، وأجبر على التخلي عن الحكومة، ولكن هذه العلمانية هي في الواقع وسيلة لضرب الحركة الإسلامية.

وتقع انتهاكات وخروقات للقانون والمواثيق الدولية في البلدان التي تدعي الحضارة القائمة على أساس صيانة حقوق الإنسان، وعدم التمييز، وعدم التدخل، وتدل على ذلك

الميزانيات التي تملكها الإرساليات التنصيرية في العالم والحرية المطلقة في نشاطاتها في العالم الإسلامي، ولكن العمل للدعوة إلى الإسلام والحق يُعَدُّ عملاً إرهابياً، وتفرض القيود على الكتب الإسلامية؛ بل على كل ما يمت إلى الإسلام بصلة ما.

أما التمسُّك بالدين فهو أيضاً لا يستخدم إلا بالنسبة للإسلام والمسلمين وهى وسيلة لضرب الحركة الإسلامية، فإن هذا التمييز يوجد في الدول الأوربية، وآخر مثال له ما نقلته الصحف.

فقد نشرت "الشرق الأوسط" أن خيرت فيلدرز زعيم الحزب اليمين المتشدد في هولندا «الحرية» طالب بإغلاق كل المساجد في البلاد، واتهم الإسلام بأنه دين الإرهاب، وأنه يجب ألا يكون هناك أي مساجد في هولندا. وجاء ذلك في تغريدة على «تويتر» لليمينى الهولندي المعروف بمواقفه المناهضة للإسلام والمسلمين، وذلك تعليقا على ما نشرته تقارير إعلامية هولندية حول أحد المساجد في أمستردام، وقالت صحيفة «ديتيلغراف» الهولندية اليومية إن مسجد التوحيد كان يتردد عليه عدد من الأشخاص انضموا فيما بعد إلى صفوف تنظيم داعش.

ونشرت الصحيفة، صورة غير واضحة ومن خلف ستارة بيضاء، وقالت إن عددا من المشتبه في علاقتهم بالتطرف يظهرون وهم يجلسون بجوار مدير المسجد، وإنهم ربما كانوا يخططون للانضمام إلى تنظيم داعش أو التخطيط لتنفيذ هجوم، بحسب الصحيفة، التى أضافت أن هذا المسجد مثير للجدل منذ فترة، ويعتبره البعض معقلا للتطرف كما أن المسؤولين في المسجد لا يرحبون بقدوم رجال الشرطة الهولنديين إلى المسجد، وإنما يرحبون فقط بقدوم عناصر أمنية من أصول مغاربية.

وفي تصريحات من لاهاي لصحيفة «دي تيلغراف»، قال البرلماني أرنو روتي من حزب الشعب من أجل الديمقراطية، إنه من غير المعقول أن يظل معقل للتطرف والإرهاب بمنأى عن الملاحقة والعقاب في عاصمة البلاد، كما أن عدم الترحيب بعناصر الأمن من الهولنديين يعتبر صفعة على وجه الدولة الدستورية، وقالت مادلين فإن تورينبرغ من الحزب الديمقراطي المسيحي، إنها شعرت بالصدمة بعد سماع هذه الأخبار، وأضافت أنه لا يمكن أن يكون الدين غطاء للإرهاب والتطرف الخطير ولا يمكن أن تصل الحرية الدينية لهذا الحد «وأشارت البرلمانية الهولندية إلى أن الحكومة كانت تجادل في الماضي بشأن إغلاق المساجد وأعتقد أن الوقت حان لاتخاذ هذه الخطوة".

وأفادت تقارير إعلامية بأن السلطات الدانماركية فرضت أول غرامة لخرق قانون جديد يحظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة.

فقد أفادت الشرق الأوسط أنه: " اعتباراً من الأول من شهر آب /أغسطس دخل القانون الجديد حيز التنفيذ. وأي مخالفة لحظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة سيعاقب عليها بغرامة تبلغ ألف كرون دنماركى (١٣٤ يورو). وإذا تكررت المخالفات، فإن الغرامة يمكن أن تصل إلى عشرة آلاف كرون.

ونددت منظمة العفو الدولية باعتماد القانون، وقالت في بيان "إن كانت بعض القيود المحددة على ارتداء النقاب مشروعة لدواعى الأمن العام، فإن هذا الحظر ليس ضروريا ولا متوازنا وينتهك حقوق حرية التعبير والديانة". ويستهدف الحظر أيضا أشياء أخرى يمكن أن تخفى الوجه مثل اللحى الاصطناعية والأقنعة التى لا تُظهر إلا العيون".

وكانت فرنسا أول دولة في أوروبا تحظر النقاب في الأماكن

العامة مع قانون "يمنع إخفاء الوجه في الأماكن العامة" أقر في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٠ ويطبق منذ نيسان/أبريل ٢٠١١. وينص القانون الذي صادقت عليه المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في ٢٠١٤ على دفع غرامات تصل إلى ١٥٠ يورو لكل مخالفة".

ومن أمثلة هذا التناقض الفكري أن نقد الحضارة الغربية ورفع كلمة الإسلام أصبح جريمة يعاقب عليها، وإن كان علمياً، فإن الحضارة الغربية فيها حسنات وسيئات اعترف بها أصحاب الفكر في الغرب، وكذلك سياسات الدول الكبرى فيها أيضاً مواضع للنقد بحق حرية التعبير، ولكن نظم الحكم في العالم الإسلامي نفسه لا تسمح بهذا النقد. وأما نقد الإسلام وحضارته فهو مسموح به، لا يعاقب عليه؛ بل ينال كل من ينتقد الإسلام ويسيئ إلى سمعته، التشجيع والتقدير والدعم من قبل الدول الكبرى، وإن المحاولات للإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مستمرة.

إنه في الواقع مأساة هذا العالم المتحضر الذي لا يختلف عن القرون الوسطى حيث كان الظلم وقمع الحريات والاعتقالات.

والسؤال هنا ما هو المعنى الصحيح للسلام والأمن، وحقوق الإنسان، والتسامح الديني، والتشدد، والحرية، وعدم التمييز على أساس الدين في مصطلح قادة العالم السياسيين في العصر الحاضر؟.

معايير مختلفة للعنف والأمن[1]

كل من يتابع وسائل الإعلام اليوم من الصحف والإذاءات إلى الإعلام الإلكتروني بوسائله المختلفة التي أصبحت هي بمتناول الجميع بعد أن كانت محدودة زمانياً ومكانياً، يجد في مقدمة ما تتناوله وسائل الإعلام بالبحث والتعليق أعمال العنف ومختلف وسائل عنف وأغراضه، ومنها ما يتعلق بالأغراض الاقتصادية من النهب والاختلاس والاحتيال الماكر لكسب المال من هجوم على أموال، أوالاعتداء على صاحب مال.

وتأتي في الدرجة الثانية أعمال العنف لأغراض خسيسة، التي كثرت وعمت في هذا العصر ويرجع كل ذلك إلى وسائل الإعلام التي تركّز على الأخبار في الصحف كانت أم في وسائل الإعلام الإلكتروني التي يملكها كل من الأطفال إلى الكبار، ويشاهد مناظر مثيرة للهجوم، ويستبيح ارتكاب أعمال عنف إذا لم يجد وسائل تسلية وتهدئة ولم يكن لديه رادع خلقي أو ديني.

وفي الدرجة الثالثة يأتي العنف السياسي الذي يستوي فيه الأفراد والجماعات والحكام والمسئولون، وقد عمّ هذا النوع من العنف في العالم كله، وتحدث وقائعه في سائر دول العالم، لا تستثنى منها أوربا، ويصادف المتابع للإعلام كل يوم خبراً لهذا النوع من العنف، وقد اتخذ هذا العنف سعة وتأثيراً بوسائل ميسرة

---

[1] المجلد: ٦٣، العدد: ٦، أكتوبر ونوفمبر٢٠١٧م.

من العنف، وإذا لم يجد الإنسان وسيلة للقيام بالعنف لتحقيق مقاصده وأهدافه فإنه يختار الانتحار وقد تصاعد عدد الأفراد الذين ينتحرون، ونسبة الانتحار في الدول الراقية أكثر، ففي أوربا واليابان تبلغ نسبة المنتحرين آلافا، وتفيد بذلك الإحصائيات التي تنشرها وكالات حقوق الإنسان.

وقسم آخر للعنف وهو أكثر تأثيراً، هوالعنف السياسي الذي يمارسه الحكام والمسئولون اليوم في مختلف دول العالم لقمع حريات الشعوب في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والخلقية والعقدية حتى في الأكل والشرب، وفي المعاملات والثقافة، فيقدم الحكام حسب معتقداتهم وأهدافهم قوانين تقيد حرية الشعوب.

وقد كان النظام الاشتراكي في مقدمة الدول لقمع الحريات الشخصية وكان المجتمع الديمقراطي الذي يدعي بالحرية المطلقة بعيداً عن هذا النظام، لكنه في الآونة الأخيرة اختار هذا المنهج بأسماء وتعبيرات تلائم سياسته وتناسب هذا النظام الذي يدعي بالحرية المطلقة في العقيدة ونظام الحياة والأكل والشرب والمعاملات ليمارس وسائل العنف باسم مكافحة الإرهاب ومعاداة الحضارة الغربية، وهذا هو التعبير الذي يغطي سائر جوانب الحياة وأحوالها، قد أصبح شائعاً يتصدر المحادثات واللقاءات بين الزعماء في العالم وأصبحت مكافحة الإرهاب في درجة الأرجحيات والأولويات في المحادثات بين القادة.

ولكن الذي يلاحظ في الإرهاب أنه لا يقصد به إلا العمل الإسلامي حقيقة، فإنه تدل على هذا الاتجاه وقائع العالم اليوم، وأمثلته كثيرة، ويركز الزعماء على أعمال عنف فردية إذا نسب هذا العمل إلى المسلمين لكنهم في الوقت نفسه يتجاهلون ويغضون

بصرهم عن أعمال عنف جماعي إذا كان الهدف لهذا العنف المسلمون، وهم عند ذلك يطاطأون الرأس ويمولون وسائل مكافحة الإرهاب في بلد بغض البصر عن الإرهاب الجماعي حتى الإبادة إذا كان عرضتها المسلمون.

وإن الهند لا تستثنى منها، فإن المسلمين يواجهون هجمات منظمة يمارسها الشباب الهندوس المتطرفون حتى في القطارات والحافلات باسم صيانة البقرة، وعمت هذه الظاهرة حتى وبخت المحكمة العليا الحكومة الراهنة التي يقودها حزب بهارتيا جانتا المعروف بعدائه للمسلمبن، ووجهت إليها الأمر باتخاذ إجراءات صارمة ضد المهاجمين وتعيين سلطات خاصة لمراقبة أعمال العنف ومعاقبة المتورطين في أعمال العنف.

كذلك حقوق الإنسان وحرية العبادة إذا كان فريسته غير مسلم فهو مسألة خطيرة لهؤلاء الحكام وإذا كان فريسته المسلمون فلا يبالي بهذا العمل أحد.

ومن الأمثلة الأخيرة لهذا التمييز بين عنف وعنف ما يحدث في مختلف بلدان العالم من حوادث يتعرض لها المسلمون وتهديدات لبقائهم في البلاد واتباع تعاليم دينهم كما يحدث في بورما والشام ومصر ومناطق آسيا الوسطى ودول إسلامية أخرى حيث تتخذ إجراءات لقمع الاتجاه الإسلامي حتى الصلاة.

وإذا كانت الأقلية غير مسلمة فيهتم بها زعماء العالم وإذا كانت مسلمة فلا تستحق في هذا التمييز وأعمال القمع والكبت، اهتمامَ أحد من زعماء الدول في العالم حتى الدول الإسلامية تستحي وتتردد في إثارة هذا التمييز الديني والعنف حتى الإبادة الجماعية.

وأحدث مثال لهذا التمييز في اعتبار العنف وصلاحيته للإدانة ما يحدث في ميانمار التي خرقت سائر الحدود في حقوق الإنسان ونشرت وسائل الإعلام العالمية صوراً للهمجية والبربرية التي يمارسها الفئات المسلحة البوذية في ميانمار، ومما يبعث على الأسف أن الحاكمة المعاصرة قد انتخبت مرشحة لجائزة عالمية نوبل للسلام.

وقد أدان مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة أعمال العنف في ميانمار، فأعرب أعضاء مجلس الأمن الدولى عن قلقهم العميق إزاء تدهور الأوضاع الإنسانية في ولاية راخين في ميانمار، ومع أن المجلس أقر بالهجوم الذي وقع ضد مراكز للشرطة، الذي قام به أفراد يقال إنهم من الروهينغا، إلا أنهم أدانوا العنف الذي تبعه والذي أدى إلى تشريد أكثر من ٣٧٠ ألف شخص، ويمثل هذا العدد نحو ثلث التعداد الإجمالى لأقلية الروهينغا في ميانمار، والذي يقدر عددهم بأكثر من مليون شخص، ولا تعترف حكومة ميانمار بوجودهم وتحرمهم من الجنسية والتعليم والخدمات الأخرى.

وأكد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش على ضرورة إعطاء مسلمى ولاية راخين في ميانمار الجنسية أو على الأقل، في الوقت الحالى، وضعا قانونيا يسمح لهم بعيش حياة طبيعية واصفا وضعهم بـ«الكارثى».

وتناول غوتيريش في مؤتمرصحافي في نيويورك تناول فيه بعض أبرز التحديات الدولية أن «المظالم التى تركت لتستفحل على مر العقود، تصاعدت الآن لتتخطى حدود ميانمار وتزعزع استقرار المنطقة». وقال إن: «الوضع الإنسانى كارثى... إنها مأساة درامية، الأشخاص يموتون ويعانون بأعداد مفزعة ولا بد من وقف ذلك».

وأضاف: «عندما التقيتكم الأسبوع الماضى كان عدد اللاجئين من الروهينغا الذين فروا إلى بنغلاديش ١٢٥ ألفا، زاد هذا العدد الآن ثلاث مرات ليصل إلى ما يقرب من ٣٨٠ ألفا. يقيم الكثيرون في تجمعات مؤقتة أو مع مجتمعات تشارك بسخاء ما تملكه، ويصل الأطفال والنساء جوعى يعانون من سوء التغذية».

وقال غوتيريش إن العنف في ميانمار خلق كارثة إنسانية، مشيراً إلى أن أنشطة الإغاثة التى تقوم بها وكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الدولية، قدُ عرقلت بشكل حاد. ودعا غوتيريش السلطات إلى وقف العمل العسكري وإنهاء العنف واحترام سيادة القانون والاعتراف بحق العودة لجميع من اضطروا لمغادرة البلاد والسماح بوصول المساعدات، وحث جميع الدول على فعل كل ما يمكنها لتوفير المساعدات الإنسانية.

وقد ألغت حاكمة ميانمار أونغ سان سو تشى زيارتها لنيويورك للمشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، فيما تواجه سيلاً من الانتقادات بسبب صمتها حيال العنف الذي دفع أعداداً ضخمة من مسلمى الروهينغا إلى الفرار من ولاية راخين.

واستنكر الزعيم الروحى للتبت الدلاي لاما الثلاثاء الهجمات ضد مسلمى الروهينغا في ميانمار على يد رهبان بوذيين، قائلا إن القتل باسم الدين شيء لا يمكن قبوله.

وقال الدلاي لاما -وهو زعيم بوذي أمام تجمع بجامعة ماريلاند بمستهل جولة له بالولايات المتحدة - إن السبب الأساسى للصراع في ميانمار سياسى وليس روحيا.

واعتبر أن قتل الناس باسم الدين شيء لا يمكن تصوره، وهو

أمر محزن جدا في الوقت الحاضر حتى لو ارتكبه البوذيون في ميانمار، وناشد الرهبان أن يتذكروا وجه بوذا الذي كان حاميا للمسلمين، على حد قوله.

وقد اتهمت منظمة هيومن رايتس ووتش ميانمار بتنفيذ حملة تطهير إثنى ضد أقلية الروهينغا المسلمة، مشيرة إلى أن عددا من المسؤولين في ميانمار ومن قادة المجموعات والرهبان البوذيين نظموا وشجعوا الهجمات في القرى المسلمة بدعم من قوات الأمن.

ورغم هذه الاحتجاجات والتنديدات أفادت الأنباء أن القادة العسكريين قالوا إنهم سيواصلون حملتهم العسكرية لإخراج المسلمين، وإنه لا يوجد خلاف بينهم وبين الحكومة.

وبالإضافة إلى ذلك يواجه المسلمون في مختلف دول العالم التي هم فيها أقلية، تهديدات بإخراجهم من البلاد، وتحدث عمليات إرهابية ضدهم، وتتعرض المساجد والمدارس للهجمات والاعتداءات، وتجبر الدول الإسلامية ـ بحكم كون المسلمين في الأغلبية ـ على تغيير نظم التعليم والتربية وفرض الحظر على حرية العمل باسم تجفيف منابع القوة والعاطفة الإسلامية.

ويعني ذلك أن للإرهاب والظلم والعنف معايير مختلفة ولكل زعيم ميعار ويثير ذلك في الأذهان سؤالاً هل للألفاظ والمصطلحات التي تستعمل اليوم معاني مقررة، أم لكل لفظ معنى ظاهري ومعنى باطني؟.

بين موقف وموقف[1]

إن هناك فارقاً كبيراً ملموساً بين العالم الإسلامي الشرقي، والعالم المسيحي الغربي، ويشاهد هذا الفارق في الظروف السياسية والاقتصادية والتعليمية والتربوية.

لقد أشيع بقوة أن أوربا بعد انتشار العلم فيها، ثارت على الدين، وأنها تحارب الدين، وترفع مكانة العقل والفكر الحرّ على التقليد والأصولية، والأهداف على الوسائل، والمصالح على القيم والمثل، والتطور على الثبات، وأقصى ما تقبله الدول الأوربية في مجال الدين، هي العلمانية، وهو فصل الدين عن السياسة والحياة، وجعل الدين مسألة شخصية.

ولكن دراسة التاريخ والواقع تدل على مخالفة سائر هذه التصورات والنظريات، وكل من يدرس التاريخ والواقع يجد مخالفات لهذه السياسة والموقف حتى في مجالات الخدمة الإنسانية، وما يسمى بالبر والإحسان، ويجد الباحث ميلاً إلى جانب في المواقف والمعاملة والسلوك للدول الأوربية؛ ففي مجال الدين تقوم سائر الدول الأوربية المسيحية بالمساعدة في نشاط التبشير، وتساعد الإرساليات الناشطة في عمل التبشير في العالم كله، وخاصة في العالم الإسلامي، ويسهم في هذا العمل المثقفون والساسة، وتستخدم لدعم هذا النشاط التبشيري وسائل سياسية واقتصادية،

---

[1] المجلد: ٦١، العدد: ١، مايو ٢٠١٥م.

وتتدفق المعونات المالية، وتستغل جمعيات البر والإحسان هذه الوسائل حتى في المستشفيات، وتستغل الكوارث والمآسي الإنسانية لهذا الغرض، وكل من يطلع على وسائل التبشير المهيأة للجمعيات يلاحظ ذلك الموقف من جمعيات التبشير ومنها وسائل الإعلام والنفوذ، وقد تغلغل المبشرون في قطاعات الحياة المختلفة، وخاصة المستشرقون الذين تغير كتبهم ذهن المسلم المثقف بأفكار مغايرة لعقليته وفكره عن الإسلام والتاريخ الإسلامي، فتسرب عدد كبير من المستشرقين في مراكز التعليم في الدول الإسلامية، وكانت مصر في رأس القائمة، وبهم تأثر المثقفون المسلمون، واعتبر هؤلاء المثقفون الكتب المؤلفة في أوربا حول الإسلام والتاريخ الإسلامي مصدراً موثوقاً به، وقبلت أذهان المسلمين في هذه المراكز أو غرس في أذهانهم تفوُّق الغرب في العلم.

ويظهر بذلك تمسُّك أوربا بالمسيحية والفكر المسيحي وغلبته ونفوذه، وبجانب ذلك توجد في الدول الأوربية المسيحية حساسية أو ما يسمى بالغيرة الدينية والولاء للمسيحية والعطف مع المسيحيين في العالم، ويظهر ذلك بأي سلوك مع المسيحيين المنتشرين في العالم أو الرهبان والكنائس، فإذا حدث في أقصى منطقة في آسيا وإفريقيا ما يسيئ إلى المسيحية أو إلى شخص مسيحي فتثور عاطفة الساسة والقادة؛ بل الحكومات التي تدعي العلمانية وإقصاء الدين عن السياسة، وأمثلة هذه الغيرة كثيرة. وقد تحولت عدة مناطق في الدول الإسلامية إلى مناطق مسيحية بالدعوة واستخدام وسائل مادية كما حدث في إندونيسيا والسودان.

وهذا هو واقع في التاريخ للغرب المسيحي الذي يدعي المثقفون

بأنه ثار على الدين أو يعتبر الدين مسألة شخصية، وأحدث مثال له ما حدث في الهند أخيراً؛ إن الحوادث التي وقعت ضد المبشرين، والهجمات على الكنائس، وبيانات المتطرفين الهندوس ضد المسلمين والمسيحيين وإبداء مخططاتهم لإعادتهم، قد دفعت الرئيس الأمريكي على التنديد بهذه البيانات، واضطرت الحكومة الهندية على إصدار بيان بأن الأقليات في الهند ستبقى حرة ومصونة.

والمفارقة بين العالم الأوربي والعالم الإسلامي هو حياد الدول الإسلامية رغم ادعائها بالتمسك بالدين وانتمائها للإسلام، وادعائها بالوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، وعقد مؤتمرات في هذا الصدد، فإذا حدث أي حادث أو مأساة للمسلمين في أي جزء في العالم فلا يحدث صدى في دول الأغلبية الإسلامية ولا ردّ فعل من قبل قادتها وحكامها.

وهذا الحياد من قبل قادة المسلمين في الدول الإسلامية بالنسبة للإسلام والمسلمين هو السبب الرئيسي لتشجيع المسيئين إلى نبي الإسلام والمسلمين حتى ارتكاب المجازر رغم كثرة عدد الدول الإسلامية ذات الأغلبية الإسلامية، وتظهر بعض هذه الدول أنها دول إسلامية، وقد حدثت في العصر الأخير مآسي ومجازر في عدد من الدول غير الإسلامية في أفريقيا وآسيا، ونال قادة الفكر الإسلامي عقوبات وإعدامات، وتستمر هذه السلسلة من الحوادث المسيئة للإسلام والمسلمين، ولكن لا تثير هذه الأحداث المؤلمة أي ردّ فعل، وقصة الصور الكاريكاتورية المسيئة والكتب المسيئة للإسلام وخاصة السيرة النبوية وحياد قادة الدول الإسلامية في هذه الإساءات معروف.

بجانب تدفق المعونات المالية إلى جمعيات غير إسلامية

مسيحية وغير مسيحية، فُرضت قيود على المعونات للعمل الإسلامي وإن كان غير ديني، حتى جمعيات البر والإحسان والإغاثة تعرضت للقيود بعنوان مكافحة الإرهاب.

ومن هذه المفارقة بين الفكرة والسلوك، المواقف إزاء العلمانية، فالعلمانية في الدول غير الإسلامية لا تعني معاداة الدين، وتميل الحكومات إلى رغبات الجماهير، وتحترم عقائدها، وتشترك حكامها في مناسبات دينية، ولكن العلمانية في الدول الإسلامية تعني معاداة الدين، ومشاركة أي قائد في مناسبة دينية تعتبر مخالفة للعلمانية، وقد أدين زعيم في بلد إسلامي علماني على عقد مأدبة إفطار أو زيارة بلد إسلامي، واعتبرت إجراءات الزعيم التركي طيب أردوغان ليتخذ بعض إصلاحات، بأنه يريد أسلمة البلد التركي العلماني.

وقد غيرت أقلية غير إسلامية في عدد من الدول النظام السياسي، ولم يخف البابا وقادة أوربا عطفهم مع المسيحيين في بعض الدول الإسلامية.

يواجه المسلمون اليوم تهديدات، وتجري حملة كراهية الإسلام والمسلمين، وتشن هجمات على المساجد ومراكز التعليم والمؤسسات الإسلامية، ولا يثير ذلك أي ردّ فعل في القادة المسلمين ولا تؤثر على علاقاتهم ومعاملات بلدانهم مع المسيئين والمعاندين، وفي أقرب مكان من جوارهم ما تقوم به إسرائيل من إجراءات تعسفية ومعاناة العرب الفلسطينيين بأيديهم.

إن هذا الموقف للحياد يشجع الأعداء على التصرف مع المسلمين حسب مثلهم ومصلحتهم، وكانت الأخوة الإسلامية وتصوُّر الأمة الإسلامية حتى التعاليم الإسلامية تقتضي مساندة

المظلوم ـ سواء كان مسلماً أو غير مسلم ـ ونصرته وحراسته، فضلاً عن كونه مسلماً، والإسلام دين العدل وإنقاذ البشرية من الجور، كما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر أمام قائد الفرس رستم: ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقال سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه في قضية مسيحي في مصر: متى استعبدتهم وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

أما المسلمون فهم أحق بنصرة إخوانهم، والإسلام يؤكد على نصرتهم وحمايتهم من تحريف وتشكيك والاعتداء عليهم، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ولكن الوضع السائد في الدول الإسلامية من صراعات دموية على السلطة يخيب الأمل، وينذر بخطر جسيم على وحدة الأمة، فكيف يرجى من الدول الإسلامية حلُّ القضايا والمشاكل فضلا عن إسعاد البشرية وإنقاذها من الظلم والظلام؟

وما لم يتغير هذا الموقف من الدول الإسلامية تستمر معاناة المسلمين في العالم.

الجهالة أو الغباوة؟![1]

إن تجربة أوربا مع الدين، ومع رجال الدين، أو مع الكنيسة ورجال الكنيسة، تختلف عن تجربة الشرقيين، ويرجع ذلك أساسياً إلى سلوك رجال الكنيسة في عصر الظلام، ورد الفعل الذي كان نتيجة لهذا السلوك في عصر النهضة، وتختلف هذه التجربة عن تجربة المسيحيين في المناطق الأخرى حيث لم يفرض حكم الكنيسة، ويختلف موقف الكنيسة في المناطق الأخرى عن موقف الكنيسة في أوربا، وهذه حقيقة لا ينكرها من يدرس دور الكنيسة في العصر الذي يعتبر عصر الظلام.

إن تعبير عصر الظلام يدل على دور الكنيسة في سلب الحريات، وحتى في كسب العلم، واتخاذ إجراءات قاهرة ضد من يخالف القيود المفروضة من قبل الكنيسة، وقد كتب الكاتب العربي المعروف عباس محمود العقاد في مقاله عن فولتير الذي يعدّ من رواد الحرية أن فولتير لم يكن من أعداء الدين؛ بل كان من أعداء رجال الكنيسة، وموقف الكنيسة في القرون المظلمة معروف يعترف به كل من يعتنق الدين المسيحي، فكان هذا الموقف من قبل الكنيسة الذي ترجع مسئوليته إلى تسلم الكنيسة السلطة الكاملة، ولا يستثنى منها الحكام، وتدل على ذلك الحروب الصليبية التي فرضها على أوربا راهب فاتبعه الحكام في أوربا كلها، فلم يجرأ أحد منهم على أن يبدي رأيه ضد هذه الحروب التي شنها راهب.

---

[1] المجلد: ٦١، العدد: ٢، يونيو٢٠١٥م.

واتفق المؤرخون على أن هذه الحروب التي أدت إلى خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، قد شنها راهب، وبعد مئات من السنين التي سفكت فيها دماء، ودمرت مناطق شاسعة، والخسران في مقاصد الحرب، اعترف حاكم فرنسي لويس التاسع أن الحروب لا تجدي، وأوصى عند موته أن يختار طريق آخر غير الحرب لكسب مقاصده، وعلى وصيته رفعت الكنيسة القيود عن العلم.

وبدخول أوربا في ميدان العلم والمعرفة والبحث ثار بعض الباحثين ضد الكنيسة ؛ بل ضد الدين، ومع الثورة على الدين بجراء تجربتهم مع الكنيسة في قرون الظلام نحو ألف سنة، ثاروا على القيم والأدب مع الدين، ورجال الدين وزعماء الإصلاح والدعاة إلى إصلاح النفوس، فأكب أهل العلم والمعرفة على كسب المعرفة والرقي في ميدان الاختراع والاكتشاف والبحث عن وسائل أفضل للحياة والحرية المطلقة في منهج الحياة والتعامل مع الناس، والانتقام من رجال الدين والقيم التي تقيد منهج الحياة والتعامل مع الناس، والجوانب الروحية في الحياة، فأصبحت أوربا راسخة في العلم والمعرفة وهي لا تزال قدوة لغيرها، ورغم انتشار الجامعات ومدارس البحث والتحقيق في غير أوربا لا تزال أوربا في مقدمة قافلة العلم والمعرفة لاستمرار البحث والتحقيق.

تقدمت أوربا في البحث والتحقيق، ولكن مع الأسف الشديد أن نفسيتها التي نشأت خلال الحروب وبعدها، لم تتغير ولم تنجب أوربا في العهد الطويل مصلحاً أو مربياً في ميدان الأخلاق والأدب مع الناس ولم تغير الموقف بالنسبة للدين ورجال الدين.

وتظهر مظاهر هذه الغلبة الظلامية، الغلبة الجاهلية حيناً بعد حين.

ومن الغريب أن هذه الغلبة غلبة العداء ضد الإسلام

والمسلمين تظهر من رجال الكنيسة نفسها ويظهر تمييزها بين مختلف الأديان ورجالها.

كان موقف الباحثين في أوربا بعد أن رفعت الكنيسة الحظر عن العلم والمعرفة، ينقسم إلى قسمين: قسم البحث والتفكير الحر، والاعتماد على العقل ولا النقل وحده، ذلك سبب تقدم أوربا في العلم والمعرفة، فإنها تتقدم باستمرار من خلال البحث عن مجالات جديدة للعلم والمعرفة، وبذلك تنتشر الاكتشافات في مختلف ميادين الحياة من المواصلات والاتصالات والطب والهندسة ويستفيد بها المستفيدون.

وموقف طائفة أخرى في العلم هو الهجوم على الإسلام والمسلمين وتاريخهم، والكشف عما لا تفهمه عقولهم، فأغرقوا المكتبات ببحوثهم المضللة لكي تتغير معرفة الأصل عن الإسلام وتاريخه، وهؤلاء هم المستشرقون، والكتاب المتأثرون ببحوثهم التي ظهرت في عصر النهضة، صنفوا كتبا أحدثت في النفوس كراهية للإسلام والمسلمين، لأن هذا الموضوع كان مقصود الكتاب، وفرضت الكنيسة التي سمحت بكسب العلم، هذا القصد.

واستمرت هذه الكراهية إلى هذا العصر، وقد أشار إليه سيد قطب الشهيد عندما زار أمريكا لدراسة النظام التعليمي، وبعثته لذلك حكومة مصر، وكان مثقفاً بالثقافة الغربية نتيجة لنظام التعليم والتربية في مصر، ولم يكن في ذلك الوقت تابعاً لأي حزب إسلامي أو حركة إسلامية، وكان موضوع بحثه التعليم العصري، ولكنه كان في كل مجلس يواجه هذه الكراهية، فنشأ في نفسه سؤال لماذا نعاكس؟ وذكر ما واجهه على أساس انتمائه إلى بلد مسلم.

نجد مظاهر هذه الكراهية الموروثة العفنة في هذا العصر عصر

المعرفة الحرة وعصر التعامل العالمي وعصر التقاء الشرق بالغرب ومواقع الاختلاط والامتزاج للدراسة الحرة.

ومن هذه المظاهر صدور كتب ضد السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والشخصيات الإسلامية وصور كارتونية حيناً بعد حين مع معرفة أصحاب العلم وخاصة الذين هيئت لهم فرص الاختلاط بالمسلمين، عن نبيهم الكريم الذي يعتبره حتى مسلم غير متدين أحب وأكرم من والده، وعرضه أقدس من عرضه قال شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

وجاء في الحديث الشريف عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ". وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " (التوبة: ٢٤).

وهذا الحب لذات رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على إيمان كل مسلم ولم يتغير رغم مرور الزمن، وفي هذا العصر المادي يشهد العالم مظاهر هذا الحب حيث تؤدي أدنى إساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ثورة في نفوس المسلمين، ولا يتردد حتى السوقيون الذين لا معرفة لهم عن الإسلام والمسلمين في تقديم تضحيات، ويعتبرون ذلك شرفاً لهم.

إن كتاب سلمان رشدي أثار غضباً عالمياً وأصبح رشدي بذلك رجلاً مطروداً لا يستطيع أن يزور بلداً إسلامياً، وقد اضطر إلى إلغاء زيارته للهند عدة مرات رغم انتمائه إلى الهند، وتقضي الكاتبة البنغالية تسليمه نسرين حياة انعزال على كتابها "العار".

يعلم ذلك من له أدنى علم بالحياة المعاصرة، فإن الإعلام ينقل ردود فعل على مثل هذه الإساءة، ولكن رغم هذا العلم تتجدد محاولات للإساءة على ذات الرسول صلى الله عليه وسلم.

فقبل سنوات نشرت جريدة " جيليندس بوستن" الدنماركية صورا كورتونية ضد ذات الرسول صلى الله عليه وسلم وأعادت نشرها عدة مرات، ثم أساء اليميني المتطرف خيريت وائلدرس إلى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم بمقالاته ورسومه الكاريكاتيرية المسيئة، فأثارت هذه الإساءات ردود فعل في المسلمين وقامت مظاهرات واحتجاجات في بعض البلدان الأوربية، وفي يناير من هذا العام(٢٠١٥م) نشرت مجلة "شارلي إيبدو" الفرنسية صورا مسيئة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، فأثارت ردود فعل في النفوس ذهب ضحيتها عدة نفوس، وأخيراً (٣/ مايو ٢٠١٥م) قامت بعض النفوس الثائرة بالهجوم على صالة كيرتس ول في ضاحية غارلاند من مدينة دالاس بولاية تكساس حيث عقد معرض رسوم كاريكاتيرية عن النبي صلى الله عليه وسلم في إطار منافسة بين رساميها، فذهب ضحيته عدة نفوس من الجانبين.

يعلم أهل الغرب هذه المشاعر ولكن لا تنقطع سلسلة الهجوم على الإسلام وخاصة ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وتؤدي

هـذه الحمـلات المهينـة إلى خسـائر في الممتلكـات وتـذهـب ضـحيتها نفوس الأبرياء والغيارى.

إن هذا السـلوك يـدل على الغـي والعنـاد والكراهيـة الدفينـة في النفوس، ولا يدل على العلـم، وإن الـذين يتعمـدون هـذا العمـل إذا أسيئ إلى ما يعتزون به في النسب والعقيدة والسلوك، تثور حفيظتهم.

يقول بعض المفكرين في الغرب أننا نعادي الإسلام والمسلمين لأنهم يعادوننا، وإن الإسلام خطر على الغـرب، وذلـك لتجـربتهم في التـاريخ عنـدما كـان المسـلمون القـوة العالميـة في عهـد الخلافـة العثمانية التي كانت ملوك فرنسا وبريطانيا يطيعون الخليفة بغاية من الإكرام والإجلال والـولاء، لكـن أوربـا انتقمـت في عهـد سلطانها على العالم في عهد الاستعمار عنـدما قامـت بتغيير مجرى التـاريخ، ووجهت سائر جهودها إلى طمس معـالم الإسـلام، واتخذت سـائر الإجراءات لإذلال المسلمين وتشويههم، واتخذت أقسى الإجراءات ووسائل الاستبداد، ثم فرضت الحروب والصراعات الـتي أدت إلى سفك الدماء، ولا تزال هذه السياسة جارية في مختلف أنحاء العالم.

لكـن عاطفـة الانتقـام وحرارتهـا لم تخمـد سـائر هـذه المظـالم والقهر والتزوير، فعلى ما يدل هذا السلوك؟ الجهالة أو الغباوة؟.

إن الإسـلام يـدعو أتباعـه إلى احـترام الأديـان، وفي القـرآن قصص الأنبيـاء والمرسلين والصـالحين وردت في مواضـع كـثيرة بـل متكررة، ولم يذكر بعـض المصـلحين والمنـذرين بالأسمـاء بـل يقـول "لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا" [الفرقان: ٥١].

أمـا عيسـى عليـه السـلام فقـد ذكـره القـرآن بغايـة مـن المحبـة والإكرام "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [آل عمران: ٥٩] وكذلك وردت آيات كثيرة في سورة المائدة والصف ومريم بشأن عيسى والسيدة مريم عليهما السلام.

فكان من حق المسيحيين أن يحملوا عاطفة الإحسان والإكرام إزاء الإسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم.

ولكن يقول مثل: "إذا فقد الحياء فافعل ما شئت".

وردُّ الإحسان بالإحسان جزء من الأدب والخلق الحسن، فإذا فقد الإنسان القيم الخلقية والأدب فهو حر في سلوكه.

إن مثل هذه الاعتداءات على الدين وخاصة على الإسلام تطالب بأن توضع قوانين لاحترام الأديان ورجال الدين في دساتير العالم وخاصة في ميثاق حقوق الإنسان وكذلك تطالب باحترام العقيدة.

مسئولية منظمة الأمم المتحدة لحل مشاكل الإنسانية[١]

لقد أنشئت منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وظهرت إلى حيز الوجود بصفة رسمية في ٢٤/أكتوبر/١٩٤٥ م، عندما تم التصديق على ميثاقها من قبل الدول المنتصرة في الحرب، خصوصاً الدول الكبرى: الولايات المتحدة الأمريكية، المملكة المتحدة، فرنسا، الاتحاد السوفيتي، الصين، إلى جانب الدول المؤسسة لهذه المنظمة الدولية، وحددت أهدافها بأنها تسعى إلى عدة أغراض، منها:

١. حفظ السلم والأمن الدوليين.
٢. إنماء العلاقات الودية بين الدول.
٣. تحقيق التعاون الدولي على حل المشكلات الدولية ذات الصبغة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الإنسانية.
٤. أن تكون مركزاً لتنسيق جهود الأمم في سبيل بلوغ هذه الأهداف المشتركة.

فقد كان قيام منظمة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٥م لغرض نبيل، وقد مرَّ العالم كله بمعاناة بشرية قاسية خلال الحرب الكونية التي انتهت بإلقاء قنبلة ذرية على هيروشيما وناجاساكي في اليابان، ذهب ضحيتها ألوف من الناس، ولا تزال آثار هذه البربرية تلاحظ، فاجتمعت القوى العالمية التي مرت بهذه التجربة المريرة،

---

[١] المجلد: ٦٠، العدد: ٦، ديسمبر ٢٠١٤م.

لإنشاء منظمة تحمي الإنسانية في مثل هذه الكارثة، ووضعت في مقدمتها اتخاذ إجراءات لمنع نشوب حرب جديدة، وحل المشكلات التي تحدث في الحياة الفردية والجماعية لطبائع الإنسان المختلفة ودوافعهم المادية، بطرق سلمية، وإذا أصر فريق من المحاربين على الحرب بتدخل قوة عالمية، كان منعه بطريق أو آخر.

ولهذه المنظمة وكالات مختلفة كحقوق الإنسان، والتعليم والتربية، ونشر القيم الحضارية، والإسعاف والإعانة في أحوال الكوارث الطبيعية والصراعات والنزاعات.

وقامت هذه المنظمة بدورها المطلوب مدة طويلة رغم انقسام العالم إلى الاشتراكي والرأسمالي، وقامت بحل نزاعات وصراعات، وكان بفضل هذه الجهود تحرُّر عدة بلدان من الاستعمار الغربي وعضويتها في هذه المنظمة، وكل عضو كان له من قبل المنظمة اعتراف وضمان لسلامته وبقائه وحقوقه لتدخل المنظمة ووكالاتها، فكانت المنظمة كلما حدثت أية مشكلة ترسل مراقبين يدرسون المشكلة ويقدمون حلولها، وللمنظمة مجلس الأمن المتكون من خمسة أعضاء، وهذا المجلس يخول المنظمة باتخاذ تدابير وقائية.

وقد مرَّ العالم بصراعات ونزاعات، تهدد بالحروب، ولكن تدخل المنظمة حال دون اتساع هذا الصراع، وبذلك احتفظت الدول الأعضاء بسلامتها الإقليمية وسيادتها، وأجبر المعتدي على الانسحاب، ولم يسمح بأن يستمر.

ولكن منذ مدة أصبحت هذه المنظمة وجمعيتها كمنبر لإلقاء محاضرات، وفقدت صلاحيتها لاتخاذ تدابير وقائية، وذلك لتدخل بعض القوى الكبرى التي تحمي المعتدي وتحول دون اتخاذ إجراء

رادع ضده، وموقف بعض الدول التي تحظي بقوة كبيرة لرفض قرارات الأمم المتحدة، ولذلك وقعت عدة دول فريسة للاعتداء السافر، وفقدت سلامتها وأمنها، وكانت إسرائيل طول هذه المدة رغم عضويتها تقف موقف عدم المبالاة بقرارات الأمم المتحدة، وتتمتع بحرية كاملة لاتخاذ أي موقف ضد ميثاق حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة لإقرار الأمن والسلامة، ولا تجترئ أي دولة أن تستنكر هذا الموقف خوفاً من سخط الدول التي تحميها.

ولأول مرة قام السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة بإدانة إسرائيل وهو الصوت الوحيد الذي ارتفع من قبل مسئول للأمم المتحدة منذ الإجراءات التعسفية التي تمارسها إسرائيل، وننقل هنا بيانه الذي أدلى به بعد زيارته لقطاع غزة ذكر فيه ما شاهده في غزة من بربرية الجنود الإسرائيليين بحق الشعب الفلسطيني.

قال بان كي مون، في مؤتمر صحافي عقده في غزة، بعد أن تفقد مشاهد الدمار، إنه يسره أن يبشّر سكان قطاع غزة بأن أول شاحنة محملة بمواد البناء دخلت القطاع اليوم. كما أعلن أن موظفي القطاع العام في الحكومة السابقة (حماس) سيتلقون قريباً هبات مالية. لكنه أكد أن ذلك ليس كافيا، وأنه يجب حل مشاكل المعابر، في إشارة إلى تسلم السلطة الفلسطينية لهذه المعابر من أجل الاستمرارية.

وقال بان كي مون بهذا الخصوص «إن إدارة المعابر في قطاع غزة أمر مهم جدا، وهذه العملية ستمكن من التحكم والتبادل التجاري بين الضفة وقطاع غزة.. أنا ركزت في حواراتي مع الحكومة الإسرائيلية على أنه لا يمكن حل مشاكل قطاع غزة دون حل هذه المشاكل، وهذا سيشمل لاحقاً رفع الحصار عن قطاع غزة، وفق

الاعتبارات الأمنية الإسرائيلية، ويجب على الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي العودة إلى المفاوضات وحل كل هذه المشاكل، وإلا سيعود العنف مرة أخرى.

وعبر بان كي مون عن الحزن مما شاهده من دمار في غزة بعد زيارته حي الشجاعية، وقال متأثراً «أنا هنا في مهمة ثقيلة على قلبي، الدمار الذي رأيته هنا يفوق الوصف. هذا الدمار الذي رأيته أكثر بكثير من الدمار الذي رأيته في ٢٠٠٩ عندما أتيت إلى غزة.

وقال بان كي مون «أنا هنا لكي أقول للشعب الفلسطيني: أنتم لستم وحدكم أنا أقف بجانبكم.. وأعضاء وموظفو الأمم المتحدة سيقفون إلى جانبكم دائما، بل كل المجتمع الدولي يقف معكم». وأضاف «أريد أن أوجه التعازي الحارة لكل العائلات التي فقدت أبناءها ولكل الذين فقدوا أحباءهم، وأتمنى الشفاء العاجل لكل الذين أصيبوا".

لقد كان من أسباب قيام هذه المنظمة إقرار الأمن وردع الاعتداء من قبل القوى الكبرى على الدول الصغيرة، وحل النزاعات وتوفير إمكانيات الإسعاف في المحنة، سواء كانت طبيعية أو بشرية، ولكن هذه المنظمة أصبحت عاطلة بل مكبلة بالقيود من قبل الدول الكبرى، ولذلك تبقى المشكلات الناشئة في المجتمع بدون حل، وتتوسع دائرتها، وكان أحدث مثال سوريا حيث تستمر المأساة الإنسانية، وقد اضطر مئات الإنسان من سكانها إلى النزوح إلى تركيا والبلدان المجاورة، فكانت تركيا أكثر تعرضاً لوقع هذه الحرب الطاحنة التي تستمر بتأييد الدول التي لها مصالح في بقاء هذا النظام.

وقد ألقى الرئيس التركي خطاباً في الدورة التاسعة والستين

للجمعية العامة للأمم المتحدة، وذكر فيه مسئولية هذه المنظمة في مثل هذه الظروف، وشكا عدم تحملها لهذه المسئولية، قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان:

"في الوقت الذي تم فيه الانقلاب على رئيس منتخب من قبل الشعب، وقتل الآلاف ممن خرجوا يسألون عن مصير أصواتهم، اكتفت الأمم المتحدة والدول الديمقراطية، بمجرد المشاهدة وأضفوا شرعية على ذلك الانقلاب، فلو كنا نحترم الديمقراطية علينا أن نحترم نتيجة الصناديق، لكن إذا كنتم لا تحترمون الديمقراطية، وتدافعون عمن جاءوا بالانقلابات، فلما إذن الأمم المتحدة موجودة؟".

وأفاد أن الدورة الـ٦٩ للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة حاليا تتزامن مع الذكرى المئوية للحرب العالمية الأولى التي اندلعت في العام ١٩١٤، وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من مرور فترة زمنية بلغت ١٠٠ عام، إلا أننا نشاهد بكل حزن وأسف أن المناطق الجغرافية التي كانت مسرحا لتلك الحرب، لازالت محرومة من الاستقرار والرفاهية والسلام، من سوريا للعراق، ومن فلسطين لليمن ومن مصر لليبيا ومن أفغانستان لأوكرانيا، منطقة جغرافية واسعة لازالت تعج في أزمات عميقة".

وأشار إلى أن "١٧ ألف طفل سوري لقوا حتفهم في الحرب السورية، بينما أُصيب ٣٧٥ ألف آخرين، و١٩ ألف فقدوا عضوا على الأقل من أعضائهم، وأن ٤٩٠ طفلا فلسطينيا لقوا حتفهم في العدوان الذي استهدفهم في قطاع غزة، وأُصيب ٣ ألاف آخرين".

وأكد "أردوغان" أن هذه المجازر والجرائم تُرتكب على مرآى ومسمع من العالم، مضيفا "الأمهات قُتلن وهن يحملن أطفالهن في

أحضانهن أمام العالم أجمع، وأمام كاميرات المصورين الصحفيين، وعرضتها شاشات التلفاز، قُتلن وهن في بيوتهن وفي الأماكن الآمنة اللاتئ لجئن إليها، وأطفال آخرون قتلوا وهم يلعبون على الشاطئ"، وأضاف: "ولقد شاهدنا أن هناك من سعوا لإسكات من كانوا يحاولون لفت أنظار العالم إلى تلك المجازر، سعوا في ذلك تحت تسميات مختلفة"، متابعا: "ليس هذا فحسب بل كل من حاول الاعتراض على ما يجري في سوريا من جرائم، وما جرى في مصر من قتل للديمقراطية، تعرضوا لعدد من الاتهامات الباطلة التي لا أساس لها، حيث تم اتهامهم على الفور بدعم الإرهاب ومساندته".

وتطرق الرئيس التركي خلال كلمته إلى القضية الفلسطينية، وقال بشأنها: "القضية الفلسطينية مستمرة منذ نصف قرن، هذه القضية التي تعتبر سببا في العديد من القضايا بالمنطقة، وأنا أؤكد أن تفعيل حل القضية الفلسطينية القائم على أساس دولتين، ورفع الحصار عن قطاع غزة، وتأسيس دولة فلسطينية مستقلة دائمة إلى جانب إسرائيل، ضرورة أخلاقية وإنسانية وسياسية.

وأوضح أن مصير الدول بات محكوما بشفتي دولة من الدول دائمة العضوية بمجلس الأمن، مضيفا "بات مجلس الأمن الدولي عاجزا عن إيجاد حلول في الوقت الذي شهدنا فيه مقتل نحو ألفي شخص في قطاع غزة في عدة أشهر، ومقتل أكثر من ٢٠٠ ألف في سوريا منذ بداية الأزمة التي مضى عليها ٤ سنوات، فضلا عن نزوح ما يقرب من ٩ ملايين شخص"، وانتقد أردوغان صمت المجتمع الدولي حيال مقتل ٢٠٠ ألف سوري بالأسلحة التقليدية،

بينما تحرك بشكل عاجل حينما تم استخدام الأسلحة الكيميائية، مضيفا "أي شيء هذا، وأي عقلية تلك، استخدام أي سلاح يؤدي إلى مقتل إنسان وزهق أرواح، جريمة تقليديا كان أو كيميائيا".

وعندما ترجع مسئولية استمرار هذه المآسي إلى عدم تحرُّك الأمم المتحدة ووكالاتها وخضوعها الكامل للدول الكبرى، ترجع إلى الوسائل الإعلامية أيضاً التي تبرز صوراً وتخفي صوراً وقد ظهر هذا الانطباع في خطابات زعماء الدول الأخرى أيضاً الذين شكوا عدم تدخل الأمم المتحدة في وقاية المعتدى عليهم في العالم من الاعتداء وعدم فعاليتها في الميادين التي أنشئت المنظمة من أجلها.

إن تعطل الأمم المتحدة وتبعيتها للدول الكبرى هو السبب الرئيس لاستمرار الاعتداءات المسلحة في مختلف أنحاء العالم وإذا لم يوضع حد لهذا الوضع فإن هذه الصراعات الإقليمية ستحول العالم إلى حرب عالمية ثالثة تكلف الإنسانية أكثر مما كلفته الحربان السابقتان لتقدم الصناعة العسكرية واختراع أسلحة أكثر تدميراً.

في اليوم العاشر من شهر ديسمبر الذي يحتفل به العالم كل عام كيوم حقوق الإنسان، يقتضي دراسة وضع حقوق الإنسان في مختلف أجزاء العالم، وأن يوجه انتباه إلى هذه المنظمة لكي تدرس بربرية الدول المعتدية، وتتخذ تدابير لمنع ما يقع من خرق لحقوق الإنسان، وضمان سلامة الدول الإقليمية وأمنها وخاصة أمن الأقليات في العالم.

مسئولية الأمم المتحدة في تسوية النزاعات وإقامة الأمن في العالم[1]

"كان السعيُ لصيانة حقوق الإنسانِ أحدَ أهمّ الأسباب التي قامت من أجلها الأمم المتحدة، كانت أدت الأعمال الوحشية والإبادة الجماعية في الحرب العالمية الثانية إلى إجماع عام على أن تعمل الأمم المتحدة ما بوسعها لمنع مثل هذه المآسي في المستقبل، هذا الهدف المبكر أصبح إطاراً قانونياً لاحتواء وحلّ الشكاوى المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان.

ويلزم ميثاق الأمم المتحدة كل الدول تشجيع " الاحترام العالمي ومراعاة حقوق الإنسان" بالقيام بالأعمال التعاونية لذلك الهدف، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ليس ملزماً قانونياً إلا أن الجمعية العامة قد تبنته في سنة ١٩٤٨م كمعيار مشترك لطموح الإنسانية جمعاء، والجمعية العامة تتابع قضايا حقوق الإنسان بانتظام، وإن لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة (UNHRC) هي الجزء الأساسي من الأمم المتحدة الذي يأخذ على عاتقه التشجيع لاحترام حقوق الإنسان ونشرها من خلال التحقيقات والمعونات التقنية.

وتأسَّس مجلس حقوق الإنسان كهيئة حكومية متعددة الأطراف تبعاً لاعتماد قرار الجمعية العامة رقم ٢٥١/٦٠ بتاريخ

---

[1] المجلد: ٦٤، العدد: ٧، نوفمبر ٢٠١٨م.

١٥/ مارس ٢٠٠٦م، ويتكون المجلس من ٤٧ عضواً يمثلون الدول الأعضاء في الجمعية العامة على أساس التوزيع الجغرفي العادل، ويتبع المجلس في إجراءاته الجمعية العامة، ويُعدّ أحد أجهزتها الرئيسة، لقد تم تأسيس المجلس ليحلّ محلّ لجنة حقوق الإنسان المنتهية ولايتها عام ٢٠٠٥م، ويتولى ذات المهام المتعلقة بتشجيع احترام حقوق الإنسان، ويختلف عن سابقة بحيث يعطي للدول مجالاً أكبر لتقييم الذات ومراجعة سياساتها العامة وتحديد أولوياتها في معالجة القضايا الهامة بالنسبة لشعوبها".(موقع ويكيبيديا)

قد قامت الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية بدورها المطلوب في تسوية النزاعات التي نشأت في عدة دول من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وهددت بحدوث صراعات مسلحة، كما تدخلت في الحروب التي حدثت في عدد من الدول بإرسال مبعوثيها لحلّ أسباب الصراعات، وأرسلت مراقبيها للمراقبة في المنطقة التي حدثت فيها الصراعات بمنع الفريقين في النزاع من اتخاذ إجراء تجدُّد الصراع.

وقد وصل تدخُّل الأمم المتحدة إلى حدّ إرسال قوة أممية مكونة من ممثلي عدة دول لمواجهة الظروف المتأزمة في المنطقة، كان منها كوريا والصومال وكونغو وفلسطين بعد الصراع بين إسرائيل والدول العالمية، وأماكن أخرى، وكذلك قامت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بمراقبة أوضاع حقوق الإنسان في العالم كله، ونشر تقارير تطلع على الوضع الأمني، ومن ضمن حقوق الإنسان كان وضع الأقليات الدينية والعنصرية في مختلف بلدان العالم، وبذلك أمكن السيطرة على وضع الأمن والسلام العالمي إلى حدّ كبير، ومنع الصراعات من التوسُّع.

ولكن إجراءات أمريكا في العصر الأخير بعد استكانة الدول الأوربية الأخرى كفرنسا وبريطانيا ومحاولة الهيمنة على العالم واللجوء إلى إجراءات تعسفية وعدم المبالاة بدور الوساطة للأمم المتحدة ومسئوليتها لحل الأزمات، قد أدت إلى عجز الأمم المتحدة عن القيام بدورها كالوسيط وتأدية واجباتها، وتجرأت بعض الدول على اتخاذ إجراءات تعسفية بدون احترام لحقوق الإنسان وعدم سماعها لنداء الأمم المتحدة.

وكذلك هناك محكمة العدل الدولية في هيغ التي قامت بمحاكمة مجرمي الحرب في الماضي، فكان آخر مثال لإجرائها المسئول العسكري عن المذبحة التي وقعت في بوسنة وهرسك، وكانت بتأثير هذا الموقف اتخذت قوات الناتو إجراءاً عسكرياً لإنهاء المأساة التي كانت تجري ضد المسلمين في هذه المنطقة.

وكان هذا الدور للوساطة في الأزمات مسئولاً إلى حدّ عن التدخُّل في النزاعات والصراعات في مختلف أنحاء العالم، ومن المؤسف أن الأمم المتحدة قد فقدت تأثيرها، فعجزت عن تمثيل دورها في حل المآسي البشرية في مختلف دول العالم، فإن ارتفاع الولايات المتحدة إلى موقع الهيمنة العالمية يثير الشكوك حول دور وتأثير الأمم المتحدة.

وأحدث مثال لذلك بيان رئيس أركان الجيش لبلد أصغر في دول العالم في الخريطة "ميانمار" حيث يتعرض رجال الأقلية الإسلامية منذ سنين للمأساة التي أدت إلى تشريد سبع مائة ألف شخص إلى بلد مجاور بعد أن قامت القوات المسلحة في هذا البلد بقتل وتشريد ووحشية وبربرية، وقد بلغت هذه المأساة إلى حدّ أن قداسة البابا زار

هذه المنطقة وأبدى أسفه على هذه المجزرة البشرية، وقد أدت الدولة الإسلامية المجاورة بنغلاديش دوراً لائقاً في إيواء سبع مائة ألف من مسلمي الروهينجا، وتحملت نفقات هذه الإغاثة، وإنها تستحق أن تنال المعونة العالمية خاصة من الدول الإسلامية في أعمال الإغاثة.

ولكن المهمّ في هذا الصدد الذي يدل على حالة الضعف للأمم المتحدة أن قائد الجيش الميانماري في هذا البلد الصغير يهددها بإدلاء بيان أخير وهو إنذار مباشر للأمم المتحدة، فقد أعلن في بيانه الذي نشرته صحيفة "الدستور": أن المنظمة الدولية «لا تملك حق التدخل» في الشؤون الميانمارية، وذلك في أول رد على الاتهامات بحدوث «إبادة» التي أطلقتها المنظمة الدولية في أزمة الروهينغا، وكان رجل ميانمار القوي يرد بذلك للمرة الأولى على تقرير قاس لبعثة تحقيق تابعة للأمم المتحدة، نشر أخيراً ويتهم العسكريين الميانماريين بارتكاب «جرائم ضد الإنسانية» و«جرائم حرب".

وقال الجنرال مين أونغ هلاينغ في بيانه: «لا يملك أي بلد أو منظمة أو مجموعة حق التدخُّل» في السياسة الميانمارية، نافياً فرضية انسحاب عسكري محتمل من الحياة السياسية طالبت به بعثة الأمم المتحدة.

وأضاف: «كل دول العالم تختار النظام الديموقراطي الذي يلائمها، وميانمار على طريق التعددية الديموقراطية» مؤكداً أن الجيش سيبقى مشاركاً في الحياة السياسية طالما أن النزاعات مع حركات التمرد العديدة في البلاد لم تحل.

وكان أكثر من ٧٠٠ ألف من أفراد الروهينغا الأقلية الإثنية المسلمة، فرّوا في ٢٠١٧م من أعمال عنف ارتكبها العسكريون

الميانماريون وميليشيات بوذية، ولجأوا إلى بنغلادش المجاورة حيث يعيشون في مخيمات هائلة بائسة.

وأورد المحققون في تقريرهم سلسلة طويلة من التجاوزات التي ارتكبت ضد الروهينغا، من بينها «اغتيالات» و«حالات اختفاء» و«تعذيب» و«أعمال عنف جنسية» و«عمل قسري".

وإلى جانب تقرير الأمم المتحدة، أعلنت المدعية العامة في المحكمة الجنائية الدولية فاتو بن سودة أنها فتحت تحقيقاً أولياً في هذا الملف، يشكل خطوة أولى من عملية يمكن أن تفضي إلى تحقيق رسمي للمحكمة التي تتخذ من لاهاي مقراً لها، وربما إلى اتهامات".

وأخيراً اتهمت الشيخة حسينة واجد رئيسة وزراء بنجلاديش، جارتها ميانمار بمواصلة إيجاد أعذار جديدة لتأخير عودة أكثر من ٧٠٠ ألف من مسلمي الروهينجا الذين أجبروا على عبور الحدود خلال العام الماضي.

وشددت حسينة -فى تصريح أدلت به على هامش اجتماع الجمعية العام للأمم المتحدة بنيويورك ونقلته شبكة "يورونيوز" الأوروبية - على أن اللاجئين لن يظلوا تحت أي ظرف من الظروف في بلدها المزدحم بالفعل، ومضت تقول "إن لديّ بالفعل ١٦٠ مليون شخص في بلدي، ولا يمكنني تحمل أي عبء آخر".

كما أكدت حسينة أنها لا ترغب في الدخول في عراك مع ميانمار بشأن اللاجئين، إلا أن صبرها بدأ ينفد مع زعيمة البلاد أونج سان سوتشي وقيادات الجيش هناك، واستطردت: " أن القيادة في ميانمار توافق على كل شيء، إلا أنها لا تتخذ خطوات ملموسة، وفي كل مرة تسعى لإيجاد أعذار جديدة لعدم التنفيذ".

ومن الجدير بالذكر أن أونج سان سوتشي قد حصلت على جائزة نوبل تقديراً لدورها في مجال حقوق الإنسان، ولكنها لا تحرك ساكناً تجاه المجزرة البشرية في بلدها، فكأنها خاضعة لقيادات الجيش.

ولوقوع مقر الأمم المتحدة في الولايات المتحدة الأمريكية تخضع لها هذه المنظمة في اتخاذ المواقف إزاء الأحداث في العالم، وتنفذ قراراتها، وتستفيد من هذا الوضع إسرائيل التى لا تبالى بقراراتها، لأنها تتمتع بحماية بل تغطية كاملة لأمريكا، وتذهب قرارات الأمم المتحدة سدى كما حدث في قضية نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وأخيراً هددت أمريكا بفرض عقوبات على المحكمة الجنائية الدولية، قالت وكالة "رويترز" للأنباء إن الولايات المتحدة ستتخذ موقفاً صارماً من المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي في حال شرعت في التحقيق في مزاعم عن جرائم حرب ارتكبها أمريكيون في أفغانستان، ووفقاً للوكالة جاء ذلك في مسودة الخطاب الذى أعد لإلقائه أمام الجمعية الاتحادية، وهى جماعة محافظة في واشنطن، فورد فيها:

"ستستخدم الولايات المتحدة أي وسيلة ضرورية لحماية مواطنينا ومواطنى حلفائنا من المقاضاة الجائرة من هذه المحكمة غير الشرعية.

وزارة الخارجية الأمريكية ستعلن إغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن بدافع القلق من المحاولات الفلسطينية الرامية إلى دفع المحكمة الجنائية الدولية لفتح تحقيق في أمر إسرائيل.

ستقف الولايات المتحدة دائما مع صديقتنا وحليفتنا إسرائيل.

إدارة ترمب "سترد" إذا شرعت المحكمة الجنائية الدولية رسمياً، في فتح تحقيق في مزاعم عن جرائم حرب ارتكبها أفراد من القوات الأمريكية أو المخابرات خلال الحرب في أفغانستان.

إذا فتح مثل هذا التحقيق ، فإن إدارة ترمب ستدرس منع القضاة ومدعى العموم من دخول الولايات المتحدة وفرض عقوبات على أي أموال لديهم في النظام المالى الأمريكى وملاحقتهم أمام نظام المحاكم الأمريكى.

لن نتعاون مع المحكمة الجنائية الدولية ، لن نقدم أي مساعدة إلى المحكمة الجنائية الدولية ، لن ننضم إلى المحكمة الجنائية الدولية ، سنترك المحكمة الجنائية الدولية تموت من تلقاء نفسها.

سندرس اتخاذ خطوات في مجلس الأمن الدولى لتقييد صلاحيات المحكمة الشاملة ، بما في ذلك ضمان عدم ممارسة المحكمة الجنائية الدولية أي اختصاص قضائى على الأمريكيين ورعايا حلفائنا الذين لم يصدقوا على معاهدة روما".

وكذلك أوقفت الولايات المتحدة الأمريكية مساهمتها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا" التابعة للأمم المتحدة.

في مثل هذا الوضع فقدت هذه المنظمة العالمية صلاحيتها لتحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها. فالمهم هنا إنقاذ الأمم المتحدة من عجزها وإحياء دورها المطلوب وإلا فإن الدول الكبرى تصبح حرة في اتخاذ أي إجراء حسب مصلحتها ، وتصبح الدول الصغيرة بمثابة الأيتام ، وتفقد سلامتها وحريتها فضلاً عن الأقليات.

من الحجاب إلى الصلاة[1]

يبدو أن عداء الإسلام والمسلمين أصبح مرضاً عالمياً، يصاب به كل من يعتمد في ثقافته على الحركة العلمية في أوربا، ويثق بالإعلام الغربي، وقد كان هذا المرض محدوداً، ولكن البث الإعلامي المباشر جعل هذا المرض عالمياً، وخاصة في عصر العولمة الذي تسيطر عليه أمريكا، ولذلك وصف بعض الباحثين العولمة بأنها في الحقيقة "أمركة". ولايشك أحد ممن له اطلاع على الأوضاع الراهنة، ودراية للسياسة الأمريكية من التعليم إلى الدفاع، أن أمريكا خاضعة للنفوذ الصهيوني، وقد تعدى هذا النفوذ إلى السيطرة على السياسة الأمريكية.

وقد بدأ قادة أمريكا الحرب على ما سموه بـ "الإرهاب الإسلامي" وصرح زعماء السياسة الأمريكية أنهم لا يحاربون الإسلام، بل يحاربون الإرهاب، وكان الرئيس الأمريكي أوباما أكثر تصريحاً بقوله إن أمريكا لن تحارب الإسلام ولا تحارب الإسلام، وإنما هدفها الإرهاب، وقد أوضح قادة العالم أن الإرهاب لا يخص بالإسلام أو المسلمين؛ بل يوجد الإرهاب في الجاليات الأخرى، وتوجد منظمات إرهابية في دول أوربا، وأمريكا نفسها، كما توجد منظمات أصولية متزمتة، وأما إسرائيل؛ فهي دولة تقوم على الإرهاب، ولا تخفي نواياها الإرهابية، وعملياتها

---

[1] المجلد: ٥٧، العدد: ٦، فبراير ٢٠١٢م.

العدوانية، يتعرض لها الفلسطينيون، وتتكرر فيها الهجمات على المساجد، ومنع المسلمين من أداء الصلاة، وتهديداتها للمسجد الأقصى معروفة، ولا تحدها من عملياتها الإرهابية الأممُ المتحدةُ ولا أمريكا، فإنها حرة مطلقة من كل قيود، أو خضوع لأي قانون دولي، ولا توجد قوة تمنعها من ممارسة إجراءاتها الإرهابية.

لقد كان للحرب التي بدأتها أمريكا ضد الإرهاب الإسلامي المزعوم، والتي كان لها تأثير على نظام التعليم في الدول الإسلامية، ومواد التعليم والحركات الدينية، حتى الجمعيات الخيرية، تأثير على العالم كله، لا تستثنى منها الدول الإسلامية.

وكان من تأثير هذه الحرب على الرموز الإسلامية، أن اتخذت عدة دول أوربية قوانين لفرض الحظر على الحجاب، وبدأت هذه الحملة في فرنسا، ثم تبعتها دول أخرى، وتأثرت بها الدول الإسلامية التي تخضع للنفوذ الغربي، ومنعت بذلك الطالبات المسلمات من دخول دور التعليم، ثم عمت هذه الحملة قطاعات أخرى، فمنعت المتحجبات من دخول المحاكم، وأجبرت بعض المسافرات على كشف وجهها أثناء السفر؛ لأن الحجاب يرمز إلى تمسُّك الفتاة بالتعاليم الإسلامية، والتمسُّك بالتعاليم الإسلامية أصولية.

ومن الحجاب انتقلت هذه الكراهية للرموز الإسلامية إلى المساجد، فاتخذت سويسرا خطوة لمنع رفع منارات المساجد، وفرض الحظر على بناء المساجد في بعض مناطق العالم، ومن المسجد انتقلت هذه الحرب إلى الصلاة، ففرض الحظر على أداء الصلاة بحرية، وحددت مساجد، كما حدث في تونس في عهد الرئيس المعزول زين العابدين.

ومن تحديد المساجد للصلاة انتقل الأمر إلى فرض الحظر على الصلاة مطلقاً، ودخول الشباب في المسجد، ومن المؤسف جداً أن هذا الحظر فرض أولاً في دولة الأغلبية الإسلامية التي خضعت للحكم الاشتراكي مدة طويلة، ويسيطر على قيادتها قادة نشأوا في عهد الاشتراكية التي فرضت الإلحاد على سائر المناطق التي خضعت لنفوذها، ومنها الدول العربية التي فرضت النظام الاشتراكي كسوريا واليمن الجنوبي والعراق.

أفادت الصحف بأن طاجيكستان فرضت الحظر على الأطفال المسلمين لدخول المساجد، وقد اتخذ هذا القرار في البرلمان، ثم وقع الرئيس الطاجيكستاني على قرار البرلمان، فأصبح قانوناً.

تفيد الصحف بأن العاصمة الطاجيكستانية دوشنبيه اعتمدت قراراً رسمياً يحظر بموجبه على الأطفال دخول المساجد، وذلك عقب توقيع الرئيس الطاجيكستاني إمام على رحمون على هذا القرار، ومصادقة مجلس النواب ومجلس الشيوخ في البلاد، وذلك في شهر رمضان.

ولا يمنع القانون الجديد كل القاصرين من دخول المساجد، إذ يستثنى المراهقين المسجلين في المدارس الدينية المعترف بها رسمياً في طاجيكستان، وبالإعلان عن هذه الخطوة يكون النظام الرسمي الطاجيكستاني قد وضع النقطة النهائية في النقاش الحاد الدائر في البلاد منذ قرابة عام، جراء مشروع القرار، مما أثار استياء شعبياً كبيراً وجدلاً واسعاً في صفوف الأحزاب المعارضة في طاجيكستان.

وحول هذا القرار صرح المعارض والسيناتور السابق حاجي أكبر طورجان زاده لوكالة "إيتارتاس" الروسية للأنباء أن " هذا

القانون ينتهك أسس حقوق الإنسان، فالذهاب للمسجد حق لكل مسلم وواجب عليه بغض النظر عن عمره". وأضاف طورجان زاده" كنت أؤمن وآمل حتى اللحظة الأخيرة أن الرئيس لن يوقع هذا القانون الذي لا يؤدي إلى الوفاق القومي والديني في المجتمع، بل إلى العداء والانقسام".

يذكر أن الرئيس الطاجيكستاني إمام على رحمون أقدم على خطوات، يرى من وجهة نظره أنها تعزز مواجهة التطرف الديني، ومنها اتخاذه قراراً بعودة جميع الأطفال والمراهقين المبعوثين لدراسة تعاليم الدين الإسلامي في مدارس الخارج، معللاً ذلك بالقول إن "معظم هذه المدارس محظورة وتعلم الأطفال لا أن يصبحوا علماء، بل إرهابيين ومتطرفين" وبناء على هذا القرار عاد إلى طاجيكستان قرابة ١٥٠٠ طالب كانوا يدرسون في مصر والإمارات وباكستان وإيران، ومن الإجراءات التي اتخذتها دوشنبيه كذلك تشديد القوانين الجنائية لملاحقة المنضمين لأحزاب دينية تعتبرها الدولة أصولية، مثل"البيعة" و"حزب التحرير" و"جماعة التبليغ".

وبناء على هذا الإجراء اتخذت دول أوربية متعددة وفي مقدمتها ألمانيا قراراً بمنع الصلاة في الأماكن العامة، وخاصة دور الحكومة، كما فرضت ألبانيا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا وهولندة الحظر على الصلاة وارتداء الحجاب في المدارس العامة والمكاتب والأماكن العامة، وأخيراً فرضت ألمانيا حظراً على أداء الصلاة في مدرسة ببرلين، واتخذت إجراءات ضد الطلاب المسلمين الذين أدوا الصلاة داخل المدرسة، وفي الأنباء الأخيرة قدم أحد النواب المنتمين إلى حزب ليكود في إسرائيل مشروع قرار لفرض الحظر على

الأذان ؛ لأن صوت الأذان يؤذي غير المسلمين، وعلى الأقل منع استخدام مكبرات الصوت للأذان.

لقد بدأت هذه الحرب من الحجاب، ووصلت إلى الصلاة مروراً بالمساجد، ولا يعرف مصير هذه الحرب، فقد بقيت قطاعات للانتماء إلى الإسلام لم يفرض الحظر عليها، وقد نشأت في أوربا حركات تحارب المسلمين علناً، وتطالب بإخراجهم من البلاد، وتشن هجوماً على المساجد والمدارس، وتجري كل هذه النشاطات في ظل منظمات حقوق الإنسان، وميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي يضمن حقوق العبادة والحرية الفردية.

حادثة باريس وانعكاساتها على مجهودات الأمن والسلام في العالم[1]

كانت قوى العالم قد اجتمعت في فيينا عاصمة جمهورية النمسا الفيدرالية في ٣٠ / أكتوبر ٢٠١٥م لحل قضية سوريا واتخاذ موقف عن مصير رئيس سوريا بشار الأسد الذي كان يدور حوله الخلاف بين أوربا الغربية وروسيا التي تمثل أوربا الشرقية، فكان الرئيس الروسي بوتين يصر على بقاء الأسد؛ لأن سوريا كانت آخر معقل للنظام الاشتراكي بعد سقوط العراق إثر الهجوم الأمريكي عليه، وقد نالت سوريا دعم روسيا عسكرياً وسياسياً، واستخدمت روسيا حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للدفاع عن النظام القائم في سوريا، وكانت الظروف تشير إلى صراع بين روسيا وأمريكا والدول الحليفة لها التي كانت ترى حل الأزمة في تنازل الأسد عن الحكم.

وقد اجتمعت القوى العالمية (١٧ دولة بالإضافة إلى منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي وجامعة الدول العربية) لحل هذه الأزمة التي ذهب ضحيتها مئات الألوف من السكان، وشرد مئات الآلاف في مختلف أنحاء العالم ولجوئهم في الدول الأوربية التي أظهرت تعاطفها مع اللاجئين السوريين كألمانيا ودول أوربا الأخرى، وقامت بإيواء العدد الأكبر من اللاجئين تركيا وهي عضو

---

(١) المجلد: ٦١، العدد: ٧، ديسمبر ٢٠١٥م.

الناتو، وكان يخشى أن تتعرض تركيا للهجوم وقد تدهورت العلاقات بين سوريا وتركيا، وهددت روسيا تركيا بعواقب التعاون والتعاطف مع المجاهدين في سوريا، وفعلاً بعثت روسيا قواتها إلى سوريا وساندت قوات سوريا في الهجوم على المجاهدين، مما أدى إلى مجابهة بين أمريكا وحلفائها وروسيا.

والتقى المجتمعون في فيينا في ٣٠/ من أكتوبر ـ وهم الصين ومصر والاتحاد الأوروبي وفرنسا وألمانيا وإيران والعراق وإيطاليا والأردن ولبنان وعمان وقطر وروسيا والسعودية وتركيا والإمارات والمملكة المتحدة والأمم المتحدة والولايات المتحدة ـ لبحث الوضع الخطير في سوريا وسبل إنهاء العنف في أقرب وقت ممكن، وأجرى المشاركون مناقشات شملت القضايا الرئيسية، ولا تزال توجد خلافات جوهرية بين المشاركين إلا أنهم توصلوا لتفاهم مشترك على النقاط التالية:

١. وحدة سوريا واستقلالها وسلامة أراضيها وهويتها العلمانية أمور أساسية.
٢. مؤسسات الدولة ستظل قائمة.
٣. حقوق كل السوريين يجب حمايتها بصرف النظر عن العرق أو الانتماء الديني.
٤. ضرورة تسريع كل الجهود الدبلوماسية لإنهاء الحرب.
٥. ضمان وصول المنظمات الإنسانية لكل مناطق سوريا وسيعزز المشاركون الدعم للنازحين داخليا وللاجئين وللبلدان المستضيفة.
٦. الاتفاق على ضرورة هزيمة تنظيم "داعش" وغيره من

الجماعات الإرهابية كما صنفها مجلس الأمن الدولي واتفق عليه المشاركون.

٧. في إطار العمل ببيان جنيف ٢٠١٢م وقرار مجلس الأمن الدولي ٢١١٨ فإن المشاركين وجهوا الدعوة للأمم المتحدة لجمع ممثلي الحكومة والمعارضة في سوريا في عملية سياسية تفضي إلى تشكيل حكومة ذات مصداقية وشاملة وغير طائفية على أن يعقب تشكيلها وضع دستور جديد وإجراء انتخابات. وينبغي إجراء هذه الانتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة بموافقة الحكومة وبالتزام أعلى المعايير الدولية للشفافية والمحاسبة وأن تكون حرة نزيهة يحق لكل السوريين ومنهم المغتربون المشاركة فيها.

٨. سوريا هي التي تملك وتقود هذه العملية السياسية والشعب السوري هو من يحدد مستقبل سوريا.

٩. المشاركون ومعهم الأمم المتحدة سيدرسون ترتيبات وتنفيذ وقف لإطلاق النار بكل أنحاء البلاد يبدأ في تاريخ محدد وبالتوازي مع هذه العملية السياسية الجديدة. وسيعكف المشاركون في الأيام المقبلة على تضييق هوة الخلافات المتبقية والبناء على نقاط الاتفاق. ويجتمع الوزراء خلال أسبوعين لمواصلة هذه المباحثات".

قبل اختتام اجتماع فيينا الذي كان يبشر بحل قضية سوريا، وقعت حادثة الهجوم الانتحاري في فرنسا، واتهم داعش بتدبير هذه التفجيرات التي أدت إلى مقتل ١٢٩ شخص وإصابة نحو ٣٥٨ شخص. وقد أثارت هذه الحادثة المفجعة رد فعل عالمي، وكان ذلك

أمراً طبيعياً، فإنه عمل غير إنساني، وقد سقطت قبل أيام طائرة ركاب روسية فوق شرم الشيخ، وادعت وسائل الإعلام أولاً أن هذه الحادثة تعرضت لهجوم داعش، ثم غيرت الموقف، فقالت: إن الحادثة وقعت بسبب خلل تكنيكي، وبعده تغير الموقف ونسب الحادث إلى داعش.

وقد كان موقف الدول الغربية إزاء داعش موقفاً مرتبكاً غير واضح، أولاً التأييد وثم التركيز على موقف داعش مع المعارضين وإبراز أعمال القمع والقتل وسفك الدماء والسلوك غير الإنساني مع رجال الإعلام والأجانب والسلوك غير الإنساني مع غير المسلمين، وعلى هذا الأساس نظمت فرنسا مؤتمراً عالمياً لوقاية الأقليات وخاصة الأقليات غير المسلمة في الدول الإسلامية، وفي الوقت نفسه غضت البصر عما يحدث في سوريا من تدمير وقتل جماعي للأغلبية، واستخدام قنابل كيماوية أدت إلى خسائر جسيمة في الأرواح من الأطفال والنساء، تقشعر منها الجلود، ولم يتحرك الضمير الإنساني لهذه الهجمات الجوية التي أدت إلى تدمير مناطق شاسعة في سوريا.

إن هذه الأوضاع البربرية لم تحرك القوى العالمية ولم تعتبر هذه الإجراءات إرهاباً، ولم يحمل هذا الوضع أهمية إلا بعد دخول روسيا في هذا السيناريو، وبروز خطر الصراع بين القوتين العالميتين، وفي هذا الوضع الذي يخشى أن ينشأ به صراع بين أمريكا وروسيا لموقفها العنيد ودخولها في المعركة، وقعت حادثة التفجيرات في باريس التي أثارت حفيظة الرئيس الفرنسي وأعلن بشن الحرب على ما اعتبره مدبر هذه الحادثة بشن الهجوم على داعش.

ولأول مرة في التاريخ بعد الحرب العالمية الثانية شوهدت قوات روسيا وقوات فرنسا مشتركة لمهمة الحرب، وأشارت إلى هذه المصادفة صحيفة إنجليزية وقالت: روسيا وفرنسا تشتركان لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية في العمليات العسكرية.

إن هناك تفسيرات متعددة لما حدث في فرنسا، وقد تكون مؤامرة لصرف النظر عن سوريا وتجنب الصراع مع روسيا، وقد تكون جزءاً لمهمة أوربا لتخويف العالم كله مما تصفه بالخطر الإسلامي، وجزءاً من الحرب غير المعلنة ضد الإسلام والمسلمين، وليس من البعيد أن تكون حادثة باريس كحادث تفجير وقع في نيويورك الذي أدى إلى ضرب أفغانستان وتدميره والذي ثبت فيه أن التفجيرات لم تكن مدبرة من الخارج بل كان جزءاً من الخطة للهجوم على العالم الإسلامي.

إلى أين يتجه الغرب؟

بين الشعوبية القديمة والشعوبية الجديدة[1]

كانت العناصر الأجنبية قبل قيام الدولة العباسية مبعدة عن الحكم، والحياة العامة، فلما قامت الدولة العباسية بتعاون الفرس، عمّ سيل الأجانب، ووصل عدد كبير منهم إلى مناصب عليا، وشغل معظمهم أنفسهم بالبحث والتحقيق والتصنيف والتأليف، واجتهدوا في الحياة، فكسبوا ثروات طائلة، وسيطروا على الحياة العامة، وتدفقت التعبيرات والآداب والقيم الأجنبية، إلى المجتمع العربي، وشاعت الفلسفات الأجنبية في الفكر العربي، وتعدى نفوذهم إلى بلاط الخلفاء، فكان منهم وزراء وكتاب وأطباء، وقادة الجيش، ومن بين هذه الكثرة الكاثرة كانت طبقة تتعصب لحضارتها الأصيلة، وتنظر إلى العرب بعين الازدراء، كردّ فعل للسلوك معهم في السابق، وألف بعض هؤلاء العلماء كتباً في مثالب العرب، وطعنوا في أنسابهم وأيامهم، وقلبوا مفاخرهم ومحاسنهم مساوئ، ونشأ جيل من الكتاب يمجّد الثقافة الفارسية واليونانية، ويرجع كل ما كان من فضل في الحياة العربية إلى إحدى هاتين الثقافتين.

ولما تفاقم هذا الاتجاه وشاع، وساد تأثيره على النفوس لغلبة بعض العناصر الأجنبية التي كان لها نفوذ قوي في الحكم، تصدى كبار الكتاب العرب، وغير العرب له، وألفوا الكتب في الردّ على

---

[1] المجلد: ٦٠، العدد: ٨، فبراير ٢٠١٥م.

هؤلاء الأدباء والعلماء، وأكدوا فضل العرب، ونوّهوا بسبقهم إلى الإسلام، وإسهامهم إسهاماً رائداً في الدعوة الإسلامية.

وبعد انقضاء مدة ضعفت هذه الحركة المناوئة للعرب بانتشار الأعاجم، واشتراكهم في الحكم، وغلبت عليهم العاطفة الإسلامية، وساورهم شعور بالتخلف عن العرب في الدفاع عن الإسلام والدعوة الإسلامية، فسابقوهم في الدفاع عن حصن الإسلام، وأعادت الحمية الإسلامية والدينية إلى نفوسهم حب العرب، رغم انتمائهم إلى عنصر غير عربي، ويشهد التاريخ على ما سجلت هذه العناصر من أصل غير عربي، من صفحات رائعة في حماية الوطن العربي، ووقاية العرب من حملات الصليبيين القادمين من أوربا، وازداد هذا الحب للعرب وإكرامهم بمرِّ الأيام حتى أصبح العربي في عيون الأعاجم موضع احترام أكبر، لأن الإسلام عربي، ورسوله عربي، والصحابة وقادة الفتح الإسلامي عرب، ودخل هذا التعظيم للعرب في آداب المسلمين من غير العرب، وبلغ تعظيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم في الآداب الإسلامية إلى أن الكتاب والخطباء وعامة الناس لا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسم، وإنما يكتفون بتعبير فيه إيماء إليه كزينة الكون، ورحمة العالم، وحضرة الكريم، وحبيب الله، والرسول المقبول، والرسول الحبيب، والذات العالي، وحبيب رب العالمين، وعن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كالأصحاب البررة، والنفوس الزكية، والنجوم الساطعة لسماء النبوة، وكان يحرص كل مسلم على أن تتاح له فرصة فيسعد ببذل أغلى ما لديه من التضحية للدفاع عن الإسلام، فتثور حفيظته على أدنى إساءة إلى أحد من هذه

الشخصيات الجليلة، ولا تهدأ ثائرته إلا ببذل ما في وسعه من جهد لتلافيه، ويتمتع كل عربي بهذه النسبة العالية بقدر من هذا التعظيم.

طغى الأوربيون على بلاد العرب والإسلام، واستولوا عليها واستعمروها، ولم يقف استعماره على استعمار الأراضي عسكرياً، وإنما استعمروا العقول والنفوس، وغرسوا حبهم وهيبتهم في القلوب، بتمجيد حضارتهم، وتحقير حضارة الدول التي استعمروها، فظهرت طبيعة تفضيل الغرب على العرب، وهي أخطر من الشعوبية العباسية؛ فإنها كانت محدودة وزمنية، فقد كان حملة العلم والثقافة من العنصر الفارسي، أو الرومي، في العصر العباسي، مغمورين بحبِّ الإسلام، وكانوا متحمِّسين فيه، وساقهم هذا الحب في النهاية إلى خدمة اللغة العربية، والعلوم العربية، وكانت فيهم غيرة إسلامية، فكانوا ينضمون إلى العرب في أوقات المحنة والبلاء، يضحون في سبيلهم بكل غال ونفيس، ويجدون فيه شرفاً وكرامة لهم، فكان أبو عبيدة، وسهل بن هارون، وأمثالهما من الشعوبيين، لكنهم يعتبرون أساطين اللغة والأدب، ويرجع إليهما وأمثالهما في مجال اللغة والأدب، والبيان، والنحو، وكذلك كان منهم كبار الفقهاء والمفسرين، والمؤرخين الذين كانوا مغمورين بحب آل البيت، والعرب جميعاً، وكان انتماؤهم إلى أصلهم وعصبيتهم له أمراً داخلياً، لكن بعض الكتاب المعاصرين من العرب فتنوا بالاستعمار الغربي وهم ينتمون إلى العرب؛ لأنهم ولدوا في بيئة عربية إسلامية، وقضوا طفولتهم فيها، لكنهم تعلموا في البيئة الأوربية، فتأثروا بها، وانقلبوا على لغتهم العربية وثقافتهم العربية، وتاريخهم العربي، وعقيدتهم الإسلامية، وآمنوا بالغرب، وتغنوا

بمجده وعظمته، ودعوا أمتهم العربية إلى الاقتباس منه؛ ليس في العلوم والفنون والصناعة فحسب، بل في الأكل والشرب واللباس، والكلام والأخلاق والسلوك والعقيدة، ودعوا إلى الانسلاخ من كل ما هو عربي، وهاجموا أمجادهم، وسخروا من العربية والعرب.

ولم يكتف هؤلاء الكتاب العرب بالدعوة إلى اتخاذ المثل الغربية، بل وجهوا الدعوة إلى رفض كل فضل للعرب، وإنكار تاريخهم المجيد، والطعن في ثقافتهم القديمة التي نقلتهم من الجزيرة العربية إلى سيادة العالم كله، والتوغل إلى أعماق أوربا، ومن التناحر فيما بينهم إلى تأليف أكبر كتلة عائلية، انضم إليها الفرس، والترك، والروم، والهنود، فكانت أكبر مجموعة إنسانية عالمية.

إنها لشعوبية عربية يواجهها العالم العربي في هذا العصر، ولا يزال يواجهها رغم انحسار ظل الاستعمار، ورغم إخفاق هؤلاء المؤمنين بالغرب في إسعاد شعوبهم وتحقيق مآربهم، وسقوط النظم البديلة التي سعوا إلى إحلالها في بلادهم باسم القومية العربية المجردة عن الإسلام، والحمية العربية الحقيقية.

لقد طعن هؤلاء الشعوبيون الجدد وإن كانوا يدعون بالعروبة، ومنهم كبار الكتاب، وعمداء الأدب العربي الذين يأكلون باسم اللغة والأدب العربي، طعنوا في اللغة العربية والأدب العربي، والثقافة العربية طعناً سافراً، واتهموها بالعجز والعقم، واتهموا التاريخ العربي بالتخلف، والجمود، والوحشية، والدين بالتشنج والرجعية، ووجهوا الدعوة إلى مسايرة الغرب، وتقليد ثقافتهم، حتى في المساوي والأقذار في حياتهم كانت موضع إعجابهم، واستحسانهم، ووجه بعضهم النداء للانضمام إلى

القومية الأوربية، فأنزلوا العرب من المستوى الرفيع إلى مستوى أتباع الغرب، وسلبوا مجتمعهم قيمه ومثله التي كان يعتز بها.

أصبح الهجوم على الحكام السابقين في التاريخ من غير العرب، كالعثمانيين والمماليك، الموضوع المحبب لدى الكتاب القوميين حديثا، ولا يخجل بعض الحكام العرب المعاصرين من وصف حكم غير العرب بعهد الاستعمار، والقمع والاضطهاد، ويعتبرون عهدهم عهد الحرية، والاستقلال، والوحدة والاشتراكية، ويصفون ذلك العهد القديم بعهد الاضطهاد، والواقع أن الحكام السابقين لم يقصروا في الدفاع عن الوطن الإسلامي العظيم الذي كان يشكل أكبر ديمقراطية عالمية، وكانت أوربا كلها تشعر بتهديد منها، إلى أواخر القرن التاسع عشر، أما القمع والاضطهاد فإن حوادثهما تصفر وتضمحل أمام ما يحدث في عهد الحكام الثوريين المعاصرين، وما مر به العالم الإسلامي في الفترة الأخيرة من تكميم الأفواه، وسلب الحريات وتشويه الحقائق، واغتيال العلماء والمفكرين، وتشريد المواطنين، ولم تعلق المشانق، ولم تعمر الزنزانات في عهد سابق مثلما حدث في كثير من بلدان الثورات في العصر الحديث، وإن الحروب الداخلية التي تجري اليوم في العالم العربي تجدد ذكريات الحروب الداخلية في الدول الأوربية قبل النهضة، وما وقع في الحربين العالميتين.

لقد شاهد العالم العربي في عهد الثورات من القمع والكبت، وإذلال العقول، والعلماء، ورجال الدين، ما لم يشاهد في عهد الحكام السابقين من غير العرب، ولا في عهد الاستعمار، وفوق ذلك شاهد العالم العربي هزائم وانتكاسات في الميدان

العسكري، والدفاع عن الوطن، ما لم يشاهد في القرون الماضية، وقد خسرت الدول العربية في عصر القومية العربية، كل ما كانت تملكه من سمات آثار الأصالة والاعتماد على النفس، وأصبحت سياستها تابعة لمصالح الدول الأوربية حتى تعيين الوزراء، وخبراء الإعلام والصحفيين لا يتم إلا بموافقة الدول الأجنبية، وهو وضع لا يوجد له نظير في التاريخ الماضي.

لقد أصبح أكثر أجزاء العالم الإسلامي، ومنها الدول العربية التي قامت فيها الثورات، مسرحاً لقتال، وسفك دماء، وقمع حريات، فأصبحت فريسة لدول أوربية تملك وسائل النفوذ والتأثير، ولقمة سائغة لها، وإذ استمرت هذه الصورة فإنها تمهِّد السبيل للصراع العالمي، وتدخُّل القوتين العالميتين.

استغلال العصبيات الدينية لكسب الفوز في الانتخاب عمل غير جمهوري[١]

ألقى الرئيس الأمريكي دونالد ترمب أول خطاب أمام الكونغرس الأمريكي قام فيه بتغيير جديد لبياناته التي كان يدلى بها خلال الحملة الانتخابية التي يهاجم فيها المسلمين في أمريكا، ويهدد بإخراجهم من أمريكا خاصة، ثم قصر بيانه على سبع دول إسلامية.

طرح ترمب خلال خطابه تصوره السياسي والاقتصادي للبلاد وعلاقاتها الخارجية، إلا أنه لم يقدم تنازلات تذكر في ثوابته، وفي الخطاب الذي استغرق نحو ساعة وتخلّله تصفيق متكرّر فاق ٩٦ مرة، دافع الرئيس الأمريكي بقوة عن قراره السابق بحظر دخول اللاجئين والمسافرين من سبع دول ذات غالبية مسلمة، وقال: " لا يمكن أن نسمح لوطننا بأن يصبح مرتعاً للمتطرفين، سنتخذ قريباً خطوات جديدة للحفاظ على أمننا، ولمنع دخول أولئك الذين يريدون إلحاق الأذى بنا".

وتطرق ترمب أمام الكونغرس باقتضابٍ إلى قضايا الدبلوماسية والدفاع، لكن الرئيس الأمريكي الجديد الذي لا تزال سياسته الخارجية غير واضحة، شدَّد على أنه سيتصرف أولاً لخدمة مصلحة بلاده، وقال: "مهمتي لا تكمن في تمثيل العالم، بل تمثيل الولايات المتحدة".

في المقابل أقر ترمب بإن سياستنا الخارجية تستلزم تعهداً مباشراً

---

[١] المجلد: ٦٣، العدد: ١، أبريل ومايو ٢٠١٧م.

ومتيناً وكبيراً مع الأسرة الدولية". أما فيما يتعلق بالحرب ضد الإرهاب، فقد أشار الرئيس الأمريكي إلى أنه سيعمل مع الحلفاء والأصدقاء في العالم الإسلامي على اقتلاع داعش ومكافحة الإرهاب، وبعد أن تعهد ترمب بحماية الأمن الأمريكي من إرهاب الإسلام المتطرف اقترح الرئيس الجمهوري أن تعمل الولايات المتحدة مع دول حليفة مسلمة للقضاء على تنظيم داعش الذي وصفه "العدو الفظيع".

في سياق متصل تعتزم إدارة ترمب إصدار قرار جديد بخصوص الهجرة خلال الأيام المقبلة، في الوقت الذي كشف فيه مسئول في البيت الأبيض عزم الإدارة على استثناء العراق من قائمة الدول السبع المذكورة في الأمر التنفيذي السابق التي شملت السودان وليبيا واليمن، والصومال وإيران وسوريا والعراق، وجاء هذا التوجُّه الجديد بعد نصيحة من مستشار الأمن القومي الأميركي هيربرت ماكماستر، وتشمل التغييرات المتوقعة أيضاً استثناء اللاجئين السوريين من حظر السفر لأجل غير مسمى وتعديل وضعهم ليصبحوا مثل باقي اللاجئين بصفة عامة مع فرض تعليق لاستقبال كافة اللاجئين لمدة ١٢٠ يوماً ".(الشرق الأوسط، ٠٢/٠٣/٢٠١٧م)

ويقول تقرير صحفي نشرته جريدة انكليزية أن الرئيس الأمريكي قال: إن مسئوليته الأولى هو الحفاظ على وحدة أمريكا وسلامتها، وقال: إنه لا يعارض وصول أصحاب المهارات الفنية والكفاءات العلمية، وقال: إنه سيتخذ سياسة التعاون والتشاور مع حلفائه، وذكر في حلفاء أمريكا الدول الإسلامية التي لها صلة بأمريكا، وقال: إنه ضد الإرهاب.

وأكد في خطابه على استمراره في الحفاظ على مصالح الجالية اليهودية.

ويشتمل هذا البيان على نقطتين مهمتين: أولاً: الحفاظ على مصالح اليهود، وهم في أمريكا في الدرجة الثانية بعد المسيحيين، ولا يشك أحد في مكانة اليهود في أمريكا، فهم يحتلون مراكز حاسمة، وعدد منهم في المستشارين للرئيس الأمريكي، وقد كان القادة الأمريكيون يؤكدون أن حماية اليهود مسئولية أمريكا الأولى، وبذلك كانت في مجلس الأمن كلما أثيرت مسئلة تتعلق بفرض عقوبات على إسرائيل، تستعمل حق النقض.

وقد أفادت الصحف أن وفداً من الكونغرس بقيادة رئيس اللجنة الفرعية للأمن القومي في مجلس النواب "رون ديسانتوتس" يزور الآن إسرائيل لبحث نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس واعتبار القدس عاصمة دائمة لإسرائيل.

يُعَدّ ديسانتوتس من أبرز مؤيدي اقتراح نقل السفارة إلى القدس، وكان جمع توقيعات أكثر من ١٠٠ نائب على رسالة وجهها إلى الرئيس الأمريكي دونالد ترمب قبل أيام من تنصيبه في يناير الماضي لمطالبته بنقل السفارة فوراً والاعتراف بالقدس عاصمة أبدية لإسرائيل.

وفي عام١٩٧٣م عندما دخلت قوات مصر المسلحة في عهد الرئيس المصري أنور السادات إلى داخل إسرائيل بعد عبور قناة السويس أسرعت أمريكا إلى إرسال قواتها، وأقامت جسراً بين أمريكا وإسرائيل لمنَع قوات مصر من الهجوم، ثم نظمت معاهدة الصلح المعروفة بـ"معاهدة كيمب ديود".

وقد واجه الرئيس المصري أنور السادات بسبب هذه المعاهدة التي استمرت مدة طويلة، معارضة من الدول العربية الأخرى وعرفت هذه المعاهدة بـ"معاهدة الاستسلام".

ولا يُسْتَبعد إعادة الرئيس الأمريكي مسئوليته للحفاظ على مصالح الجالية اليهودية.

أما إشارته إلى حلفائه من الدول الإسلامية فهي مبهمة لم يصرح فيها أسماء الدول.

ولا يختلف هذا البيان عن بيانات الرؤساء السابقين.

وقد أعاد الرئيس الأمريكي موقفه إزاء الهجرة وتقييدها، لكنه أبدى موقفه إزاء اللاجئين لأسباب إنسانية وضغوط عالمية.

إن هناك فارقاً كبيراً بين أمريكا ودول أوربا، أما الذين يتوجهون إلى أمريكا، فهم إما أصحاب الأزمات وطلاب العلم أو أصحاب الكفاءات العلمية.

أما الدول الأوربية الأخرى فمعظم المتوجهين إليها هم الأيدي العاملة.

كذلك بعض المتوجهين إلى الدول الأوربية هم الذين يسافرون إليها للجوء السياسي لأنهم لا يجدون جو الأمن والسلام في بلدانهم التي توجد فيها نظم سياسية استبدادية، كما كان في دول تابعة للنظام الاشتراكي كالعراق وسوريا ومصر خاصة.

وللهجرة أسباب مختلفة إنسانية وسياسية واقتصادية وعلمية، وفي هؤلاء المهاجرين عدد كبير من المسلمين، فلابد من التمييز بين مهاجر ومهاجر.

أما ما يسمى بالإرهاب الإسلامي فهو يرجع إلى طبيعة الإنسان، لا إلى تعاليم الإسلام، فكل من يدرس الإسلام يعترف بأن الإسلام دين رحمة وإنسانية، ومن يقارن بين ميثاق حقوق الإنسان وحقوق الإنسان في الإسلام، يجد مطابقة بين تعاليم الإسلام وهذا الميثاق.

وقد أصبح من عادة الزعماء السياسيين أنهم ينسبون الإرهاب إلى العمل الإسلامي.

ومن يدرس الواقع اليوم فإنه يصدق أن تهمة الإرهاب أو وصف العاملين للإسلام بالإرهاب مجرد دعاية لا صلة لها بالحقيقة، بل إن الإرهاب يوجد في الجاليات الأخرى، بل في أوربا نفسها توجد عناصر الإرهاب.

إن مثل هذا الوضع كان قد نشأ خلال الانتخابات في الهند، فأثار بعض المتشددين من زعماء حزب بهارتيا جانتا الحاكم نعرات مهددة للمسلمين، فقال بعضهم: إن الهند ستتحول إلى دولة هندوسية، لا مكان فيها للمسلمين، وأصدر بعض الزعماء أن المسلمين سيطردون من البلاد أو يضطرون إلى قبول الديانة الهندوسية، كل ذلك لكسب الانتخابات.

لقد أثار ترمب قضية المسلمين والإسلام خلال حملته الانتخابية لكسب أصوات المعاندين للإسلام، ومثل ذلك حدث خلال الحملة الانتخابية في الهند، فقد استغل بعض القادة السياسيين قضية الإسلام والمسلمين لكسب تأييد الأغلبية غير الإسلامية.

إن هذين الموقفين العالميين الأخيرين للفوز في الانتخاب، يتطلبان أن يُنَصّ قانونٌ للانتخاب في النظم الديمقراطية، فإن الديمقراطية تعارض قبل كل شيء التمييز بين مواطن ومواطن، رغم كونها قائمة على أساس الجمهورية، لكن الأقليات في النظم الجمهورية لها قوة ومكانة لائقة، والنظام الجمهوري مسئول عن الدفاع عن الأقليات اللغوية والثقافية والدينية وإلا فما هو الفرق بين الديمقراطية والديكتاتورية وحكم الفرد؟.

هل يعود العالم إلى عهد الحرب الباردة؟[1]

يبدو لمتتبع الأحداث في العالم اليوم أن العالم يتجه مرة أخرى إلى الوضع الذي كان يسود قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، العهد الذي يوصف بعهد الحرب الباردة الذي كان العالم فيه ينقسم إلى معسكرين، معسكر رأسمالي، ومعسكر اشتراكي، وكان للمعسكر الاشتراكي نفوذ في المناطق التابعة لروسيا، وفيها دول إسلامية في الشرق الأوسط وأفريقيا، وكان الاتحاد السوفيتي مستقلاً بذاته ومحصوراً، فرض عليه الستار الحديدي، وبعد الأوضاع التي تعرض لها العالم العربي في الخمسينيات، وتأييد روسيا لمصر إثر تعرضه للعدوان الثلاثي وتصعُّد التعاون بينهما إثر حرب ١٩٦٧م خرج الاتحاد السوفيتي من الستار الحديدي والانغلاق، إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط، وبسط نفوذه على مصر وسوريا والعراق واليمن، ثم امتد هذا النفوذ إلى دول إفريقيا والسودان والصومال والمناطق المجاورة التي اختارت النظام الاشتراكي كليبيا والجزائر، وقبلت الدول الواقعة في هذه المنطقة، الفلسفة الاشتراكية، والنظام الاشتراكي للسياسة والاقتصاد والعقيدة، وفي بعض الدول فرضت قيود على الدين والكتب الدينية، وتعرض العلماء وأصحاب الميول الدينية للصعوبات، وزج بعدد كبير منهم إلى السجون، وواجهوا العقوبات الشديدة،

---

[1] المجلد: ٦٣، العدد: ١٠، أبريل ٢٠١٨م.

وقضوا في السجون مدة طويلة، ثم بدأت المحاكمة، ومن حوكم أصدرت المحاكم العسكرية عليهم عقوبات شديدة حتى الإعدام، وفي هذا العهد عهد القهر والجبر عاشت المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج باستثناء دول كانت تحت نظام ملكي، تكميمَ الأفواه، والحرية للتطاول على الدين، والإساءة إلى المؤسسات الدينية، وخرق قوانين الأخلاق، والحرية المدنية.

وبعد سقوط القلعة الاشتراكية أو تراجع هذه القوة نتيجة لفشل الاتحاد السوفيتي في الاحتفاظ بسلطته في أفغانستان، والأزمة الغذائية في الاتحاد السوفيتي، والثورة لبوريلستين على الشيوعية، وانتقاد جورباشوف للنظام القائم، برزت قوة عالمية جديدة تزعتمها أمريكا، وأعلنت سيادتها للعالم، وتدخلت هذه القوة في شئون العالم، وخاصة العالم الإسلامي، وفرضت نفوذها، وسقطت الحكومات القائمة فيها منذ أكثر من ثلاثين سنة ولم تستطع روسيا أن تنقذ هذه الدول.

وساعدت أمريكا الحرب ضد روسيا في أفغانستان، باستغلال العاطفة الدينية، وبعد تحرير أفغانستان وخروج روسيا منه تحولت إلى معاداة هذا العنصر الديني باعتباره خطراً على سياسة أمريكا، وقامت بحملة جديدة ضد العنصر الديني باسم الإرهاب، ويدل على ذلك ما قاله لورانس براون:

"كنا نتخوف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر، والخطر البلشفي، إلا أننا لم نجد هذا التخوف كما تخيلناه، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أثناء الحرب الثانية، أما

الأصفر (اليابان والصين) فإن هناك دولاً ديمقراطية كبرى تتكفل مقاومتها، لكن الخطر الحقيقي كان في المسلمين وفي قدرتهم على التوسع والإخضاع، وفي الحيوية المدهشة العنيفة التي يمتلكونها".

ويقول قائد غربي آخر:

" ليست الشيوعية خطراً على أوربا، فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخالص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، وهم جديرون بأن يقيموا بها قواعد عالم جديد، دون حاجتهم إلى الاستغراب وفرصتهم في تحقيق أحلامهم هي اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب".

واخترعت أمريكا تعبيراً جديداً لمواجهة ما أسمته الخطر الجديد، وقامت باتخاذ وسائل لإقناع العالم كله بضرورة مواجهة الخطر الجديد وهو الإرهاب، فأصبحت كلمة الإرهاب تعبيراً سياسياً شائعاً كان المقصود منه العنصر الديني والحركات الإسلامية، واتخذت الإجراءات المشددة بعنوان تجفيف منابع القوة، وأجريت تغييرات في نظام التعليم والتربية والسياسة في الدول الإسلامية، وفرضت قيود على معونات مالية لأي عمل ديني إسلامي.

ويبدو أن الوضع اليوم قد تغيَّر، ويعود إلى ما كان عليه في الماضي بإمكانيات عودة روسيا إلى الوضع السابق؛ وضع مقاومة المعسكر الغربي الذي كان نداً له، وظهر هذا العنصر في سوريا حيث خيبت روسيا سائر الجهود التى تبذل للإطاحة بحكم بشار الأسد.

وكذلك تهديدات كوريا الشمالية التي تستمر في تجاربها

النووية غير مكترثة بالاعتراضات الأمريكية، ضاربة بالعقوبات المفروضة عليها من مجلس الأمن عرض الحائط، وتنال كوريا الشمالية التائيد والدعم من روسيا والصين.

ويقول الخبراء في العلاقات الدولية أن الولايات المتحدة وضعت نفسها في موقف صعب، ولن يكون أمامهم سوى الخضوع لرغبة كوريا الشمالية في امتلاك السلاح النووي، وأكّدوا أن محاولات أمريكا لحثّ كوريا على التخلى عن ترسانتها النووية وتدميرها لن تنجح، وكل ما يمكنها فعله في الوقت الحالى الجلوس معها على مائدة المفاوضات، التى لن تشمل مساوامات على وقف البرنامج النووي.

وأوضحوا أن الحل لهذه الأزمة لابد أن يكون سياسيًا، وستلعب الصين على وجه التحديد وتليها روسيا الدور الرئيسى في أي مفاوضات بين البلدين.

وقد أفادت تقارير بقيام معسكر جديد بقيادة روسيا يشمل على الصين وباكستان والإيران وتركيا، وظهر تأثير هذه القوة الجديدة في حشد القوة العالمية لرفض القرار الأمريكي لاعتراف القدس عاصمة لإسرائيل في الأمم المتحدة، وانعزال أمريكا كلياً عن العالم.

وتدل هذه التطورات على أن روسيا نجحت في انتشال سفينتها الغارقة، وبدأت تسابق القوة العالمية الغربية التي كانت تعتقد أن العالم اليوم في سيطرتها الكاملة، وبذلك يعود الخطر إلى البلدان التقليدية المتمسكة بأهدافها وقيمها ونظامها السياسي والاقتصادي، وقد أشار إلى ذلك وزير الدفاع الأمريكي جيمس ميتس في بيان له فيه اعتراف ببروز روسيا من حالة الانعزال عن السياسة العالمية وكونها خطراً لسياسة أمريكا، فقال يوم الجمعة ١٩

يناير/ كانون الثاني ، إن بلاده تواجه تهديدات من مختلف القوى الرجعية كالصين وروسيا.وذكر جيمس ماتيس أن التركيز الرئيسي للأمن القومي للولايات المتحدة هو على منافسة القوى العظمى وليس الإرهاب ، واتهم ماتيس الدولتين باستخدام سلطتها لتفويض القرارات الاقتصادية والأمنية والدبلوماسية للدول الأخرى. وتابع خلال إعلانه استراتيجية الدفاع الجديدة : نحن نواجه تهديدات متزايدة من قوى رجعية مختلفة كروسيا والصين ، والدول التي تسعى لتكوين عالم يتماشى مع النماذج الاستبدادية التي تنتهجها ، ومواصلة استخدام سلطة الفيتو على القرارات الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية لدول أخرى".

هل تتحول أمريكا دولة استعمارية؟![1]

كان النظام الديمقراطي والجمهوري حلاً وبديلاً لنظام الحكم الفردي المستبد، وقد كان ذلك نتيجة التعليم ومعرفة المتعلمين حقوقهم، فقوبل هذا النظام، وشاع في مختلف أنحاء العالم، وخاصة في أوربا بعد ثورة فرنسا التي كانت قد انتشرت في مختلف دول العالم، وظهرت إثر ذلك عدة نظم في العالم، وعمَّ اشتراك ممثلي الشعب في نظام الحكم، ثم وقّعت دول العالم المختلفة على ميثاق حقوق الإنسان، الذي يقوم على أساس عدم التمييز بين الناس على أساس العقيدة والدين والثقافة واللغة.

وفي سائر دساتير النظام الديمقراطي كان بند خاص لرعاية الأقليات، وتأمين حقوقها وتمثيلها في نظام الحكم، وبقيام هذا النظام اتخذت وسيلة الانتخابات، واختارت مختلف دول العالم طرقاً للانتخابات تختلف باختلاف طبيعة البلاد، وأصبح هذا النظام شائعاً سوى البلدان التي لا تزال تتبع نظام الملكية.

وقد اختار بعض قادة العالم طريقا لتجنب مسئوليتهم ومؤاخذة شعوبهم، وذلك لفرض شخصيتهم وإخضاع أعوانهم المنتخبين لأوامرهم، وبتحوُّل ذلك النظام نظاماً ديمقراطياً واستبدادياً معاً؛ جمهورياً لأن الجمهور انتخبهم، واستبدادياً لسيطرتهم على أعوانهم وعليهم، أصبح هذا النظام جمهورياً وديكتاتورياً معاً.

---

[1] المجلد: ٦٢، العدد: ١٠، مارس ٢٠١٧م.

وقد جرب هذا النظام في الشرق الأوسط حيث تولى الحكم القادة بانتخابات عامة، ثم فرضوا أنفسهم بانتخابات مزورة، كما وقع في مصر وسوريا والعراق، ودول أخرى حيث بقي في الحكم القادة المعروفون أكثر من ثلاثين سنة، إلى أن قامت ثورات عرفت بـ"الربيع العربي" وذهب ضحية هذه الثورات ملايين من سكان هذه المنطقة.

كان هذا النظام المزدوج شائعاً في الشرق الأوسط خاصة، ولكن أوربا بكاملها احتفظت بالنظام الديمقراطي، وكانت الأقليات فيها تتمتع بحقوقها، وكانت الحريات العقدية في هذه القارة متوفرة بدون تمييز كفرنسا، وبريطانيا وألمانيا، وسويسرا، فكان الذين يواجهون قيوداً في بلدانهم يجدون لجوءاً سياسياً في هذه البلدان.

و أوسع هذه البلدان عملياً كانت أمريكا التي كان شعارها إيواء المطرودين والمنكوبين، ولذلك يتوجه إلى أمريكا سكان مختلف الدول، وفيهم المسلمون الذين وجدوا في هذا البلد حرية كاليهود الذين استوطنوها، وكانوا لا يجدون صعوبة في الحصول على حقوق الجنسية، فازداد عددهم حتى بلغ أكثر من سبعة ملايين، وكان المسلمون يتمتعون بسائر أنواع الحرية، فأصبحت بذلك أمريكا مأوى للنازحين من بلدانهم التي كان فيها نظام استبدادي، وكذلك كانت فرص التعليم والوظيفة متاحة لكل قادم، ولم يكن أحد يواجه صعوبة في الوصول إليها.

فأصبحت أمريكا موطناً لمختلف الجنسيات والقوميات من آسيا وأفريقيا وقد قالت الشاعرة الأمريكية "إيما لازا روس" :

"أعطوني المرهقين منكم، والبؤساء، وجميع الأكداس البشرية التي تهفو إلى نسيم الحرية.

أولئك التعساء الذين رمتهم شواطئكم الصاخبة.
أرسلوا إلي هؤلاء الذين لا مأوى لهم.
الذين طوحت بهم العاصفة.
فإنني أرفع لهم شعلتي عند الباب الذهبي".

ولم تكن أمريكا دولة استعمارية في أي وقت من الأوقات، كما كانت فرنسا وبريطانيا وهولندا وإيطاليا والبرتغال، ولكن هذه الطبيعة طبيعة التسامح والحرية والإغاثة التي كانت شعار أمريكا، تغيرت بعد انفكاك النظام الشيوعي في روسيا، وتولت أمريكا قيادة العالم، فقد كانت الدول الاستمارية السابقة ضعفت واستكانت بعد خروجها من مستعمراتها، وقد غلب على حكام أمريكا الحرصُ على سيادة العالم، فاتخذت أمريكا في العهد الأخير اتجاهاً استعمارياً، وقامت بالتدخل في الشئون الداخلية في مختلف أنحاء العالم بإرسال جيشها وفرضت سيطرتها، وكان ذلك تحولاً كبيراً في السياسة الأخيرة.

وفي الانتخابات الأخيرة وقع تحول آخر في السياسة الداخلية لأمريكا وهو فرض قيود على سكانها والنازحين إليها، فأحدثت هذه السياسة اضطراباً في داخل البلاد وخارجها.

وقد أفادت الأنباء الأخيرة أن احتجاجات واسعة تجري في أمريكا ضد سياسة الرئيس الجديد الأمريكي دونالد ترامب، ويواجه الرئيس الأمريكي الجديد معارضة شديدة؛ ليس من المسلمين فحسب، بل من غير المسلمين الذين تعودوا على سياسة التسامح في أمريكا مع مختلف الأديان.

وأفادت الأنباء أن المعارضة لقرارات الرئيس الأمريكي دونالد ترمب في مجال الهجرة، إلى قلب أجهزة الدولة، فيما يشبه

حالة تمرد، فقد أقال الرئيس ترمب المدعية العامة (وزيرة العدل) بالإنابة "سالي ييتس" لرفضها الدفاع أمام المحاكم عن القرار التنفيذي الذي أصدره، والقاضي بفرض قيود على المسافرين من ٧ دول إسيلامية، وعين مكانها المدعية العامة لمقاطعة شرق فرجينيا "دانا بينتي" إلى أن يبتّ مجلس الشيوخ في تعيين السيناتور "جيف سيشنز" وزيراً للعدل، كما أقال ترمب المسئول بالوكالة عن إدارة الهجرة والجمارك "دانيال راغسديل" وعين مكانه "توماس هومان" وقال وزير الأمن الداخلي "جون كيلي" في بيان لم يذكر سبب الإقالة، إن هومان سيعمل على تطبيق قوانيننا حول الهجرة على أراضي الولايات المتحدة بما يتفق والمصلحة الوطنية.

وفي خطوة أخرى قررت ولاية "ماساتشوستس" الانضمام إلى ولاية واشنطن في مسعاها لرفع دعوى قضائية تطعن في القرار الذي أصدره ترمب حول الهجرة.

وفي ردّ جريء على خطة الرئيس الأميركي دونالد ترمب بوقف تدفق اللاجئين من عدد من البلدان العربية، وإيقاف العمل ببرنامج استقبال اللاجئين السوريين تحديداً لمدة ١٢٠ يوماً، أعلنت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة في عهد بيل كلينتون بتغريدة على تويتر أنها مستعدة لأن تسجل نفسها على أنها مسلمة.

وقالت أولبرايت المنتمية للحزب الديمقراطي في تغريدة لها: "تربيت تربية كاثوليكية، وبعدها أصبحت "أنتمي للكنيسة الأسقفية، وفي وقت لاحق اكتشفت أن عائلتي ذات جذور يهودية، وها أنا اليوم مستعدة لأن أسجل نفسي كمسلمة تضامناً" مع اللاجئين.

وقالت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي مساء الخميس

(٢٦ يناير / كانون الثاني ٢٠١٧) إن الولايات المتحدة التي تكون قوية ومزدهرة داخلياً هي أمة يمكن أن تقود خارجياً إلا أنها لا يمكن، وينبغي ألا تفعل ذلك وحدها وهذا لا يعني أيضاً العودة إلى سياسات الماضي الفاشلة، كما حذرت تيريزا أن أيام التدخل في الدول ذات السيادة في محاولة لإعادة تشكيل العالم على صورتنا قد ولت، ولكن في نفس الوقت لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي عندما يكون التهديد حقيقيا وعندما يكون من مصلحتنا أن نتدخل.

جاءت تصريحات ماي أثناء اجتماع مع أعضاء الكونجرس الجمهوريين في فيلادلفيا قبيل أول اجتماع لها مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

وقد أدت هذه السياسة وبيانات الرئيس الأمريكي الجديد إلى حوادث العنف في مختلف البلدان ضد المسلمين، كما وقعت حادثة الهجوم على مسجد في كندا، ذهب ضحيته عدد من المسلمين.

وفي أمريكا يوجد عنصر متشدد يمارس الإرهاب ضد المسلمين رغم أن هناك تقارير بأن الأغلبية في البلاد من المسحيين واليهود تبدي العطف على المسلمين، وتعارض هذه السياسة.

إن هذا الموقف للرئيس الجديد يتعارض مع طبيعة الحياة في أمريكا وتاريخها الطويل، ويؤدي إلى انعزال أمريكا عن العالم.

تغيُّر منابع القوة العالمية[١]

كان يقال عند غزو أمريكا لأفغانستان عسكرياً إن هذا الإجراء مقدمة لإنفكاك أمريكا كقوة عالمية، وقد سبق أن واجهت هذه العاقبةَ بريطانيا التي غزت أفغانستان خلال استيلائها على القارة الهندية، فلقيت هزيمة، ثم أُجبرت على الخروج من مستعمراتها، ثم ارتكبت روسيا هذه الجريمة في عهد كبريائها وسيطرتها على العالم كقوة عالمية ثانية؛ يحسب لها حساب، ولها وزن في تقرير مصير الأمم، ولكنها بعد مدة طويلة حاولت فيها إبقاء سيطرتها في أفغانستان، أجبرت على الخروج، وكان هذا الخروج مقدمة لانفكاكها كقوة عالمية؛ فاندثر كيانها، وخرجت بقاع عديدة من سلطتها، وأدت هذه العملية إلى انعزالها.

وتولت أمريكا السيطرة على العالم، واعتبرت نفسها سيد العالم؛ تجبر الأمم المختلفة على الخضوع لرغباتها، وادعت بفرض "نظام عالمي جديد" أو "العولمة" التي كانت تسمى بـ "الأمركة" وهددت الأمم بالمصير المشؤم إذا لم ترضخ لأوامرها، وبلغت أوج كبريائها وغرورها وتكبُّرها عند حادثة الانفجار في نيويورك، فادعى الرئيس الأمريكي "جورج بوش" أنه يستطيع أن يحارب سبعة بلدان، وأن لديه قوة كافية لهذا الإقدام العسكري، وأنه سيغير خريطة العالم حسب مصلحة بلاده، فدخلت في أفغانستان،

---

[١] المجلد: ٦٣، العدد: ٧، ديسمبر ٢٠١٧م.

وأظهرت بريطانيا وروسيا رأيهما أن غزو أفغانستان له تاريخ مرير، ولديهما تجربة لذلك.

ولكن الرئيس الأمريكي "جورج بوش" كان في ذلك الوقت في حالة سكر وثقة زائدة بالنفس والعدة، اعتماداً على قوته العسكرية، وعدم وجود من يتحداه ويقاومه؛ فهدد من اختلف معه أو تردّد في تائيده، بعاقبة وخيمة، وقد هدد باكستان إذا لم تؤيد الإجراء الأمريكي بأنها ستعود إلى عهد القرون الماضية، وقد كانت بريطانيا وفرنسا في حالة شيخوخة وهرم؛ أنهكتهما الحروب؛ ولكن الشعب الأفغاني الباسل الذي واجه القوتين العالميتين في السابق، واجه القوة العالمية الثالثة كالسابق، ويصدق ذلك الوضع الراهن في أفغانستان.

وفي نشوة غزو أفغانستان تدخلت أمريكا في العراق وأسقطت نظامه بحجة أن العراق يملك أسلحة ذات دمار شامل، ولم يثبت هذا الدليل للهجوم في التحقيقات الدولية، وقد اعترف رئيس وزراء بريطانيا السابق بأن هذا الدليل للهجوم لم يكن مبرراً للهجوم، ولم تستطع روسيا التي كانت من أصدقاء العراق وحامية له أن تقاوم هذه العملية العسكرية، فقد تغير النظام في العراق، وظهر عدم صلاحية أمريكا في إقرار الأمن والسلام والنظام، ولا يزال العراق يتجرع مرارة هذه العملية العسكرية.

وفي أيام الثورة العربية تدخلت القوة العالمية الوحيدة "ناتو" بقيادة أمريكا في ليبيا الاشتراكية ولم تتدخل روسيا ولازمت الصمت، وقد تغير النظام السياسي في ليبيا، ولا يزال الوضع السياسي غير مستقر في البلاد، ولم يقم نظام سياسي جديد، ولا تزال تحدث

العمليات العسكرية في ليبيا، ثم حدثت ثورة في سوريا وأيدتها أمريكا وأصدقاؤها، ولكن الوضع اليوم غير الوضع بالأمس؛ فقد استقرت روسيا واستعادت قوتها بقيادة بوتين، وتغيرت سياسة بلاده، وظهر الوهن والاستكانة في موقف أمريكا لتدهور الوضع الاقتصادي، وضعف أصدقائها الذين كانوا يؤيدونها، فلم تقاوم روسيا قرار الأمم المتحدة للتدخل في سوريا؛ بل استخدمت سائر وسائلها في دعم النظام القائم، وإحباط المساعي لحل الأزمة بتغيير النظام، وقد ظهر أثر تراجع أمريكا عن موقفها لدعم نظام أو إسقاطه ببقاء الأزمة في سوريا، واستمرار الصراع وتضخُّم الخسائر في الأرواح، وهكذا تستمر الأزمة في مصر حيث حل نظام عسكري محل نظام عسكري، وألغيت نتائج الانتخابات، وأيدت روسيا بصراحة وسرعة هذا الإجراء، وبذلك يستمر الصراع في مصر.

ويدل كل ذلك على أن أمريكا في حالة ضعف واستكانة؛ كما كان المراقبون السياسيون قد تكهنوا عند غزو أفغانستان، ويظهر هذا الضعف في موقف أمريكا إزاء كوريا الشمالية التي تهدد أمريكا كل يوم بالهجوم، ولكن أمريكا عاجزة عن مواجهة هذه التهديدات كما كانت الصين الشيوعية في السابق تهدد أمريكا وتوجه إليها إنذارات، ثم حلّ هذا الوضع العدائي بزيارة كيسنجر السرية المفاجئة إلى الصين والاعتراف بها وقبولها في مجلس الأمن للأمم المتحدة محل فارموسا.

ويبدو من مواقف أمريكا المرتبكة أن أمريكا في موقف التردد وعدم صلاحية اتخاذ القرار، وبذلك يفكر كل من كان يعتمد على أمريكا، في إعادة النظر في سياسته إزاء أمريكا، ويعني ذلك أن

موقف أمريكا كسيد العالم، بدأ ينهار، ويبدو ذلك من تصاعد عمليات العنف والقتل الجماعي، وتصاعد الصراع بين السود والبيض، ووقوع الاشتباكات بينهما، كما يظهر من الخلافات الشديدة بين تصريحات الرئيس الأمريكي الجديد دونالد ترامب وبين تصريحات مساعديه، وهي تظهر كل يوم وتنقلها الصحف عن المواقف المتغيرة إزاء عدد من البلدان.

في مثل هذا الوضع لا يمكن أن يقال أي قوة عالمية تملك صلاحية فرض سيطرتها وحل القضايا العالمية وكذلك تبقى القضايا العالمية في عدد من دول العالم بدون التوصُّل إلى حلّ، منها أفغانستان والعراق وسوريا خاصة، وأخيراً تهدد كوريا الشمالية القوة العالمية، ويخشى أن تقع الحرب بينهما، وتستمر المأساة الإنسانية في مختلف دول العالم، ويكمن في ذلك خطر انتعاش القوة الاشتراكية السابقة وتدخُّلها في شؤون العالم من جديد.

إن غلبة قوة عالمية واحدة في العالم تشكل خطراً للأمن العالمي، وقد كان في السابق عالم اشتراكي، وعالم رأسمالي، ثم ظهر عالم ثالث للدول الأفروآسيوية، وقد شهد العالم تأثير غلبة قوة عالمية واحدة وتأثير الصراع بين قوتين عالميتين، وتبقى الأزمات والصراعات، ولا يحل هذا الوضع إلا وجود قوة ملتزمة بالأهداف والمثل الإنسانية، تميز بين الحق والباطل، والظالم والمظلوم، وقد فقدت منظمة الأمم المتحدة تأثيرها في حل الأزمات والصراعات بدون تدخل خارجي، فيحتاج الوضع إلى إحيائها لتقوم بدورها الوسيط.

إن القضية الأساسية اليوم هي الأمن والنظام والالتزام بالقيم والآداب؛ فقد انعدم الأمن في العالم كله، وخاصة في الدول

الإسلامية التي أصبحت فريسة للصراع بين القوى الكبرى وعدم صلاحيتها لحل الأزمات والصراعات، ويكلف ذلك سفك دماء الأبرياء؛ من الأطفال والنساء، ليس في منطقة واحدة كسوريا ومصر والعراق، واليمن وميانمار؛ بل في الدول الأخرى أيضاً، ويبدو أن هذا الوضع لعدم الاستقرار والأمن أن يتطور ويدخل في الدول الآسيوية الأخرى، فأصبح الإنسان اليوم أرخص شئ ومحروماً من الوقاية وحفظ كرامته، وقد صدق ما أشار إليه القرآن الكريم: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ" [الروم: ٤١] برغم كل ادعاء في تقدم العلم والحضارة والتكنولوجيا، وإن سلوك الإنسان اليوم لا يختلف عن سلوك الإنسان في القرون المظلمة، وصدق الشاعر الحكيم محمد إقبال حيث يقول:

" لقد تضخَّم العلم، وتقدَّمت الصناعة في أوروبا، ولكنها بحر الظلمات، ليست فيه عين الحياة، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس في جمال البناء، وحسن المظهر والنظافة، إن تجارتها قمار يربح فيه واحد، ويخسر ملايين، إن هذا العلم والحكمة والسياسة والحكومة التي تتبجح به أوروبا، مظاهر جوفاء، ليست وراءها حقيقة، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب، وهم يلقون درس المساواة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، إن البطالة والعري وشرب الخمر والفقر، هي فتوح المدنية الإفرنجية، إن الأمة التي لا نصيب لها في التوجيه السماوي، والتنزيل الإلهي، غاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار، إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات، وتسيطر فيها الصناعة، تموت فيها القلوب، ويقتل فيها الحنان والوفاء، والمعاني الإنسانية الكريمة ".

ويقول: "إن شعار الحضارة الحديثة الفتك ببني آدم، الذي تقوم عليه تجارتها، وتنفق سلعتها، ليست هذه المصارف العظيمة إلا وليدة دهاء اليهود الأذكياء، الذي انتزع نور الحق من صدور بني آدم، إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام ما لم يعد هذا النظام رأساً على عقب".

إن العزة والكرمة تتغير، وليست ملكاً لقوة أو حركة، هذه سنة الله في الكون وقد جاء في القرآن الكريم "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" [آل عمران: ١٤٠] وكانت بريطانيا وفرنسا وألمانيا من القوى العالمية التي كانت تسيطر على سياسة العالم وأصبحت اليوم حديث الماضي، وفي ذلك درس لكل من تخدعه القوة والسلطة أن القوة والسلطة متغيرات لا تدوم لأحد.

جريمة جديدة بعد جرائم عديدة ضد الإنسانية[1]

أضافت إسرائيل إلى سجلها الإجرامي الأسود جريمة إنسانية، ولا يستغرب ذلك، فقد استمرت مثل هذه الجرائم منذ إنشاء هذا الكيان غير المشروع في أراضي العرب المغتصبة بدعم الدول الاستعمارية، وعلى رأسها بريطانيا التي كانت تحكم المنطقة بحكم الانتداب، فغرست هذه الشجرة قبل خروجها، ثم واصلت سقيها وتقويتها بتعاون الدول الأوربية الأخرى تحت مخطط مدروس.

وقصة هذه الجرائم طويلة، علاوة على الحروب والاعتداءات المسلحة على الدول العربية المجاورة، وتشريد المواطنين العرب، وإنشاء المستوطنات في أراضيهم، وإجراءات تهويد القدس والاعتداءات على المسجد الأقصى والحفريات المستمرة التي تهدد سلامة المسجد، والمذابح المتكررة التي ذهب ضحيتها اللاجئون الفلسطينيون في مخيماتهم كصبرا وشتيلا، والعدوان على غزة، ثم فرض الحصار عليها، وهي جرائم معروفة ومخالفة هذا الكيان لقرارات الأمم المتحدة مستمرة.

كل ذلك يدخل في سجل إسرائيل، وبدعم القوى الكبرى تنجو رغم الإدانة، من العقوبات والإجراءات الرادعة، بينما تواجه الدول الأخرى عقوبات شديدة على أدنى مخالفة لحقوق الإنسان أو معارضة لمصالح الدول الكبرى، أو مخالفة لميثاق حقوق الإنسان للأمم

---

(١) المجلد: ٥٦، العدد: ١، أغسطس وسبتمبر ٢٠١٠م.

المتحدة، ويشهد بذلك ما تواجهه السودان وإيران وأفغانستان، ودول أخرى من قرارات الإدانة والتهديدات بالتدخل العسكري.

لم يمض على الهجوم على الزعيم الفلسطيني محمود المبحوح أحد أبرز قيادات حماس واغتياله في أحد فنادق دبي في ١٩/يناير ٢٠١٠م، ونسبة هذا الاغتيال إلى أستراليا، والتي أدت إلى تدهور العلاقات بين إسرائيل وأستراليا، وأثارت هذه الجريمة ضجة كبرى في العالم، واستعمل المهاجمون (عددهم ١١مهاجماً) جوازات مزورة بأسماء مواطني أستراليا فرنسا، ألمانيا، بريطانيا، أيرلندا، وأوضحت شرطة دبي أننا نستيقن مائة في المائة أن المهاجمين هم إسرائيليون لا غير، ارتكبت إسرائيل جريمة أخرى بالهجوم على قافلة للخدمات الإنسانية في ٣١ مايو ٢١٠م وقد أدى هذا الاعتداء لأول مرة إلى عاصفة عالمية ضد إسرائيل وإدانتها حتى من أصدقائها.

لقد كان حصار غزة ومعاناة المواطنين الأبرياء يثير الضمير الإنساني من سائر الجهات، وقد بذلت محاولات في السابق لخرق هذا الحصار، وإيصال مساعدات للمنكوبين، وفشلت هذه المحاولات في السابق لموقف إسرائيل المعاند، وتعاون بعض الدول العربية المجاورة في إحباط هذه المحاولات.

أفادت الأنباء الأخيرة أن أسطولاً يسمى بأسطول الحرية يتكون من تسع سفن إيرلندية ويونانية وماليزية وتركية تحمل ناشطين للخدمات الإنسانية محملة بالمواد الغذائية ومواد الإسعاف كان متوجها إلى قطاع غزة لكسر الحصار فتعرضت هذه السفن في المياه العميقة لهجوم الكومندوز الإسرائيليين الذي أدى إلى قتل عشرة على الأقل من الناشطين الدوليين الإنسانيين، وإصابة عدد أكبر منهم أخذهم

الكومنذوز الإسرائيليون كرهائن، ووصف هذا الهجوم بهجوم الفجر الدامي، وقد أثارت هذه العملية الإجرامية سخطاً عالميا، فاستدعت أكثر من ١٢ دولة، وفيها دول أوربية سفراء إسرائيل لإبلاغهم احتجاج هذه الدول على الإجراء غير الإنساني، وقامت مظاهرات تنديد في سائر أنحاء العالم، وعقد مجلس الأمن والناتو اجتماعاً طارئاً، ووصفت تركيا هذا الهجوم أنه إرهاب دولي.

ولأول مرة في التاريخ أعرب الرئيس الأمريكي باراك أوباما عن أسفه على ما وصفه بإزهاق الأرواح وطالب بجمع الحقائق في أسرع وقت طبقاً للصحف.

وقد قدمت إسرائيل كعادتها تأويلاً بأن إجراء الكومندوز كان دفاعاً عن النفس، كما كانت تبرر سائر عملياتها الحربية ضد الفلسطينيين بأنها دفاع عن النفس، أو عمليات انتقامية حتى الهجوم على مخيمات الفلسطينيين وقتل الأبرياء والأطفال كان دفاعاً عن النفس، فقال رئيس الوزراء الإسرائيلي نيتنياهو أن الناشطين الإنسانيين اعتدوا على القوات الإسرائيلية بالسكاكين وإطلاق النار فردت القوات الإسرائيلية بإطلاق النار دفاعاً عن النفس.

لكن وزير الدفاع الإسرائيلي باراك أسرع إلى تهنئة الكومندوز، وشجعهم وشكرهم على هذه المجازفة، وقال لا رحمة على الضعيف، وقال جئت لأشكركم، ولكن الضغط العالمي المتصاعد أجبر إسرائيل لأول مرة على تشكيل لجنة تحقيق وإطلاق سراح الرهائن من الناشطين رغم إصرار رئيس الوزراء الإسرائيلي على تبرير الحملة، وتأكيده على أنه لن يسمح بأي محاولة لخرق الحصار، واتهم العالم بالنفاق.

وقدد لقي هذا الإجراء ضد العاملين للخدمات الإنسانية وكان

فيهم ناشطون من الدول الأوربية أيضاً رد فعل عنيف عالمي لأول مرة، فقد مرت مثل هذه الإجراءات في السابق بدون إثارة الضمير الإنساني ولذلك تجرأت إسرائيل على مثل هذه الإجراءات الوحشية.

اتخذت تركيا موقفاً صارماً فأعلنت إلغاء المناورات العسكرية المشتركة مع إسرائيل وأكدت أنها لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما حصل، وقد كان من السخط العالمي الذي ظهر لأول مرة أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قطع زيارته لكندا وألغى زيارته إلى واشنطن ولقاءه المقرر مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما.

لقد أتاحت هذه العملية الإجرامية ضد العاملين للخدمات الإنسانية التي أثارت سخطاً عالمياً فقد استدعت ١٢ دولة، ومنها ٨ دولة أوربية سفراء إسرائيل لإبلاغهم الاحتجاج على هذه الجريمة، وقطعت بعض الدول علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل، وتفكر دول أخرى في اتخاذ هذا الإجراء، وتستمر الاحتجاجات في العالم، أتاحت هذه الجريمة فرصة لاتخاذ إجراء رادع لوضع حد للتصرفات العدوانية لإسرائيل وخرقها للقيم الإنسانية والخلقية المتواصلة، فإذا كانت الدول العربية المجاورة غير قادرة على اتخاذ إجراء فإن الجريمة الإنسانية الأخيرة تستحق أن تدخل في حملة مكافحة الإرهاب التي تقوم بها الدول الأوربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، فإن هذه العملية قرصنة ترتكبها دولة وهي أخطر من قرصنة العصابات أو الفرق الإرهابية التي لا تربطها دولة ولا يسيطر عليهم نظام ولا يتقيد مرتكبوها بأي قانون أو ميثاق، ولا يخضعون لسلطة قانونية.

إن حصار شعب جريمة في ذاته، ومن مسئولية المجتمع العالمي أن يقطع هذا الحصار ويعاقب مرتكبي هذه الجريمة الإنسانية.

الضمير الإنساني لا يزال حيّاً[1]

دعا دونالد ترامب وهو أبرز المرشحين الجمهوريين للانتخابات الرئاسية الأميركية عام ٢٠١٦م في بيان إلى وقف دخول المسلمين إلى الولايات المتحدة.

وكان ترامب دعا - في بيان نشره الاثنين(٧/١٢/٢٠١٥م) - إلى "وقف تام لدخول المسلمين إلى الولايات المتحدة حتى يفهم نوابنا ما جرى".

وقال استناداً إلى استطلاع للرأي في صفوف المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة، فإن عدداً كبيراً من المسلمين يكنّون الحقد للأميركيين".

وأضاف: " أن واشنطن لا تستطيع أن تبقى ضحية هجمات إرهابية من قبل بعض الناس الذين لا يؤمنون إلا بالجهاد، وليس لهم أي احترام للحياة الإنسانية".

وأوضح كوري ليفاندوفسكي، مدير حملة ترامب، في ردّ على سؤال عن المعنيين بالمنع، أن الوقف يجب أن ينطبق على الهجرة وتأشيرات دخول الطلاب والسائحين والمسافرين الآخرين إلى الولايات المتحدة.

فقد قوبلت دعوة المرشح الرئاسي الجمهوري دونالد ترامب لتجميد برامج الهجرة والسفر إلى الولايات المتحدة أمام

---

[1] المجلد: ٦١، العدد: ٨، يناير ٢٠١٦م.

المسلمين لحين تحديد كيفية التعامل مع خطر "الإرهاب"، بعاصفة من الإدانة والاستنكار وصلت حدَّ وصفها بأنها تتعارض مع القيم والمبادئ الأميركية.

انتقد الرئيس الأمريكي باراك أوباما، دعوة المرشح الجمهوري الرئاسي دونالد ترامب إلى منع المسلمين من دخول الولايات المتحدة، فقال أوباما خلال كلمة بمقر الكونجرس، الأربعاء ٩ ديسمبر، بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً على انتهاء العبودية في الولايات المتحدة: "إن حريتنا مرتبطة بحرية الآخرين بغض النظر عن أشكالهم، أو من أين يأتون، أو أسمائهم أو الدين الذي يعتنقونه".

ودعا أوباما الأمريكيين إلى التمسُّك بقيمهم ودعم الجهود التي بذلها قادة الحقوق المدنية في الماضي وطرح التعصب الأعمى جانباً. وكذلك دعا إلى عدم الخلط بين الإسلام المعتدل وربط الإسلام كدين بالعنف، وطالب الأميركيين بأن يكونوا أكثر عقلانية وعدم الترويج للتصريحات العنصرية والمسيئة للإسلام والمسلمين، وقال إن على الأميركيين من كل الأديان رفض التمييز في المعاملة.

وبدوره استنكر البيت الأبيض دعوة ترامب، وقال إن ذلك يتعارض مع القيم والمبادئ الأميركية التي تنمُّ عن المساواة وحرية المعتقد، والحق في التعبير، كما يتعارض مع الاحتياجات الأمنية للولايات المتحدة.

وقال بن رودز نائب مستشار الأمن القومي في تصريح صحفي، إن "تلك الدعوة تصبّ في تحقيق ما يسعى تنظيم الدولة الإسلامية إلى الترويج له، وهو أن الغرب والولايات المتحدة في حالة حرب مع الإسلام".

أدان مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية تصريحات ترامب، وقال المدير التنفيذي للمجلس نهاد عوض: "إن تصريحاته تأتي ضمن حملة التخويف والتحريض التي ينتهجها عدد من المرشحين ضمن حملة أوسع معادية للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة".

وتابع أن هذا "التصريح شائن من شخص يرغب في تولي أعلى منصب في هذا البلد"، وخلص إلى أنه "تهور وببساطة تصرُّف غير أميركي، ترامب يبدو كأنه زعيم لغوغاء، وليس لأمة عظيمة مثل أمتنا".

من جهتها، غرَّدت المرشحة الرئاسية الديمقراطية هيلاري كلينتون على تويتر بأن "فكرة ترامب مستهجنة ومتحاملة ومثيرة للشقاق".

بينما ذهب المرشح الرئاسي الجمهوري جيب بوش إلى وصف ترامب بالـ"معتوه"، وقال إن "المقترحات التي يقدمها غير جادة".

وفي السياق، اعتبر المرشح الجمهوري كريس كريستي، أن تصريحات ترامب "تنم عن عدم خبرته وعدم إلمامه بالموضوع".

كما ردّ المرشح الديمقراطي مارتن أومالي بقوله إن ترامب بدَّد كل الشكوك، "فهو يقوم بحملته الرئاسية بشكل فاشي وديماغوجي".

وقد احتشد مئات النشطاء أمام فندق يملكه دونالد ترامب وسط نيويورك لإدانة دعوته بفرض حظر مؤقت على دخول المسلمين إلى الولايات المتحدة. وانتقد المحتجون بشدة تعليقات ترامب مردِّدين هتافات من بينها "مرحبا باللاجئين" و"ترامب إلى المزبلة". وأبلغت ليندا سارسور من الجمعية الأميركية – العربية في نيويورك الحشد "إننا لا نطلب أي إحسان.. نحن نطلب الاحترام والكرامة الأساسيين اللذين نستحقهما جميعاً هنا في الولايات المتحدة الأميركية".

قال بعض المحتجين إن تعليقات ترامب في حين إنها أكثر صراحة إلا أنها لا تختلف كثيراً عن تصريحات لساسة آخرين يدعون إلى فرض قيود على اللاجئين السوريين الذين يريدون الاستقرار في الولايات المتحدة. وحذر آخرون من أن تعليقات ترامب المثيرة للانقسام ستعمل فقط على تكثيف موجة من إرهاب الإسلام. وقال سكاندا كاديرجمار (٢٧ عاما) "الضرر الذي أحدثه ترامب بالفعل كبير جدا، مشيراً إلى تقارير عن تهديدات متزايدة ضد المسلمين، وأضاف قائلا "دونالد ترامب هنا ليصب البنزين على تلك الحرائق".

وقال مسلمون شاركوا في الاحتجاج إنهم يخشون زيادة في الهجمات والتمييز ضدهم في أعقاب هجوم سان برناردينو مثلما حدث في أعقاب الهجمات التي شنتها القاعدة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. وقالت أميرة كريم (١٦ عاما) إن والدها أرغم أمها على التوقف عن ارتداء غطاء الرأس لأسبوعين في أعقاب تلك الهجمات في حين قالت صديقتها إيمان سهيل (١٧ عاما) إن شخصا ما دفع عَمتها لتسقط أرضا. وأضافت سهيل قائلة "يوجد أناس مثله تماما" في إشارة إلى ترامب.

ومن بين من تحدثوا في الاحتجاج حسام الرستم وهو لاجئ سوري وصل إلى نيوجيرسي قبل أربعة أشهر بعد إن فرَّ من مدينة حمص التي تمزقها الحرب. وقال "الإسلام هو دين السلام... الإسلام ليس إرهابا".

ومثال آخر من الهند، فقد أساء إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم " كمليش تيواري" زعيم المجلس الهندوكي الأعلى (هندو مهاسبها) المعروف بعدائه للمسلمين، فأثار ببيانه إدانة عامة

من سائر الجهات في الهند حتى من حزبه الذي ينتمي إليه، واتخذت الحكومة إجراء عاجلاً ضده واعتقلته وطبقت عليه قانونا مشدداً، وممن طالبوا بمعاقبته معاقبة شديدة، زعيم هذا المجلس الهندوكي سوامي شكر باني، وطالب الحكومة بمعاقبته كما طالب بأن يسن قانون لمنع الهجوم على شخصيات دينية أخرى، بل لا بدَّ من اتخاذ قانون عالمي لتجريم الإساءة إلى الشخصيات الدينية واحترام الأديان كلها.

وأما ما يوجد في بعض الجهات نوع من التطرف، فهو نتيجة للموقف المعاند للإسلام والمسلمين في بعض الدول الأوربية تعليمياً وسياسياً واقتصادياً، فإذا اُتِّخذ قانون لمنع بثٍّ الكراهية ضد المسلمين والعمل الإسلامي، كان ذلك وسيلة مؤثرة لوضع حدّ لانتشار التطرف في الجهات التي يوجد فيها.

من يصلح ما أفسدته القيادات العالمية السابقة؟[١]

نشرت قبل سنوات مجلةٌ إنكليزيةٌ عالميةٌ معروفةٌ صورة على غلافها ، تبرز قوتين عالميتين كامرأتين طاعنتين في السن ، منهوكتي القوة ، يصعب عليهما المشي على الأقدام ، على منكبي امرأة شابة تحملهما ، وكانت المرأة المسنة الأولى المنهوكة بريطانيا والثانية فرنسا الدولتين اللتين استعمرتا العالم كله مدة طويلة ، وقامتا بوضع خريطة العالم الحاضر بتقسيم الدول إلى دويلات ، وخطة للنزاع والصراع الذي ظهر بعد خروج هذه الدول من سيطرتهما ، وكانت هاتان الدولتان أقوى دول العالم ، ولم يكن في عهدهما أثر ولا تأثير لأمريكا.

فقد برزت أمريكا من الخمول بعد دخولها في الحرب ، ثم استغلت أمريكا ضعف واستكانة الدولتين القويتين بريطانيا وفرنسا ، وانكماش نفوذهما في مستعمراتهما ، وقد خرجت معظم الدول التي كانت تحت الحكم البريطاني من سيطرتهما ونالت الاستقلال ، أما فرنسا فقد أصرت على البقاء في الجزائر بعد أن غيرت طبيعة البلاد ، وكانت تحلم أنها ستبقى كجزء من فرنسا ، ولكن الرئيس ديغول بعد تولي الحكم بعد الحرب العالمية الثانية ، أدرك الحقيقة عندما بلغت خسائر الأرواح في الجزائر مليون شهيد ، مما يدل على صمود الشعب الجزائري ، وأما خسائر فرنسا نفسها في القوات المسلحة ومقاومة استمرار سيطرتها ، وعلى أساس ذلك

---

[١] المجلد : ٦٢ ، العدد : ١ ، أبريل ٢٠١٦م.

خروجها من سيطرتها، فكانت سبباً لقرار ديغول بمنح الجزائر الحرية، ورفض القادة العسكريون قبول هذا القرار، ولكن ديغول كان متماسكاً في قراره بمنح الجزائر الحرية.

و في ذلك العهد خرجت معظم دول آسيا وأفريقيا من سيطرة الاستعمار الغربي، وقد استنزفت الحرب العالمية قوة هاتين الدولتين حتى وصلتا إلى حالة الاتكاء على قوة جديدة فكانت أمريكا هذه القوة.

وكانت إحدى هاتين الدولتين العالميتين تدعي أن الشمس لا تغرب في ممتلكاتها وهذا مصير كل كائن، طفولة وشباب وشيخوخة ثم الفناء، وقامت إمبراطوريات في العالم حكمت وأفسدت، وكانت تدعي أنها تحيي وتميت والآن لا يعرف اسمها في التاريخ، " وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا " (مريم: ٩٨)

كذلك الضعفاء والمستضعفون إذا أذلوا وأهينوا وحاول أعداؤهم إبادتهم وقهروهم ظهروا وغلبوا، وتلك سنة الله في الأرض، وإليه تشير الآية الكريمة "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [آل عمران: ٢٦].

لقد حلت أمريكا هاتين الدولتين اللتين فقدتا نفوذهما وسلطتهما في البلدان التي استعمرتاها، وغيرت مجراها ومسيرها حتى اللغات والثقافات مسختها، والدول الحاضرة هي في الواقع خاضعة لها، والقضايا المعاصرة والنزاعات بين الدول هي نتيجة سياستها " فرق تسد".

ويعاني المسلمون في الهند، بل في القارة الهندية والمنطقة

المجاورة التي كانت تابعة للاستعمار البريطاني والمناطق المجاورة لها كانت خاضعة للاستعمار، يرجع ذلك إلى سبب سياسة هذه الدول الغربية الاستعمارية.

وبانهيار هاتين القوتين استقلت الدول التي تجرعت مرارة الاستعمار البريطاني والفرنسي، وتأثرت بهذا التلقيح الجديد الحكم الاشتراكي الذي كان في الواقع استعمارا غير مكشوف.

وقضت بعض هذه الدول أكثر من خمسين عاماً في هذا النظام، وفي ذلك العهد واجهت الشعوب الخاضعة لذلك النظام الملحد أنواعاً من الكبت والقمع والظلم الذي شهدته عدة دول إسلامية، وبعد انفكاك الاتحاد السوفيتي وخروج معظم الدول التي خضعت لسيطرته الفكرية والثقافية والسياسية، اتخذت أمريكا القيادة العالمية وفرضت نفسها أو ملأت الفجوة التي وقعت بسقوط النظام الاشتراكي ويعتبر القادة الأمريكيون أن زمام قيادة العالم خاضع لهم يصدرون أوامرهم ويجبرون الحكام على قبول أوامرهم وخدمة مصالحهم.

ولروسيا التي كانت قوة عالمية ثانية أعذارها وعوائقها من أن تتصدى لطغيان القوة العالمية في العالم رغم عدم قبولها لمواقفها وتصرفاتها وهي ليست الآن في موقف توجيه الإنذار أو مكافحة العدوان، فقد أنهكتها حرب أفغانستان والشيشان وانفصال عدد من الدول المتحالفة معها، وتدهور وضعها الاقتصادي.

وهذا هو الوضع العالمي، أما الذين ينافسون لزعامة أمريكا في المستقبل فإنهم يريدون أن يفرضوا على العالم رغبتهم وحضورهم كما يظهر من بيانات مرشحي الرياسة الأمريكية وقد ظهرت من هؤلاء المرشحين للرياسة بعد حادث بلجيكا الأخيرة بيانات تحرض

على قتل المسلمين وسد الطرق إلى تحركاتهم فاقترح تيد كروز تسيير دوريات في الأحياء المسلمة بينما دعا دونالد ترامب إلى إغلاق الحدود أمام المسلمين، وإعادة استخدام التعذيب، ويحاول كل من كروز وترامب تبني سياسات أكثر تشدداً ضد التطرف والإرهاب من السياسات التي تنتهجها إدارة الرئيس باراك أوباما والتي يعتبرونها متهاونة، وقبل ذلك اقترح ترامب منع المسلمين من دخول الولايات المتحدة خوفا من أن يتسلل معهم متطرفون.

هذه هي النوايا للزعماء والقادة في أمريكا لكنهم ضعيفو الصلة بالتاريخ وكذلك صلاحية أمريكا التي بلغت حالة الإفلاس، وخسرت ما خسرت نتيجة لتدخلها في أفغانستان والعراق وقبل ذلك ما حدث لها في فيتنام وكوريا ودول أخرى تدخلت فيها وأجبرت على الخروج منها وخذلان أصدقائها، وفي كل ذلك درس لها، لأن التاريخ خير معلم فيجب على القادة أن يرجعوا إليه قبل رفع دعاويهم ونواياهم.

لقد جرب العالم نظماً للحكم والحياة من خلال سيطرة هذه القوى المذكورة التي فقدت الآن قوتها وصلاحيتها للبناء، وأثبتت فشلها في قيادة الإنسانية إلى حياة أفضل، فيها كرامة الإنسان، وسلامة الحياة، والحرية التي ادعت الحضارة الغربية أنها شعار لها، وأثبتت هذه النظم أنها نظم كبت الحريات، واستعباد الإنسان لمصالحها الشخصية القومية، وقد وصلت هذه القوى إلى حالة الاحتضار، ويئست الإنسانية من صلاحيتها للقيادة.

فإن العالم يتطلب إنشاء قوة تميز بين الخير والشر، وبين الظلم والعدل، وتملك جرأة لتقول الحق، ولا تخاف في ذلك لومة لائم، ومثل

هذه القوة ضمان لبقاء كل مجتمع وكل شعب على طبيعة الاعتدال ورادع عن الانحراف الكامل، وقد كان ذلك مسئولية المسلمين لكونهم أمة وسط، وكونها شهداء على الناس، لكن تأثير المصالح الشخصية والتربية المادية والنزاعات القومية تحول دون قيام هذه القوة العادلة، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي حيث يقول:

" لقد وقف العالم ـ نتيجة لقيادة الغرب ـ على فوهة بركان، مستعد للانفجار، أو على شفا جرف هار، ولا صلاح للعالم، ولا بقاء للإنسانية، ما دام الغرب في وضعه الحاضر، هو المهيمن على الحياة كلها، وهو مصدر التوجيه والإرادة في جميع القارات، فضلاً عن البلاد والحكومات كالدمل الممد في جسم الإنسانية السليم، وهو مرد كل قلق، وكل فوضى، وكل ثورة وانقلاب، في أقصى الشرق، وفي أبعد أطراف العالم الإسلامي، لا تثمر مع سيطرته جهود إصلاحية، ولا تبقى رغم إرادته ومصالحه حكومات صالحة، ولا نظام راشد، ولا أمل في السعادة، إلا في تحول القيادة والقوة من الغرب المادي الأناني الذي لم يعد قادراً على إسعاد البشرية، ولا رغبة له فيه إلى من يحمل للعالم وللإنسانية روحاً جديدة، وتصميماً جديداً، ويعتبر نفسه مسئولاً عن ذلك أمام الله، ومكلفاً به من قِبَلِه، وهو المسلم الذي ينتظره العالم من جديد، ويهيب به شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال فيقول:

" أنت للسر الأزلي حارس وأمين، وسيد هذا الكون يسار ويمين، لقد كانت نشأتك من التراب، ولكن بك قوام العالم وبقاء الأمم، اشرب كأساً فائضة من اليقين وانهض من حضيض الظن والتخمين، انتبه من السبات العميق، الذي طال أمده واشتدت وطأته.

الغياث من الأفرنج الذين خلبوا العقول وسحروا النفوس، الغياث من هؤلاء الذين خدعوا مرة بالرقة الدلال، ومرة بالقيود والأغلال، وتارة مثلوا دور شيرين، وطوراً لعبوا دور إبرويز، وقد مثل الأوربيون في العصر الحديث دور جنكس وهلاكو، وأصبح العالم كله خراباً يباباً بإغارتهم وغزوهم، يا باني الحرم! ويا خليفة إبراهيم! انهض لبناء العالم من جديد، انتبه من السبات العميق الذي طال أمده واشتدت وطأته".

وسائل الإعلام
بين البناء والهدم

الإعلام بين البناء والهدم[(١)]

إن اكتشاف وسائل المواصلات والاتصالات والرقي في وسائل المعرفة والبحث والتحقيق، قد سهَّل الوصول إلى الحقائق والنتائج على أساس البحث والتحقيق، وذلك يتم بالمشاهدة واللقاء أو دراسة آراء مختلفة أو تفسيرات مختلفة للأحداث، وبسبب هذه الوسائل تيسرت طرق المعرفة، وقد كان الباحثون الذين كانوا يريدون الاختصاص في علم، يقطعون مسافات طويلة للاستفادة من شخصية ذات اختصاص في الموضوع، وكانوا يواجهون في سبيله مشاق وصعوبات، وكانوا في هذه المدة منقطعي الصلة عن مواطنهم وأسرهم، وفي تاريخ العلم والعلماء قصص لتحمل مبتغي العلم المشاق الطويلة والمخاطر والمعاناة في سبيل المعرفة حتى في الحصول على نسخة من كتاب.

ولكن وسائل الإعلام جعلت العلم في متناول كل باغ للعلم، كان الناس يسافرون إلى بلدان بعيدة للبحث عن كتاب توجد نسخة واحدة له مخطوطة في مكتبة من المكتبات أو عند شخصية عالمية كبرى معروفة، وقد تحمل المصنفون هذه الأسفار الطويلة وأشاروا إلى ذلك في مصنفاتهم.

لقد سهلت وسائل الإعلام هذا العمل، ففي متناول كل من يملك الانترنيت بل الجوال، يستطيع أن يصل إلى أي مكتبة ويطالع أي كتاب، وقد وُفِّرت وسائل إعلام جديد في الجامعات التي تدرس العلوم بهذه

---

(١) المجلد: ٦١، العدد: ١٠، مارس ٢٠١٦م.

الوسيلة، فيتعلم الطالب بدون أن يختلف إلى صف في المدرسة أو حضور درس شخصياً، وتجاوز هذا الأمر إلى المعالجة بل إلى العمليات الجراحية التي يجريها الطبيب في مكان بعيد على مريض بعيد عنه.

وبالإضافة إلى ذلك الصحافة التي تصدر جرائدها اليومية، فقد تضاعف عدد الصحف والمجلات، والعاملون فيها والمراسلون لها منبثون في القرى والمدن، ولا يقع حادث إلا وينقل في آن واحد مصوراً إلى مكان بعيد، وتصدر هذه الجرائد تحليلات لأصحاب الفكر والرأي وكثير من المراسلين يكونون مشاهدين للواقع بل مصورين له، فيقرأ القاري ويشاهد الحادث.

هذا هو الواقع في العلم والمعرفة، ولكن الحقيقة هي أن العلم والمعرفة اليوم رغم هذه الوسائل أصعب مما كان في الماضي، والوصول إلى الحقيقة أكثر صعوبة مما كان في الماضي.

إن أكبر مأساة لهذا العصر هي التلفيق والتزوير وقلب الحقائق وعرضها برؤية خاصة، وفي منظر خاص، وقد كان هذا التلفيق في العرض سبباً في دخول أمريكا في الحرب الكونية التي كانت كارثة بشرية ومأساة إنسانية كبرى، وقد كان عرض مظهر دام مزور على الأمريكيين الذين كانوا بعيدين عن الحرب، حرضهم وحوَّلهم إلى خوض هذه المعركة.

إن مثل هذا التزوير بوسائل الإعلام الحديثة يجري اليوم بنطاق واسع، وتنقل وسائل الإعلام مشاهد مزورة تحدث في النفوس رد فعل، وأحياناً تجعل الظالم مظلوماً والمظلوم ظالماً، وتجعل الحسنة سيئة والسيئة حسنة، وفي جانب آخر تقديمُ مناظر الشقاء والقتل والنهب والإفلاس، ومناظر غير أخلاقية تثير

الفحشاء وتشوه الأذهان، وتفسد الشباب، جعل النفوس وضمائرها جامدة لا تحركها هذه المناظر السيئة بالإضافة إلى اضطراب فكري، قد يحدث زوبعة في فنجان، وبهذا الموقف أصبحت هذه الوسائل وسائل قلق واضطراب وبلبلة وفوضى.

في غضون الحرب في أفغانستان نشرت مجلة إكنومست على غلافها عنوان "حرب الدعاية" وفي الواقع كانت حرب أفغانستان ودخول أمريكا فيها نتيجة لدعاية إعلامية مكثفة، فأدت هذه الحرب إلى خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات في الجانبين، ولا تزال الحرب تدمر المنطقة، وتستمر عمليات القصف رغم مرور مدة طويلة، ولا يستغرب أن تتكرر قصة انسحاب القوات الأمريكية من فيتنام.

إن الوضع في الشرق الأوسط يتجه إلى حرب طاحنة، قد تتصادم فيها القوتان العالميتان، وتصبح منطقة الشام مسرح حرب بشعة عالمية كما كانت في الماضي خلال الحرب بين الروم والفرس، وتنقل وسائل الإعلام كل يوم أخبار تنقلات وسائل الحرب والصراعات المسلحة بين مختلف الفرقاء المعنيين، وتكون أذهان القراء، ولا يتضح من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه، وتتضخم كل يوم أعداد النازحين والقتلى، وفي الحقيقة تتحول وسائل كل هذه البلدان للإعمار والتطوير والتقدم إلى وسائل التدمير، فيخرب المسئولون عن تقدم البلاد كأنهم يخربون بيوتهم بأيديهم، وقد دمرت معظم مدن سوريا كلياً بالإضافة إلى سكانها أو قتلهم حتى المستشفيات للأطفال لم تنج من هذه الأحداث.

ولم يقتصر هذا الوضع في الشرق الأوسط بل تتعدى هذه الأحداث إلى الناشطين للإسلام، وتحول وسائل الإعلام مسئولية

كل حادث في العالم إلى المسلمين وبخاصة الشباب المسلم في كل مكان موضع شك، ولم تنج الهند وباكستان من هذه الدعاية ضد المنتمين للإسلام بل تعدَّت إلى مراقبة كل متحفظ ومتبع لتعاليم الإسلام، وتفرض قيود على مراكز التعليم والتربية.

وبلغ هذا الخوف مما يسمى بالإسلاميين حداً يطارد كل شخص في أوربا وأمريكا، وأدت هذه النفسية في المواطنين إلى اتخاذ الحكومات لإجراءات تعسفية وقمعية ضد المسلمين عامة، وأكبر دليل على هذا الخوف بيان المرشح للرياسة في أمريكا دونالد ترامب الذي طالب بمنع دخول المسلمين في أمريكا.

وبسبب هذه النفسية للخوف تكثر حوادث الهجوم على المساجد، وتغلق المدارس، وتفرض قيود على أئمة المساجد، وهو أمر يتعارض مع تصور حرية الفكر والعمل التي تتزعمها أوربا، ويتعدى ذلك إلى التمييز على أساس الدين، وهو أسوأ من التمييز العنصري والتفرقة العنصرية، وقد تأثرت بذلك حالة الأمن أو تأثرت الصلات بين المسلمين وغيرهم.

وبعد حادثة ٩/١١ شن القادة الأمريكيون الهجوم على ما سموه بالإرهاب الإسلامي فوضعت على أوامرهم قيود على العمل الإسلامي، وتقديم معونات مالية إلى ما وصفوه بوسائل تنمي الشعور الإسلامي، ووصف جورج بوش الابن هذا الحادث بالحرب الصليبية بعد أن القادة كانوا يقولون أنهم لا يحاربون الإسلام، بل يحاربون الإرهاب أو التطرف أو الإسلام الإرهابي.

وكانت " قاعدة" المزعومة ذريعة للهجوم، وبعد أفغانستان استهدفوا العراق بتبرير أن حاكم العراق يملك وسائل التدمير

الشامل، وبعد ما أدت حرب العراق إلى تدمير البلاد وخسائر في الأرواح وتفكك البلاد ووقوع حرب أهلية بعد سقوط النظام السابق، قد ظهر هدف وعدو جديد، وركز الإعلام العالمي اهتمامه على وجود هذا العدو بدعاية مكثفة ضد هذا النظام وكونه خطراً للعالم كله ووقوع أوربا كلها عرضة لهذا الخطر، وظهر رد فعل له في أمريكا خاصة، واستغله المرشحون للرياسة، وتجري الآن تحركات عسكرية واسعة تشمل قوى العالم المختلفة لمحاربة هذا العدو المشترك في المنطقة الواسعة التي تشمل العراق وسوريا وتركيا بعملية مشتركة.

لقد تغيرت الأسماء ولكن الهدف الحقيقي واحد، وهو القضاء على اليقظة الإسلامية وتحويل الانتباه عما ترتكبه إسرائيل من جرائم، ومن الغريب أن القادة السياسيين يقولون إنهم لا يحاربون الإسلام بل يحاربون الإرهاب، كما صرح الرئيس الأمريكي باراك أوباما خلال زيارته الأخيرة لمسجد خارج مدينة بلتيمور بولاية ميريلاند الأمريكية، فقال إن الهجوم على الإسلام هجوم على كل الأديان، وأكد رفضه محاولات عزل المسلمين في الولايات المتحدة والعالم بناءً على أفعال القلّة التي ترتكب أعمالاً إرهابية باسم الإسلام منوهاً بمساهمات المسلمين الأمريكيين في مختلف مفاصل المجتمع.

وقال أوباما في كلمته عن سبب قيامه بالزيارة: إنني أريد أن أقول كلمتين لا يسمعهما المسلمون الأمريكيون كثيراً وبالشكل الكافي، وهما: شكراً لكم، شكراً لخدمتكم مجتمعنا (الأمريكي)، شكراً للنهوض بحياة جيرانكم ومساعدتكم لنبقى أقوياء ومتحدين كعائلة أمريكية واحدة.

وتابع أن السبب الثاني للزيارة هو أعلم أنه بالنسبة للمجتمعات الإسلامية في مختلف أنحاء البلاد، فإن هذا هو وقت

القلق، وبصراحة وقت لبعض الخوف، فمثل كل الأمريكيين، فإنكم قلقون من تهديد لإرهاب، لكن فوق كل هذا، فإنكم كمسلمين أمريكيين فإن لديكم قلق آخر، وهو أن مجتمعكم بأكمله كثيراً ما يصبح هدفاً أو ملاماً للعنف الذي تمارسه القلة القليلة.

وعزا أوباما تعرض المسلمين للاتهامات بالعنف إلى صغر مجتمعهم مقارنة بعدد سكان الولايات المتحدة، ولعدمٍ معرفة الكثير من الأمريكيين عن حياة المسلمين الشخصية، مبيناً أن الطريقة الوحيدة التي يسمع بها العديد من الناس عن المسلمين والإسلام، هي عبر الأخبار بعد وقوع حادث إرهابي، أو الصورة المشوهة التي تستخدمها بعض وسائل الإعلام في التلفزيون والأفلام، ما يعطي هذا الانطباع المشوه بشكل كبير، وفقاً لتعبيره.

فمن نصدق: بيان رئيس يستعد للتقاعد أو بيان رئيس يُحتمل أن يتولى الرئاسة؟!.

ولكن تجري في العالم حركة موسعة علمية وإعلامية ضد خطر الإسلام بصراحة، بل العالم الإسلامي وخاصة الشرق الأوسط الذي يعتبر مهد الإسلام ومركز المسلمين.

كان جورج بوش الأب قد صرح بعد أزمة العراق والكويت أنه سيغير خريطة العالم ويشكل كيانات صغيرة، ويبدو من هذه التطورات في المنطقة الإسلامية أنه يجري العمل حسب خطة بوش الأب، فهل يجري تمهيد السبيل إلى تحقيق هذا الهدف؟. وقد قال الشاعر العربي لبيد بن ربيعة:

وما الناس إلا عاملان عامل
يتبر ما يبنى وآخر رافع

الاستهانة بقيمة الكلمة المقروءة والمسموعة مصدر البلاء[1]

هيأت وسائل الإعلام المتوفرة اليوم، وتسهيلات الطباعة والنشر، وانتشار دور التوزيع المدعمة بالوسائل المادية ومواقع التواصل الاجتماعي، فرصة الكتابة، لكل من يحمل القلم ويقدر على التعبير، كما هيأت الحياة الشاغبة وتكاليفها الباهظة التي تجبر الإنسان على العمل الشاق، أكثر من طاقته، وزادت همومه وآلامه، بارتفاع مستوى الحياة، إقبالاً على مواد القراءة من كل نوع بصرف الاهتمام عن مسائل الحياة المضنية، وشغل الذهن عن مشاكل الكفاح للحياة، فتتسرب مواد القراءة من كل رطب ويابس وجد وفكاهة، ودين ودنيا، وعلم وعاطفة، وشعور وإحساس، ولامبالاة، وإهمال للمسئوليات، إلى كل منزل، وتصبح في متناول يد كل شخص.

وللشغف بالقراءة، وتوفير فرص للكتابة، نشأت مكتبات ذات شخصية مميزة، ومكتبات كمجمعات تجمع ما هو للدين، وما هو للدنيا، وما يبني الفكر وما يهدمه، وما يبني القيم والأخلاق، وما يبعث الإنسان على التهور، والإرهاب والسعادة على حساب شقاء غيره من الإنسان، كما قامت مكتبات على الشوارع، وأرصفة محطات القطار، ومواقف الأوتوبيسات، وحقائب الباعة المتجولين الذين يحملون الكتب الشهرية، والمجلات والدوريات، والروايات المثيرة التي تخدر وتسمم الأذهان، وتثير الغرائز وتصدم الذهن بأفكار وآراء.

---

(١) المجلد: ٦٠، العدد: ٥، نوفمبر ٢٠١٤م.

وقد عمت عادة القراءة من كل نوع بحيث إن بعض النفوس لا تستعد للنوم إلا بعد قراءة شيئ مثير أو ما يسلي الذهن، وبلغ التطرف في هذا الأمر إلى أن بعض الناس يحملون بعض الكتب المثيرة إلى الحمام، أما القراءة في السفر في الأوتوبيس والترام والقطار والطائرة فهي مهيأة، وشائعة، وهي أهم وسيلة لقضاء الوقت، بل وسيلة للاستجمام الذهني.

وبازدياد الشغف بالقراءة تحتاج دور الطباعة والنشر التي يكسب منافع مادية هائلة بهذا المصدر للرخاء إلى كتاب طامحين وطامعين، وأحياناً تجبر الكتاب الذين نالوا الشهرة والبراعة بكتاباتهم، على الكتابة على مواضيع مثيرة، تجذب القلوب، وتهتم بالكتب التي تنفق في السوق أكثر مما تهتم بالكتب القيمة التي تفيد علمياً أو فكرياً أو دينياً، لأن الكتاب لديها بضاعة، وسلعة، ومقصودها الأول الكسب المادي، فينحرف كثير من الكتاب المفكرين إلى اختيار موضوعات تجذب المشتري.

فالكتاب اليوم أو الصحيفة، أهم مصدر لكسب الرخاء المادي، ولم يعد وسيلة للإعلام أو التعليم، أو التربية، فإذا أجرى إحصاء لمعرفة نوايا الكتاب الحقيقية، هل هي فكرية وعلمية، أم هي مادية وتجارية، لأدرجت أسماء كثير من كتابنا اليوم في قائمة المتكسبين والمحترفين.

ويظهر ذلك بوضوح بالمقارنة بين مقالات، وتعليقات في الصحف وبين اتجاهات ومواقف في الكتب، فإنها تتأرجح وتتمايل حسب الظروف والفرص، كالزعماء السياسيين اليوم الذين يغيرون أحزابهم وولاءاتهم وآرائهم ونظرياتهم حسب الإمكانيات، والدوافع المادية والنفسية، أما المبادئ والأصول فهي الضحية الكبرى في هذا العصر.

كان المثقفون في الماضي يضحون بحياتهم من أجل مبادئهم وأصولهم الفكرية، وقد أحرق كثير من القادة والزعماء، وأتباعهم من عامة الناس أحياء، وواجه كثير منهم الشنق، وكان التذبذب والتأرجح في الأفكار عاراً كبيراً، ولم يكن هناك أي ارتباط في الماضي بين الفكر والذهن، وبين البطن والشهوة، فكان المفكر والقائد خارجاً عن سلطان الهوى، والبطن، لا يغريه مال، ولا يثنيه بطش ولا سطوة.

ولكن المادة طغت على كل مجال من مجالات الحياة اليوم، وأصبحت المصلحة السياسية والفردية منطلق كل عمل وقول، كما طغت الأنانيات على قول الحق، ولذلك رغم توفر هذه الوسائل للإعلام يزداد حجم الجهالة الفكرية، وتتسع المتاهات الذهنية، وحيرة الإنسان.

وتزداد دهشة الإنسان إذا وجد كاتباً واحداً ينقلب ظهراً لبطن، ويحاول أن يجعل الحقائق أباطيل، والأباطيل حقائق، ولا يستقر بحال من الأحوال، وكم يحار الإنسان إذا وجد كل شخص متهما بخيانة وتلفيق كما يجد في الانتخابات العامة لأن كل من يخوض الانتخاب يكشف عن سوءاته من قبل منافسه الآخر، فيصبح كل منافس متهماً، ولا يصل الناخب إلى نتيجة إلا أن يقول: كلكم خونة.

أضيف إلى هذه وسائل التعبير عن المختلجات والأحاسيس، وسيلة الانترنت التي تتيح لكل من يرغب في إبداء ما في ذهنه من فكر أو خيال، أو رأي، فتتاح لكل شخص بهذه الوسيلة فرصة للتعبير، وتحدث بسبب هذه الفرص المتاحة للتعبير حوادث عندما

تجرح المواد المعبر عنها في الانترنت، مشاعر شخص، أو تنافي فكراً سياسياً معيناً، أو عقيدة دينية، أو قومية أو وطنية، وأصبحت هذه الوسائل للتعبير مصدر صراعات؛ تؤدي إلى اشتباكات، وأحياناً إلى اضطرابات.

أصبحت الكتابة اليوم مهنة، بينما كانت وظيفة ذات مسئولية، وتجردت عن كل مبدأ، وعن كل قيمة، ولذلك صارت وسيلة للشرود الفكري والميوعة الذهنية، وثورة عقلية، وهو اتجاه خطير للإنسانية اليوم، لأن الكتاب أو الصحيفة لا تقل في التأثير عن السلاح الفتاك لأنها تصنع الذهن، والذهن هو الذي يوجه الإنسان في استخدام السلاح فإذا لم تكن لها مبادئ وأهداف نبيلة وتوجيه سليم لقادت الإنسان اليوم إلى تناحر، وتضارب، وتكالب كما تظهر آثاره.

وقد كانت مسألة الكتابة والخطابة، أكثر خطورة للمسلم الذي يؤمن بالآخرة والحساب، يوم تتكلم الأيدي وتشهد الأرجل وتنطق الألسن، فيثاب المسلم أو يعاقب على كل كلمة تفوه بها، أو كتبتها ريشة قلمه، فليكتب من يكتب وليتكلم من يتكلم بشعور من مسئوليته فإن ما يتقاضاه من نقود، مهما تكاثرت لا تعصمه من أمر الله.

لقد أنشأ كثير من الكتاب ثروات هائلة بكتاباتهم حسب الذوق العام وإثارة النفوس وجعلوا أفكارهم سلعة تباع، وهم يتكاثرون بها، ولكن لا تفوتهم حقيقة بأن ما يكسبون تسجل وتقيد، وجهاز هذا التسجيل أدق من المخابرات الدنيوية التي يخشونها، جهاز لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وجعلها حاضراً.

العالم الإسلامي وغزو العلم والإعلام[1]

لو كلف باحث من الباحثين نفسه بجمع الحقائق والأرقام عن الأحداث والتطورات، وموقف الغرب إزاء هذه الأحداث في مختلف بقاع العالم، لخرج بنتيجة واحدة، وهي أن للغرب دوافع استعمارية مستمرة، في سلوكه مع مختلف الشعوب في العالم، ولكن مع الإسام والمسلمين، له دوافع دينية ذات عنجهية صليبية، فيجحد كل فضل في الإسلام، وكل خير في العالم الإسلامي، ويصادف كل عيب وشرّ فيه، وأن الغرب لا يزال يحمل نفسية الخوف والذعر من انطلاق الشعب المسلم، والشعور بأن العالم الاسلامي لا يمكن إلحاق الهزيمة به عسكرياً، فيجب أن يبقى في متاهاته وضلالاته، ويجب أن تستمر عليه القيود والأغلال.

لم يختلف أسلوب عرض الإسلام واستعراض الظروف في العالم الإسلامي رغم مرور هذه القرون الطويلة، ورغم فرص التقارب والاختلاط بالمجتمع الإسلامي، لأن طبيعة الجحود لا تفارق الغربيين، ونفسيةُ الخوف من الإسلام تطاردهم.

وكذلك تُدَرَّب بعضُ النفوس لارتكاب أعمال توصف بالعنف الديني، وتؤدي هذه الأعمال إلى إجراءات مشددة بعنوان مكافحة الإرهاب، وقد أصبح هذا الوصف في العصر الراهن ملصقاً بالنشاط الديني والحركة الإسلامية، كأن العاطفة الدينية تؤدي إلى

---

[1] المجلد: ٦٤، العدد: ١، مايو ٢٠١٨م.

ارتكاب عنف، مهما اختلف هذا التصوّر عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى السماحة والصبر والحلم في الدعوة والعمل الديني حتى السلوك مع غير المسلمين، وتحتوي على هذا المضمون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأمثلة الدعاة إلى الإسلام في القرون الماضية، الذين طابق منهجهم المنهج النبوي، وكذلك يُجْبَر الحكام في البلدان الإسلامية على اتخاذ إجراءات لفرض الحظر على الحركة الإسلامية وتؤدي هذه الإجراءات التعسفية إلى حدوث ردود فعل في الشعب.

تعكس هذه العقليةَ وسائلُ الإعلام الغربية، فإنها تبحث عن عنصر الشر في كل حادث في العالم الإسلامي، وفي مواقف المسلمين، مهما يكن نوعه، فإذا وقع حادث إرهاب أو عنف في أي جزء من أجزاء العالم، أسرعت هذه الوسائل إلى اتهام المسلمين بأنهم متطرفون متعطشون للدماء، وإن القرآن يحثّ على الإرهاب والعنف.

ولا تخفى هذه الوسائل الإعلامية عداءها للإسلام، بل تحثّ العالم كله على محاربة الإسلام لأنها تعده خطراً على الحضارة الإنسانية، ومن عادة الكُتّاب في الغرب أنهم يعدّون حضارتهم نموذجاً للحضارة الإنسانية، فيخشون أن يبيد الإسلام هذه الحضارة التي اخترعت الأسحلة المبيدة للإنسان، واستعمرت الشعوب، وخلقت الصراعات في كل اقليم، وفرّقت بين الأسود والأبيض، وفرضت على العالم حروباً طاحنة كلفت ملايين من البشر، وروجت الأسلحة السامة التي يعاني منها الإنسان وأكرهت الشعوب المستضعفة على قبول مذاهبها وفلسفتها، ونظمها وآدابها، ولكن رغم ذلك تصف وسائل الإعلام الغربية حضارة أوربا بالحضارة الإنسانية.

وقد ألف المستشرقون كتباً حول الموضوعات الإسلامية،

عرضت صورة مشوهة من التاريخ الإسلامي ولا تزال هذه الكتب مصدراً للعلم والعمل عند الدارسين للإسلام، وهي في المواد الدراسية في الجامعات والمراكز العلمية.

إن الجنون لمحاربة الإسلام واجتماع القوى الأوربية كلها لوقف انتشار الإسلام اليوم وحرصها على النصرانية أو الأيديولوجيات الغربية الملحدة، وجنون الدول الأوربية لمحاربة الإسلام في العهود الصليبية، وسفك دماء المسلمين كلما احتلت أوربا بلاد المسلمين، وإبادة الذخائر العلمية والفكرية، لا تشكل في عيون هؤلاء الكتاب جنوناً دينياً، ولا تزمُّتاً، ولكن كلمة الجهاد تخوف أوربا كلها، وتوقفها على أقدامها مهرولة مذعورة، وتدك كيانها، كأن عاصفة هوجاء هبت لتدك أوربا بكاملها، وإن كانت هذه الحركة التي تدعو إلى الجهاد فئة قليلة من الناس يعيش أصحابها في الأكواخ، ولا يملكون وسائل ولا مواد القتال، وقد يكونون منعزلين ومحاربين من قبل حكوماتهم، ولكن هذه الأصوات الخفية المنعزلة تقلق أوربا، فتسرع وسائل الإعلام بأنواعها إلى إعداد تقارير مروعة عن نشاط هؤلاء الأشخاص المعدودين، وتحث الحكومات على أن تترك كل برامج للتنمية والبناء في البلاد، وتوجه كل طاقتها إلى القضاء على هذه الحركة وتحث على مصادرة الكتب الدينية، وإقفال المدارس ووضع رقابة على المساجد وتعتبر جميع هذه الإجراءات تقدماً وصيانة للحرية.

هذه هي العقلية التي تدل على الحقد والكراهية وضيق الفكر والتشنُّج في الأذهان التي تدعى بالانفتاح والحرية والتسامح الفكري وما يستغرب أكثر أن المفكرين والعقلاء في أوربا لا يدركون هذه الازدواجية أو التناقض الفكري لأن العصبية تعمى أبصارهم.

إن الذين يُسْلِمُون من العلماء والزعماء والفنانين في الغرب، يعترفون أول ما يعترفون أنهم كانوا في خداع، لأن الكتب التي ألفت عن الإسلام كانت تعطي فكرة دينية سيئة للغاية عنه، وأن وسائل الإعلام في الغرب تصور العالم الإسلامي تصويراً مضللاً، لكنهم وجدوا بالاختلاط بالمسلمين ودراسة المصادر الأصيلة للإسلام، أن الإسلام خير الأديان، وإن حياة المسلمين رغم ما يعاني المسلمون من متاعب، ويواجهون من مسائل، هي حياة سعاة لوجود روح التعاون والتآخي والشعور بالمسئولية والأخوة فيهم، وإنهم أمة اجتماعية متعاضدة، ومن ثم كان انتقاد هؤلاء العلماء الحياة في الغرب، واتجاه الحضارة الغربية انتقاداً شديداً، وقد تكهن بعض الأوربيين أن حضارة الغرب هي في ذاتها تهدد الإنسانية بالفناء.

إن دراسة الأوضاع دراسة واقعية لا تدعو إلى يأس أو خيبة شعور، أو ذعر، فقد وعد الله بنصر دينه، فإن مثل هذه النشاطات تستمر منذ العصور الأولى وتصاعدت في عهد الاستعمار، وقد وضع الاستعمار كل وزنه في كفة هذه النشاطات، ولا شك أن هذه النشاطات قد حققت أهدافها ولو بنطاق محدود في كثير من المجتمعات، وتشاهد آثارها في المناطق المنكوبة أو المتخلفة اقتصاديا، أو المناطق التي لا توجد فيها مراكز الدعوة الإسلامية، ولكن بجانب هذه النكسات ترد تقارير تفيد بانتشار الإسلام في أماكن جديدة، كما تفيد بالعودة إلى الإسلام، واتباع تعاليمه في أوساط المسلمين، ويعترف بذلك المسئولون عن الحركات التنصيرية، حتى البابا السابق اعترف بذلك، ومما يبعث على الاستبشار أن الإسلام ينتشر في مراكز النصرانية التي عرفت بعدائها للإسلام والمسلمين،

كأسبانيا واليونان، أما أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وألمانيا وروسيا، فإن تقارير انتشار الإسلام فيها رغم المعوقات مشجعة للغاية.

فقد أفادت التقارير الإعلامية أخيراً بأن السياسى الألمانى أرتور فاغنر الذي كان يُعَدُّ من ألد أعداء الإسلام، اعتنق الإسلام.

وقد تساءل موقع "دويتشه فيله" في تقرير بالخصوص، لماذا اعتنق هذا السياسى الألمانى المنتمى إلى حزب ألمانى "شعوبى" الإسلام بعدما كان من ألد المعادين له؟، لافتا إلى أن اعتناق أرتور فاغنر، العضو في حزب "البديل من أجل ألمانيا" للدين الإسلامى وتغيير اسمه إلى أحمد، لا يزال يحظى باهتمام الرأي العام ووسائل الإعلام الألمانية.

أوضح فاغنر بعد اعتناقه الإسلام قائلاً: " عرفت المسلمين صادقين ومخلصين". وكشف أنه اتخذ قراره باعتناق الدين الإسلامى منذ نوفمبر/تشرين الثانى ٢٠١٥ خلال زيارة قام بها إلى روسيا، مضيفا أنه تعرف هناك على المسلمين "كشعب منفتح وصادق"، ما شجعه أكثر على هذه الخطوة.

وأسر فاغنر ـ بحسب موقع "فوكوس" ـ بأنه لم يبلغ أعضاء الحزب بقراره، وكان في حيرة من أمره في كيفية إبلاغ "درياس كاليتس" رئيس منظمة الحزب اليمينى الشعوبى المعادي للإسلام في ولاية براندنبورغ، بالقرار، خصوصا وأن الأخير من بين الذين يتبنون شعار "الإسلام لا ينتمى إلى ألمانيا".

وذكر المصدر أن فاغنر شرح قراره الذي فاجأ الكثيرين، باعتناق الإسلام، ونقلته مجلة "فوكوس": "من بين الأسباب التى جعلتنى أعتنق الإسلام التغييرات التى طرأت على الكنيسة، ولم تعد تنسجم مع قناعاتي: موقفهم من حزب البديل من أجل

ألمانيا، وزواج المثليين ومشاركة القساوسة في احتفالات المثليين (يوم كريستوفر) ببرلين".

من جانب آخر، أكد السياسي الألماني لصحيفة "تاغيس شبيغل" أنه لم يتعرض، بسبب إسلامه، إلى ضغوط من أجل دفعه إلى الانسحاب أو الاستقالة من قيادة الحزب، فيما قال دانييل فريسه، المتحدث باسم حزب البديل من أجل ألمانيا معلقا على إسلام فاغنر: "لا أعتقد أن ذلك يعد مشكلة عند أغلبية أعضاء الحزب"، لافتا إلى وجود أعضاء مسلمين في الحزب".

إن الموقف المعاصر للقادة السياسيين ضد الإسلام وضد الدعوة إلى الإسلام موقف قائم على سوء الفهم، والخوف من صلاحية الإسلام لكسب القلوب، والتي تظهر في سرعة انتشار الإسلام واعتناقه خاصة لدى المثقفين الذين يدرسون الإسلام، كما تدل عليه تقارير صحفية.

وبناءاً على هذه النظرية يقوم أعداء الإسلام بتدبير عمليات لتشويه صورة الإسلام والحركات القائمة بنشر الإسلام، وتقدم بعض تصرفات دعاة الإسلام الطائشة أو القائمة على روح الانتقام، الوقودَ للحرب التي شنها أعداء الإسلام في هذا العصر، كما يرجع هذا الموقف إلى لجوء القائمين على الحركات الإسلامية إلى اتخاذ وسائل مقاومة محاكاة للحركات الغربية المعاصرة، فأصبح بذلك الإرهاب صفة الإسلام، ويقوم الموقف المعاند للإسلام بوسائل القمع والكبت ضد العاملين للإسلام، فانقلب الوضع، ويواجه المسلمون بغض النظر عن عملهم بتعاليم الإسلام وانحرافهم عنه، موقفاً خطيراً وهو موقف الشك والريبة والقمع وكبت الحرية والإسراع إلى اتهامهم بتهمة الإرهاب.

إن مسئولية العاملين في مجال الدعوة والتربية الإسلامية في مثل هذا الوضع أن يبتعدوا عن موقف المجابهة لتجنُّب الإجراءات القاسية، ومنع فرض القيود على العمل الإسلامي، ومواصلة عمل الدعوة، وتشكيل الذهن، وإزالة المخاوف من النفوس بالنسبة للإسلام والعاملين للإسلام، وعرض الإسلام علمياً وعملياً، وقد أشار إلى ذلك الشيخ الندوي فيقول:.

" ليس خطب الدعوة الدينية والتجديد الإسلامي بهيِّن، فليست رسالتها ومهمّتها قلب نظام فقط، أو تغيير وضع سياسي بوضع سياسي آخر، ونظام اقتصادي بنظام اقتصادي آخر، ولا نشر الثقافة والعلم، ومكافحة الأمية، والجهل، أو معالجة البطالة والتعطل، أو معالجة عيوب اجتماعية أو خلقية، إلى غير ذلك مما يقوم له الدعاة والمصلحون في أوروبا، وفي الشرق، وإنما هي دعوة الإسلام التي تشمل العقيدة، والأخلاق، والأعمال، والسياسة، والعبادة، والسلوك الفردي والاجتماعي، وتتناول العقل، والقلب، والروح، والجسم، وتعتمد على تغيير عميق في القلب، والنفسية، والعقيدة، والعقلية، وتنبع من القلب، قبل أن تنبع من قلم، أو صحيفة كتاب، أو منصة خطاب، وتنفذ على جسم الداعي وحياته قبل أن يطالب بتنفيذها على المجتمع ".

إن للإسلام منهجاً في سائر مجالات الحياة، سواء كان في الحياة الفردية أم الجماعية أو مواجهة الأعداء، وهذا المنهج واضح، وقد اتبعه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمثلته منشورة في كتب التاريخ، وقلّده متبعوهم بإحسان، ولم يحيدوا عن هذا المنهج قيد شعرة، فكان النصر حليفهم، وقد وعد الله بالنصر إذا

كان العمل متصفاً بتعاليم الإسلام والأسوة الحسنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد ساد المسلمون العالم باختيار هذه التعاليم ألف سنة، وكلما وقع انحراف عن هذا المنهج والأسوة الحسنة واجه المسلمون الهزيمة، ووقعوا في المحن.

إننا في هذا العصر الذي نواجه فيه الأعداء والهزائم والنكسات في مختلف أنحاء العالم يجب علينا أن نحاسب أنفسنا وندبر ونفكر في أسباب الهزائم والنكسات حتى في سبيل الدعوة وإقامة نظام إسلامي، فقد جاء في القرآن الكريم "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" [النور: ٥٥ -٥٦].

هذا هو المنهج النبوي السليم للدعوة والعمل الإسلامي، وهو عرض الإسلام بصورة عملية، وتمثيل تعاليم الإسلام السمحة تمثيلاً صادقاً مؤثراً، وإنشاء مجتمع إسلامي يسوده الأمن والسلام، والأخوة والمحبة، وروح التشاور والتعاون، ومواجهة الإعلام بعرض الحقائق علمياً وفكرياً بأسلوب معاصر، والقيام بعمل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (فصلت: ٣٣ -٣٥).

بمن يثق الإنسان فيما ينويه[١]

لقد تقدمت وسائل العلم والمعرفة في هذا العصر، وانتشرت في البلدان التي كانت متخلفة في هذا القطاع؛ فكانت تعتمد على مراكز العلم والمعرفة في الغرب، بالتوجه إلى الغرب، أو باستخدام خبرة خبراء الغرب في مختلف مجالات المعرفة والاستفادة منها محلياً، وقد استغنت بعض هذه البلدان عن الخبرة الأجنبية، وأحرزت الاكتفاء الذاتي، وتقدمت في التكنولوجيا والبحوث الطبية، وأصبحت تجذب رواد العالم إليها والاستفادة من تجاربها.

وبهذا التقدم تبدو بعض المدن الكبرى أشباه مدن الدول الغربية في كل مجال من مجالات الحياة، في الفن المعماري، وفي توفير فرص التعليم والمعالجة الطبية والصناعة، أما الثقافة فلا يبدو فيها أي فارق بين الشرق والغرب، بل بين القرى النامية والمدن الكبرى، وقد فتحت مراكز التعليم في القرى، وتبدو للناظر في الصباح والمساء طوابير من الأطفال والكبار المتوجهين إلى مدارس العلم، وأصبحت وسائل النقل المتطورة ميسرة ومهيأة في كل وقت، ووسائل الاتصال المباشر متوفرة في كل مكان.

كل ذلك كان يقتضي أن تكون الحياة المعاصرة حياة أمن وسلام، وحياة عافية وتضامن ووحدة، ولكن النظر إلى الأوضاع الراهنة يؤدي الناظر إلى التشاؤم في مستقبل هذا العالم المتمدن،

---

[١] المجلد: ٥٩، العدد: ١، يوليو ٢٠١٣م.

ويبعث على الشعور باتجاه العالم المعاصر إلى التفكك والتبعثر، رغم وجود وسائل الاتصال المتقدمة، والالتقاء والتبادل في الخبرات والوسائل المهيأة بانتشار وسائل النقل والاستفادة.

إن خير وسيلة لمعرفة واقع الحياة المعاصرة وسائل الإعلام التي ينتشر وكلاؤها في كل بقعة من بقاع العالم، فينقلون إلى العالم مرئياتهم ومشاهداتهم بصور وتقارير مفصلة ولا يخفى على من يقرأ الصحف أو يجلس أمام التلفزيون، أو يقضي بعض الوقت أمام جهاز الانترنت، ما يحدث في العالم

ولا تحتاج وسائل الإعلام المعاصر إلى وكلاء ومراسلين" بل هناك وسائل مباشرة لنقل التصورات والمرئيات والتصورات والنظريات الشخصية عن طريق فيسبوك ويوتيوب، وتويتر التي أطلقت الحرية لكل من يملك هذه الوسائل للتعبير عن الرأي.

إن الحرية المطلقة لاستخدام هذه الوسائل لنقل الأحداث ونقل التصورات والأفكار والاتجاهات تؤدي أحياناً إلى بلبلة الفكر وتشويش الأذهان عند ما تنشر فيها مواد تحمل التهجم على المعتقدات والنظريات، وتجرح المشاعر الدينية والوطنية والقومية والجنسية والسياسية، وبهذه الحرية المطلقة لاستخدام هذه الوسائل يتعرض العالم اليوم لاضطراب فكري وعملي، وإذا لم يوضع حد لهذه الحرية المطلقة للإعلام وبروز التصرف الفردي المطلق في الأخبار والإعلام، فإن العالم سيصبح مسرح صراع وتفكك، يعيد العالم إلى ما كان عليه قبل الحضارة.

إن هناك اليوم حرية للاعتداء والتهجم على أي فكر، أو شخصية أو تقديم صورة مضادة للواقع، في أي وسيلة من هذه

الوسائل الشخصية للإعلام، كان الهجوم على نبي الرحمة والإساءة إليه والهجوم على المسلمين وسوء نقل الواقع عن المجتمع الإسلامي وتشويه سمعتهم عادة متبعة في الإعلام الغربي وانتقلت هذه العادة إلى الشرق فيشاهد في وسائل الإعلام ما يسيئ إلى الإسلام والمسلمين في فيسبوك ويوتيوب في الهند؛ البلد الذي عرف بالأمن وعدم العنف، والمؤاساة والمساواة في الماضي قبل عهد الإعلام وانتشار وسائل المعرفة التي أسيئ استخدامها كما أسيئ استخدام وسائل الإعلام، وقد وقعت أخيراً مثل هذه الاعتداءات بنشر صور مهينة للإسلام والمسلمين والرسول الأعظم ﷺ فاحتج المسلمون وتأثر به الجو الطائفي.

من أمثلة حرية نقل الأخبار خبر في يوتيوب أن البابا بنديكت الذي تنازل عن منصبه أخيراً، قد أعلن إسلامه واختار اسما إسلامياً هو سجاد، وأن عدداً من أتباعه اعتنقوا الإسلام، وجاء في الخبر أنه عند ما سئل عن تصريحه الذي أدلى به عن النبي ﷺ بأنه ما جاء بخير إلا بالسيف، فقال: أدلى بهذا التصريح قبل دراسة الإسلام والسيرة، وصار هذا الخبر موضوع الساعة وحديث المحافل ولكن لم يصدق هذا الخبر من جهة موثوق بها ولم يكذب أحد من المسئولين.

ومثال آخر أن صاحب فلم الفتنة الهولندي أعلن الإسلام وذهب إلى السعودية لتأدية العمرة وبكى عند قبر الرسول ﷺ ثم ظهرت تعليقات على هذا الخبر هل هو واقع أم منحول؟.

ومثل هذه الأمثلة كثيرة.

وبجانب الإعلام ووسائله تجري حركة لنقل الأفكار والتصورات الشخصية المتضاربة بتأليف كتب في السياسة والفكر،

يقدم الكاتب فكره ويصور الواقع بمنظوره ومقياسه، ومثل هذه الكتب كتاب "شمس الإسلام تسطع على الغرب" للمستشرقة الألمانية هونكة، وأصبح موضوع هذا العصر A World Without Islam (العالم بدون الإسلام) للكاتب الأمريكي Graham Fuller وظهرت على هذا الكتاب تعليقات على الانترنت، وأصبح الكتاب موضوعاً شاغلاً مثل كتاب صراع الحضارات (The Clash of Civilization and the Remaking of World Order) لصموئيل هنتنغتن (Samuel Huntington).

وتصدر سلسلة من كتب تعالج القضايا الإسلامية، يظهر فيها الكتاب رؤيتهم عن الإسلام والمسلمين حسب دراستهم وفهمهم للإسلام، وتنتشر هذه الكتب في الأسواق العالمية، ويقرؤها القراء، وتحدث في أذهانهم أسئلة، وفي أوربا أكاديميات خاصة بدراسة الإسلام تصدر بحوثاً عن الإسلام، وهذه الدراسات تحتاج إلى دراسة وبحث من وجهة النظر الإسلامية، ولا يتحقق ذلك إلا بإنشاء مجامع وأكاديميات إسلامية للنظر في هذه البحوث ومناقشتها مناقشة علمية رزينة وغربلة الأفكار وإرشاد المثقفين.

كذلك هناك قنوات عاملة وشبكات ومواقع الانترنت والتلفزيون وتحقيقات ما يسمى بوكي ليكس التي تزيد بلبلة الفكر وتؤثر على العلاقات بين مختلف الطبقات، وتثير الشكوك والشبهات، وتقدم تصورات معاكسة لتصورات ثابتة، وتثير قضايا جديدة للمناقشة والجدل، وتحدث اضطراباً فكرياً وتشويشاً للواقع ويخشى أن تؤدي هذه الحرية لنقل الفكر والتصور علاوة على المواد المخربة عن الجنس، وهوى النفس، العالم إلى صراع فكري

وعملي، وتقضي على خلق الإنسان وميوله ونزعاته، وتقضي على القيم الإنسانية وروح التسامح والتعايش في سائر مجالات الحياة.

لقد كان العلم والإعلام وسيلة للمعرفة، كان الناس يثقون بهما، فكان إذا شك أحد في أمر رجع إلى الكتاب أو شك في واقع رجع إلى كالصحيفة أو وسيلة الإعلام كالصيحفة والراديو، أو كاتب ذكر اسمه بأنه يوثق به، فبمن يثق الإنسان اليوم فيما يقرأ وفيما يشاهد، بل فيما يعرف ويعلم؟ إنه سؤال تحاربه العقول، ومسألة يتوقف عليها مصير الإنسانية.

لقد أصبح العصر الذي نعيشه، عصر اختلال الموازين، والاضطراب في الفكر والعمل ومناهج الحياة، رغم دعوى مفكري العصر وقادة الفكر من دعاة الحضارة المعاصرة التي مصدرها الغرب، أن هذا العصر، هو عصر الالتقاء والتعايش، بل بلغ بعضهم حد وصف الإنسانية المعاصرة بأنها قرية باعتبار أن القرية فيها الهدوء، والتضامن، لأن سكان القرية ينتمون إلى أصول مشتركة ومصالح مشتركة، فيهم تعاون وترابط.

وظيفة الإعلام التوجيه، لا التشويش والاضطراب[1]

يلتقط الإعلام العالمي الأحداث المثيرة الواقعة في العالم، ويتناولها بالمناقشة والمباحثة من وجهة نظر خاصة، حسب ذوق ومصالح أصحاب الإعلام، أو الوكالات التي تشرف عليه، ومن هذه الأحداث: الجرائم والحوادث، والبيانات المثيرة للقادة السياسيين، فيثير قضايا تشغل أذهان القراء في الصحف والمشاهدين للتلفزيون والإنترنت، ويكسب الإعلام بذلك مادياً، وصح من قال: "إن الإعلام اليوم أصبح صناعة". ولذلك تهتم الشركات التجارية والأحزاب السياسية بالإعلام أكثر من غيرها.

ويمكن تقدير تأثير الإعلام في الكسب المادي، الفيلم المسيئ للإسلام، الذي أنفق عليه ملايين من الدولار؛ ولكن ساء ظن المنتج للفيلم؛ فإن ردّ الفعل الذي ثار في العالم كله ضد الفيلم المسيئ إلى الإسلام والمسلمين والرسول الكريم، أدّى إلى خسارة مالية كبيرة للمسئولين عن الفيلم لانصراف عدد كبير من المستفيدين بهذا الموقع عن مشاهدته.

تستغل وسائل الإعلام الأحداث اللافتة للانتباه، وخاصة إذا كانت تتصل بالإسلام والمسلمين، وقد كانت من الأخبار اللافتة في الأيام الأخيرة خبر فتاة باكستانية "ملاله يوسف زئي" التي يقال إن أحداً يدعى أنه ينتمي إلى الطالبان، أطلق عليها النار في رأسها،

---

(1) المجلد: ٥٨، العدد: ٥، نوفمبر وديسمبر ٢٠١٢م.

وأصبح هذا الحادث خبراً عالمياً، ونالت الفتاة شهرة عالمية، وكسبت العطف العالمي، وذلك لأنها كما ذكرت الأنباء أنها وأسرتها أجرت لقاءات مع المسئولين الأمريكيين وطالبت بتدخل أمريكا مباشرة في باكستان واحتلال "سوات" لإجلاء الطالبان منها، نالت هذه الفتاة رعاية عالمية، وعطفاً عالمياً، وكان المقصود من ذكر هذا الحادث تصعيد الدعاية ضد الطالبان، ونسبة العنف والإرهاب إلى الجهات الإسلامية، فقد جعل الإعلام العالمي الطالبان والقاعدة رمزاً للعنف والتشدد الإسلامي، فيقوم الإعلام بتفخيم كل حادث عنف ينسب إلى من ينتمي إلى الإسلام؛ سواء كان عمله مطابقاً لتعاليم الإسلام، أو مخالفاً لها، فأصبح هذا الحادث قضية مهمة، تلفت أنظار العالم، ، وفي الوقت نفسه يعرض الإعلام عن الأحداث العسكرية التي تؤدي إلى مقتل عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال في باكستان نفسها، وفي العراق وأفغانستان، والمذبحة التي تجري في سوريا، والإجراءات والغارات الجوية على سكان غزة، وغارات درون الأمريكية التي أصبحت حادثاً يومياً، يقتل فيها الأطفال والنساء العزل.

ويدل على تأثير هذا الحادث والعطف الذي ناله، ما جاء في الأخبار أن الإمارات العربية المتحدة وافقت على إرسال طائرة طبية لنقل الفتاة الباكستانية التي أصيبت برصاص مسلح لحركة الطالبان في حال طلب أطباء باكستانيين علاجها في الخارج، وعلى عكس ذلك لم ينل الإجراء الذي اتخذه الرئيس الباكستاني العسكري برويز مشرف بإطلاق النار على الفتيات المسلمات المحصورات في المسجد الأحمر بباكستان، والذي قتلت فيه أكثر من أربعمائة فتاة مسلمة، لم ينل تلك الرعاية التي نالها الاعتداء على الفتاة الباكستانية، وقد ركز الإعلام على هذه الفتاة وأعرض عن

الفتيات الأخرى التي كن معها، والحقيقة وراء هذا الاهتمام بالفتاة الباكستانية التي نالت الاهتمام؛ أنها أصيبت لتأييدها لأمريكا وصلتها بأسرة أمريكية، فاستغل الإعلام العالمي هذا الحادث للدعاية ضد الطالبان، وتضخمت هذه الدعاية إلى إدانة ما يسميه الإعلام بالمتشددين الإسلاميين، وتخويف العالم بخطر وصول هؤلاء المتشددين إلى الحكم، وقد أصبح من عادة الإعلام العالمي أن أي شخص يدعو إلى الحرية المطلقة، ويثور على الإسلام، أو يعمل عملاً أو يكتب شيئاً يغيظ المتحمسين للإسلام، أو حركة إسلامية، يصبح موضوعاً مهماً، ويصبح في أنظار المسئولين عن الإعلام وحتى الحكومات في أوربا وأمريكا بطلاً من الأبطال، وينال رعاية خاصة، بل ملاذاً، وتتسابق الدول الأوربية إلى منحه اللجوء السياسي لوقايته من غضب مجتمعه.

إن الاعتداء الذي وقع على فتاة باكستانية، حادث يقع مثله في باكستان ودول أخرى، ولا يلتفت إليه الإعلام، ولا يذكر مثل هذه الأحداث في الصحف، ولا ينال التنديد، وإذا كان هذا الاعتداء على شخصية إسلامية لا يذكر ولا يعرف الناس إلا في البيئة التي وقع فيها هذا الحادث، وقد وقع عدد كبير من الشخصيات الإسلامية الرائدة الناشطة في مختلف دول أوربا وأمريكا عرضة للاغتيال أوالاعتداء، ولم يلتفت إليه الإعلام، وفي باكستان نفسها وقع اغتيال عدد من العلماء والدعاة، ولم يشكل هذا الحادث خبراً إعلامياً، ولم ينل استنكاراً، أو بذل مجهود من قبل أي جهة لإنقاذه وعلاجه، أو على الأقل استنكاره.

إن الاعتداء الشخصي أوِ الإساءة إلى أحد على أساس اختلاف في الرأي أو المنهج غير مسموح به في الإسلام، وقد وقع

هذا الحادث في منطقة مضطربة، منطقة قبلية، تعتبر منطقة حرة، تكثر فيها حوادث الاغتيال والتفجيرات، وتتعرض للاعتداءات الأمريكية كل يوم علاوة على التفجيرات التي تكلف عدداً كبيراً حتى المساجد لا تستثنى منها، وتمر هذه الحوادث بدون اهتمام بها، أو بذل محاولة لمعالجتها، وإزالة أسبابها.

يدل هذا الموقف على تمييز بين واقع وواقع، على أساس المعتدي والمعتدى عليه، وعلى أساس الأسباب المؤدية إليه، وهذا التمييز في اتخاذ موقف أصبح ميزة سياسة الدول الأوربية ووسائل إعلامها حتى وسائل الإغاثة والإسعاف العالمية ومحكمة العدل العالمية لا تستثنى منها.

بالإضافة إلى هذا الحادث الذي قام بتغطيته الإعلام العالمي للفت الانتباه إلى العنف الإسلامي المزعوم حملت الصحف ووسائل الإعلام خبراً آخر لإبراز جانب الأمن والتفاهم في العالم الغربي، وذلك قرار لجنة جائزة نوبيل منح الاتحاد الأوربي جائزة السلام، فيقول القرار إن الاتحاد والمسئولين عنه ساعدوا خلال ستين سنة ماضية في تنمية السلام والتوافق والتصالح وإقرار الديموقراطية وحقوق الإنسان.

وقد لقي هذا الإعلان ترحيباً في الدول الأوربية، واعتبره قادة الدول الكبرى مصدراً للإلهام، وكل من يعرف التاريخ المعاصر وله نظرة على أحداث العالم لا يستطيع أن يعرب عن استعجابه وحيرته على هذا الإعلان.

لاشك أن أوربا قضت ستين سنة بدون حرب بينها، منذ الحرب العالمية الثانية التي ألقت فيها أمريكا القنبلة الذرية على

هيروشيما وناجاساكي وقتل فيها مآت الألوف من الناس إلى يومنا، ولكن العالم الخارجي لم يقض هذه الفترة في الأمن والسلام، ونشبت حروب وصراعات مسلحة في مناطق مختلفة، تدخلت فيها الدول الأوربية وأمريكا، ويقدر أن مآت الألوف من الناس قتلوا في هذه الصراعات التي حركتها الدول الأوربية حرصاً منها لإبعاد الحرب عن القارة الأوربية كما قال شاعر عربي:

وإنــي لا أزال أخــا حــروب
فـإن لم أجـن كنـت مجـن جـانى

إن اشتراك قوات الدول الأوربية في حرب أفغانستان والعراق أمر غير خاف على من يلمّ بالتاريخ المعاصر، فقد أثار منح جائزة الأمن في هذا السياق تساؤلات كثيرة عن مصداقية هذه الجائزة.

ويعرف المتتبع للظروف المعاصرة أن الثورات العسكرية والصراعات المسلحة والمآسي البشرية في مختلف دول العالم كانت محركة ومدبرة ومدعومة من قبل الدول الأوربية مالياً وعسكرياً، وقد ساندت الدول الأوربية وأمريكا الديكتاتوريات، وألغت نتائج الانتخابات إذا فاز حزب لا تتطابق سياسته مع مصالحها، واستمرت ديكتاتوريات في عدة بلدان إسلامية أكثر من ثلاثين سنة، وأغفل الإعلام العالمي الإجراءات القمعية التي اتخذتها هذه الحكومات.

ولا يزال هذا الوضع قائماً خارج القارة الأوربية، أما مايتعلق بالقارة الأوربية فقد كانت الحرب الباردة قائمة منذ الحرب العالمية الثانية بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الغربي الرأسمالي، واستمر سباق التسلح، إلى أن وصل إلى اختراع أسلحة تدمير خطيرة، وفي سياق تنويه دور أوربا في تجنب الحرب وإقامة الأمن

جاء إنذار من وزير الدفاع الأمريكي ليون بانيتا حيث قال: إن أمريكا تواجه خطر "حرب سائبر".

حذر وزير الدفاع الأمريكي ليون بانيتا من خطر عمليات القرصنة الإليكترونية التي تستهدف الولايات المتحدة، ولم يستبعد تعرضها لهجوم إليكتروني يعادل في خطره الهجوم الياباني علي ميناء"بيرل هاربور"، وفي الاستراتيجيات الأمريكية الدفاعية الجديدة يتم إضافة خطر"القراصنة في المجال الإليكتروني"إلي أعداء أمريكا التقليديين: كوريا، الصين، ايران، ويعلق باحث أمريكي أن خطر القراصنة الصينيين علي أمريكا حاليا أكبر من الخطر الإسلامي، وتشير المؤشرات إلي بدايات دخول الولايات المتحدة والصين في سباق حربي إليكتروني، حيث قامت الصين بإنشاء وزارة الدفاع الصينية للجيش الأزرق، وهي إدارة متخصصة تابعة لجيش التحرير الشعبي الصيني من أجل حماية الفضاء الإليكتروني الخاص بالجيش علي شبكة الإنترنت. وربما أخطر ما يتعلق بهذه القضية، ما تؤكده المصادر الأمريكية من أن تعرض الولايات المتحدة لهجوم إليكتروني، سيتم اعتباره بمثابة إعلان حرب، ما يستوجب الرد عليه عسكريا. وفي سياق تصاعد المواجهات الإليكترونية، فإن دولا أخري تضطر إلي إعداد نفسها لاتخاذ مواقف دفاعية في مواجهة الهجمات الإليكترونية.

يقول الخبراء: " فيما يعد تطورا له أهميته في مجال العلاقات الدولية، أعلنت دوائر متخصصة في"الأمن الإليكتروني"مؤخرا اكتشاف فيروس جديد يستخدم في التجسس والمراقبة الإليكترونية بين الدول، وأكدت هذه المصادر أنه تم بالفعل استخدام

هذاالفيروس في التجسس علي عدة دول في منطقة الشرق الأوسط، فيما يخص المعاملات المالية، والبريد الإليكتروني، وأنشطة التواصل الاجتماعي في هذه الدول.

وتتمثل الخطورة في فاعلية الفيروس الجديد الذي أطلق عليه اسم"جاوس"في أنه يستطيع مهاجمة البنى التحتية الحيوية في الدول التي تم توظيفه لمراقبتها، وأنه أصاب بالفعل عددا من الكمبيوترات الشخصية في عدة دول منها لبنان وإسرائيل والأراضي الفلسطينية، كما استهدف عددا من البنوك إضافة إلي نظام"باي بال"للدفع الإلكتروني.

يأتي هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الدوائر المتخصصة نقلا عن مسئولين يرفضون الإعلان عن شخصياتهم أنه يجري في المعامل الأمريكية والإسرائيلية العمل علي إنتاج أجيال من الفيروسات الجديدة متعددة الأنشطة، فيما يعد توسيعا لمجال"الحرب الإليكترونية"التي يتردد أنها تجري حاليا بين الدول الكبري وغيرها من الدول، على مدار الساعة.

ويقول الخبراء إن مبعث الخطورة في الحروب الإليكترونية إنه بينما يقتضي شن الحروب التقليدية الحصول علي موافقة الأجهزة التنفيذية والتشريعية في الدول التي تقرر شنها، فإن شن "الحروب الإليكترونية"لا يحتاج إلى أي موافقات من هذا النوع، حيث يسهل مباشرة القيام باختراق شبكات وأجهزة الدول المستهدفة.

هناك من يتحدث عن"الحرب الإليكترونية"باعتبارها البديل المستقبلي للحروب التقليدية التي تستخدم فيها الأسلحة والصواريخ والطائرات وغير ذلك من أسلحة الفتك وأسلحة التدمير، ومئات الآلاف من الجنود، مما أثار التكهنات عن مدى الاستغناء عن أسلوب

المواجهات العسكرية المعروفة والتي تؤدي إلي سقوط الضحايا، وبالتالي، فإن"الحرب الالكترونية"ستعني الالتجاء لأسلوب لا ينطوي علي سفك الدماء. وهناك عمليات تجري في الفضاءات الإليكترونية للدول والمنظمات وذلك بهدف الحصول علي معلومات سرية، وهناك عمليات أخري للحرب الإليكترونية تجري لمؤازرة العمليات الخاصة مثل محاولة تشويش رادارات كشف الطيران الحربي واختراقها قبل القيام بعملية عسكرية أمنية محدودة، وهناك"الحرب الإليكترونية"التي تتم بالتنسيق والارتباط مع الحرب العسكرية حيث يجري التجسس علي الإشارات والاتصالات الصادرة من أجهزة العدو مثل الهواتف النقالة وكاميرات الإرسال المباشر واللاسلكي ومحاولة اختراق منظومة التحكم والسيطرة التابعة للعدو.

ولا توجد حاليا حدود علي عمليات تجري سرا، وبلا توقف، وتدخل في عداد استخدام الفضاء الإلكتروني بمختلف الصور، فمن غرفة ضيقة من أحد المنازل في مكان ما، يمكن أن تجري حروب أو مواجهات أشد فتكا مما تفعله الجيوش الجرارة وجحافل الجنود، ومن هنا تشير تطبيقات الحروب الإليكترونية على أرض الواقع حاليا بأنه يمكن أن يترتب عليها تغييرات دراماتيكية في خريطة توزيع القوي علي المستوى الدولي، خاصة أن تقنيات البرامج الكمبيوترية والفيروسية تشهد تطورا يوميا، ما يجعلها تنطوي علي احتمالات خارج نطاق التصور.

يقول الخبراء إن الحرب الإليكترونية هي أعمال تقوم بها دولة تسعي لاختراق أجهزة الكمبيوتر والشبكات التابعة لدولة أخري بهدف تحقيق أضرار بالغة أو تعطيلها، وقد تستهدف هذه العمليات

الشركات والمؤسسات وقد تصل إلي استهداف الحكومات، حتي تصل هذه العمليات العدائية إلي مستوي "الإرهاب الإلكتروني" وهو ما يتضمن عمليات تخريبية وتجسسية يمكن أن يترتب عليها ضحايا وإراقة دماء". (تقرير منشور على الموقع الإلكتروني، إعداد: ثناء فؤاد عبد الله، القاهرة، ٢٠١٢/٨/٢٨م).

ويعتقد الخبراء بأنه لا توجد دولة في العالم تعيش بمنأي عن التدخل والتجسس الإلكتروني في أجهزتها وشبكاتها الإليكترونية، ما يعني أن جميع الدول معرضة للمخاطر التي تنتج عن الحروب الإليكترونية

ونظراً لهذا الخطر الجديد بدأت الحكومات في الدول المختلفة اتخاذ إجراءات لازمة لمواجهة حرب سائبر، ومنها الهند؛ فقد بدأت الاستعدادات لمواجهة هذا الخطر، وأعلن أن الهند تدرب نصف مليون محارب سائبر، وقبل ذلك كانت الأسلحة الكيماوية والأسلحة الجرثومية التي قامت مصانع أوربا بإنتاجها وتصديرها إلى دول العلم المختلفة، مادة حربية فتاكة، أخطر من القنبلة الذرية، وقد أفادت الأخبار الأخيرة أن القوات الأمريكية قد وصلت إلى الأردن لاتخاذ إجراءات لمنع استخدام الأسلحة الكيماوية والجرثومية من قبل سوريا أو وصولها إلى أيدي ما سماه الإعلام بالإرهابيين.

لقد أصبحت وظيفة الإعلام المعاصر بث الخوف والذعر والشك والريبة في النفوس، وإبرازه لحوادث القتل والجرائم الفردية والجماعية يقلل في النفوس كراهية هذه الأعمال، فيسبب الإعلام التشويش بدلاً من الطمأنينة والشعور بالعافية.

الإعلام الغربي وانحرافه عن دوره المطلوب[(١)]

إن الإعلام كما هو مفهوم من هذا اللفظ يهدف منذ نشأته إلى الإخبار والتعريف بما يقع من أحداث، وقد اشتمل على الكتاب والصحافة، وما تطور بعد الصحافة من وسائل للإخبار، وهو مثل الأدب، الذي كان المقصود منه التهذيب، والتثقيف، وترفيه النفس، وكان هذا التصور مقتبساً من لفظه، ولا بد من أن يطابق المعنى اللفظ، وأن يكون استعمال اللفظ بأسلوب استعمل فيه الفصحاء، وأهل اللسان، ثم تطور الأدب بتأثير الحضارة، فغلب عليه التسلية، والترفيه، ثم توغل أهل الفن فيه، فدخلت فيه أقسام تتعارض مع مفهومه الأصيل، إلا أن الذين كانوا يخالفون القيم المقررة للمجتمع في أدبهم كانوا معزولين، وكان المجتمع ينظر إليهم بعين السخط وعدم الرضا

ومثل الأدب الثقافة التي كانت في الأصل بمعنى حسن الظرف، وما يصدر من الفطنة والذكاء من أعمال لائقة ترفع قدر الإنسان في مجتمعه، وكان العلم من أساسيات الثقافة، وكثيراً ما أطلق لفظ المثقف على المتعلم، والرجل المثقف هو الرجل الذي يحترز عن سفساف الأمور ودناياها، وما يصدر من السوقة، والأراذل من الناس، فمثلاً السارق والكذاب، والنمام مهما كان ذكياً، والشاطر مهما بلغ تفننه في مهنته لا يقال له المثقف في أي

(١) المجلد: ٥٦، العدد: ٣، أكتوبر ونوفمبر ٢٠١٠م.

حال من الأحوال، والذي يعتدي أو ينتهك العرض أو يقع في المستهجنات لا يعتبر مثقفاً، والذي يفضل مصلحة ذاته على مصلحة غيره ولا يحترم مشاعر من يتعايش معه لا يعتبر متحضراً.

وهذه التعريفات اتفق عليها أهل اللغة، والعلم، والأدب، وسارت على منهج هذا التعريف سائر المجتمعات البشرية.

سلكت أوربا في العصر الحديث الذي يتصف بالثورة على الدين والأخلاق مسلكاً مغايراً لحقيقة الألفاظ، والمفاهيم المقررة لها، وأطلقت هذه الأسماء المذكورة على غير مسمياتها، فقد صدرت منها أول مخالفة عند ما استخدمت العلم لغير معناه المقرر، فإنها رغم تقدمها في البحث والتحقيق، وادعاء الموضوعية، وابتكار آفاق جديدة للعلم في الطبيعة خاصة، والتكنولوجيا، توغلت إلى أعماق الجهل، أو التجاهل، والتحريف، وقلب الحقائق في علوم كثيرة، وخاصة في علوم الأمم الأخرى، وثقافاتها، وبالأخص الإسلام والمسلمين، فأنشأت مكتبات تضم كتباً لا ترتفع عن التلفيق والتجاهل، أو الجهل والتحامل، وقد ألف المؤلفون الأوربيون المعروفون بالبحث والتحقيق في علوم كثيرة كتباً في السيرة النبوية، وفي التاريخ الإسلامي، وفي الآداب الإسلامية، تحمل المواد المسمومة أو المقلوبة، ولا يمكن أن يقال عن المؤلف أنه جاهل لأنه معروف بعلمه، ومكانته في ميدان البحث والتحقيق، إلا

أنه أدخل في كتبه عن الإسلام ما لا يقبله عقل، حتى الألفاظ البذيئة والسوقية، صدرت من بعض المستشرقين عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي كان حتى أعداؤه في عصره يصفونه

بالصادق الأمين، وقبلوا حكمه في منازعاتهم، صدرت عنه من أقلام هؤلاء الأدعياء للعلوم الإسلامية ألفاظ لا تستعمل حتى لقطاع الطريق والمحتالين الأراذل، وذلك لمحاولة قلبهم للحقائق لغلبة الحقد والكراهية، والعداء الدفين في قلوبهم، تقليداً لما كتبه سلفهم الجاهلون الذين دخلوا في ميدان العلم، ولم تنضج عقولهم، واقتبسوا العلوم من المسلمين، لكنهم أنكروا هذا الفضل، وأظهروا العداوة لهم.

ومثل العلم الأدب الذي حوله أهل الأدب في أوربا الحديثة إلى وسيلة تخريب وتشويه، والفساد، وكل من يدرس المذاهب الأدبية الأوربية وتطورها يدرك انحراف الأدب من الفضائل إلى الرذائل، ومن التهذيب إلى التشويه، ومن الإصلاح إلى الإفساد، والاستخفاف بالقيم الاجتماعية، وكل ذلك نتيجة لثورة أهل الأدب على الدين والأخلاق العنصرين الرئيسيين لبناء خلق الإنسان وتعليمه المثل والسلوكيات مع بني الجنس البشري الآخرين.

إن غلبة الروح الفردية والمصلحة الفردية في الحياة في أوربا الحاضرة رغم دعوتها إلى الحياة الاجتماعية واعتبارها أساس الحضارة المعاصرة، هي التي صرفت أوربا إلى إخضاع كل شعبة من شعب الحياة إلى المصلحة الفردية، والنفع الذاتي.

لقد حلل الأديب الناقد الدكتور محمد مندور في كتابه "نماذج بشرية" إحدى الشخصيات التي رسمها الأديب الفرنسي الكبير أونوري دي بلزاك (م١٨٥٠م) في قصصه، وأوضح من خلالها نظرة الواقعيين إلى الحياة والناس، وما ينبغي أن يلتزم به الإنسان من ضروب السلوك حتى يحقق لنفسه النجاح.

وفيما يلي أطراف من الحديث الذي وجهه "فوتراك" الهارب من سجنه إلى الشاب الغُرّ الذي ترك قريته الصغيرة، ورحل إلى باريس، وغرق في مجتمعها الصاخب، والتحق بكلية الحقوق، وأخذت نفسه تطمح إلى المجد والشهرة حيث قال له:

"إن الثروة العاجلة هي الهدف الذي يسعى إليه خمسون ألف شاب مثلك ممن يقفون موقفك هذا، وأنت واحدٌ من هذا العدد الكبير، ففكر في الجهد الذي يجب أن تبذله، وفي عنف الحركة التي ستخوضها... ولا يفتك أن بعضكم ـ معشر الشباب ـ سيأكل بعضكم الآخر ... ذلك لأنه من المستحيل أن يكون هناك خمسون ألف مركز كبير ... ولا ريب في أنك لا تدري ـ أيها الشاب الناشئ ـ كيف يشق الناسُ سُبُلَهم في هذه الحياة...

إنهم يشقونها بعبقريتهم في الخسة، ومهارتهم في الدناءة، ولذا فإن عليك أن تسقط في جموع الناس كقنبلة ... وأن تتسلل بينهم كوباء... أما الشرف فلا فائدة منه ...ولا يغيبن عنك أن الناس يحنون رؤوسهم أمام تلك العبقرية، وهم يحاولون النيل منها لأنها لم تمنحهم شيئاً مما ظفرت به.

فإذا مضيت في طريقها صُعداً غير آبهة بهم انحنوا أمامها ... ولا يُخامِركَ الشك في أن الناس سيجثون أمامها خاضعين إذا عجزوا عن جرها في الأوحال...

وإذا أردت أن تثري فلابد من أن تلوث يديك، لكن يجب عليك أن تعرف كيف تغسلهما بعد ذلك، ففي هذا جماعُ الأخلاق في عصرنا...

وإذا كنتُ أحدثك عن الحياة على هذا النحو فذلك لأنني

أعرفها. ولا تحسبن أنني أنحي عليها باللوم، فقد كانت، وما زالت كذلك، ولن يستطيع الوعاظ، ورجال الدين تغييرها".

إن هذه النصيحة في الأخلاق لا تختلف عن فلسفة مكيافيل في السياسة في كتابه "الأمير"، وتتبع أوربا هذه التوجيهات في الأخلاق والسلوك والسياسة.

ومثل الأدب الإعلام، فإن الإعلام مجموعة للعلم والأدب، والفن، فإن حدث انقلاب في العلم والأدب والفن بتغير تصور محور الحياة فإنه من الطبيعي أن يحدث انقلاب في الإعلام.

ولغلبة عنصر المصلحة الذاتية تحول الإعلام من الإخبار إلى التضليل، وعرض صورة معاكسة للواقع، فيصبح بذلك الظالم مظلوماً، والقاتل قتيلاً، والمذنب بريئاً، يستحق العطف والرحمة، وعرض الشاة والغنم في معنى الذئب، والذئب بمعنى الشاة.

ولو تابع أحد الإعلام المعاصر لوجد حقيقة هذا الوصف، وأمثلة هذا التحريف للمعنى، والعرض المعكوس متوفرة في التاريخ الحديث من عهد الاستعمار إلى العهد الحديث، وقد تعرضت أمم كثيرة لإذلال وقهر بسبب هذا التحريف المعنوي، والسلوك الناتج منه والقائم عليه، وخسرت الإنسانية في المال والروح، وكتب تاريخ يختلف عن التاريخ الحقيقي لتلك الأمم، فتتعرض هذه الأمم لمآسي وأزمات بسبب هذا العرض المعكوس.

لقد أصبح الإعلام المعاصر دعاية في حق من يقوم بها وضد من يتصدى لها، وأصبحت سائر وسائله أدوات لتبرير أعمال أو لإدانة أعمال حسب مصلحة من يملك وسائل الإعلام.

وقد أشار البروفيسور ناعوم تشومسكي وهو أمريكي الجنسية

ويهودي الديانة، وهو أستاذ علم اللغويات بمعهد ماسا تشوستس للتكنولوجيا منذ عام ١٩٥٥م في كتابه "السيطرة على الإعلام"(١) إلى انحراف الإعلام إلى الدعاية، وكشف عن غلبة عنصر الكذب والاحتيال وقلب الحقائق فيه، فيقول:

"إن أول عملية دعائية حكومية في العصر الحديث كانت أثناء إدارة الرئيس ولسن، الذي انتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩١٦م، وفق برنامج انتخابي بعنوان "سلام بدون نصر"، وكان ذلك في منتصف الحرب العالمية الأولى.

في تلك الأثناء كان المواطنون مسالمين لأقصى الدرجات، ولم يروا سبباً للانخراط والتورط في حرب أوربية بالأساس، بينما كان على إدارة ويلسون التزامات تجاه الحرب، ومن ثم كان عليها فعل شيء ما حيال هذا الأمر، فقامت الإدارة بإنشاء لجنة للدعاية الحكومية أطلق عليها "لجنة كريل"، وقد نجحت هذه اللجنة خلال ستة أشهر في تحويل المواطنين المسالمين إلى مواطنين تتملكهم الهستيريا، والتعطش للحرب، والرغبة في تدمير كل ما هو ألماني، وخوض حرب، وإنقاذ العالم".

ومن الوسائل التي استخدمت لتغيير هذا الاتجاه عرض حكايات ووقائع استبداد وقهر في ألمانيا، واستخدمت في ذلك سائر صلاحيات الفبركة والتزييف مثلا عرض صور للأطفال البلجيكين ذوي الأذرع الممزقة.

ولتحقيق هذا الهدف قامت الدولة باستخدام رجال من ذوي الصلاحيات الفائقة في التزييف والتلفيق الذين قاموا بإعداد تقارير مفزعة، تخوف الشعب الأمريكي بالخطر الداهم.

---

(١) نقل الكتاب إلى العربية أميمة عبد اللطيف، طبع مكتبة الشرق الدولية.

واستخدمت نفس الاستراتيجية بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها في محاربة العدو الجديد وهو النظام الاشتراكي، وضد الخلافة العثمانية التي وصفتها أوربا برجل أوربا المريض، ثم حيكت مؤامرات ودسائس لإثارة البلابل والقلاقل في رعايا الخلافة العثمانية في آسيا وأوربا وإفريقيا، بتأليب العناصر المختلفة التي كانت تابعة لها.

وكانت الحرب الباردة التي جرت أكثر من سبعين عاماً بين النظامين الاشتراكي والأوربي الرأسمالي حرب الإعلام، واشترك فيها الكتاب والصحافة والإذاعة حتى الإرجاف، والشائعات كان لها دور في نشر مخاوف أوربا الغربية من الخطر الشيوعي.

واستخدم الاشتراكيون وسيلة الدعاية في إعلامهم، فعرضوا من لا يتفق معهم في العقيدة، والسياسة الاقتصادية على أساس الدين أم على أساس التصور الاجتماعي والاقتصادي، بأنه عدو للإنسانية كلها، وبتأثير هذه الدعاية المكثفة السلبية وقعت مذابح، وسلبت حريات المواطنين في البلدان التي خضعت للنظام الاشتراكي كان منها دول عربية، وإسلامية عديدة، وبعد انفكاك الاتحاد السوفيتي وانسحاب العدو الذي طارد نوم الأوربيين سبعين سنة، ظهر عدو جديد وهو الصحوة الإسلامية.

وقد قام الإعلام العالمي بدعاية مكثفة قبل بدأ القرن الخامس عشر الهجري الجديد، بأن القرن الجديد هو قرن الإسلام، وبلغ هذا التصور الهائج عن انتشار الإسلام حداً خوَّف أوربا بخطر الإسلام القادم.

وركز الإعلام العالمي الذي تحول من محاربة الاشتراكية إلى

مجابهة الإسلام على تفخيم ما يحدث في العالم الإسلامي من وقائع يغلب عليها العنف، أو المقاومة، وأحداث القتل والاعتداء، ومظاهر العنف التي توجد في سائر الأمم، وهي كثيرة شائعة في أوربا نفسها.

ولكن الإعلام ركز على المجتمع الإسلامي، والعالم الإسلامي، وعرض أحداث العنف، ونشاطات الحركات العاملة فيها باهتمام بالغ، ونشر تقارير تغلبها الدعاية والاختلاق ونسيج الخيال المرهب.

وصدر في هذه الفترة كتاب صراع الحضارات، فتناوله الإعلام العالمي بالبحث والشرح، والتعليق كأنه كتاب مقدس كل ما فيه مصدق، ولا يقبل أي نزاع.

وعقدت مؤتمرات وشكلت لجان لدراسة وسائل مواجهة هذا الصراع بين الحضارتين الإسلامية والأوربية، بغض النظر أن الحضارة الإسلامية هي حضارة اجتماعية لا حامي لها ولا داعم من وسائل الحكومة، والحضارة الأوربية حضارة تدعمها وترعاها الحكومات القوية التي تملك وسائل القوة، والعلم والإعلام، ولكن الإعلام عرض الحضارة الإسلامية التي كانت في طور النهضة والوعي الفردي، كأنه خطر عالمي يهتز به كيان الدول الكبرى العالمية، وأنه يهدد أوربا كلها.

ولدور الإعلام في إبراز هذا الخطر وقعت مذابح في مختلف أنحاء العالم خسر فيها المسلمون في الأرواح والممتلكات، وفرضت عليهم القيود، وبتأثير هذه الدعاية لم ينل المسلمون في الجمهوريات الإسلامية السابقة في الاتحاد السوفيتي الحرية كما نالتها الدول الأخرى غير الإسلامية، لأن حريتهم كانت خطراً لأوربا كلها.

واشـترك في هـذا الـدور الإعلامـي الموجـه العلـم والأدب والفـن، حتـى الأفـلام الترفيهيـة لم تكـن في نجـوة مـن هـذا التصـور المعادي للإسلام.

وكانت للمؤسسات الإعلامية التي كانـت تحت نفـوذ اليهـود أكثر عنفاً، وأكثر تزييفاً، وتركيزاً، وهي منتشـرة بـل مسـيطرة علـى الإعـلام العـالمي، وموقـف اليهـود بالنسبة للإعـلام معروف، تـدل عليه برتوكولاتهم.

فقـد جـاء في البروتوكـول الثـاني عشـر مـن حكمـاء صـهيون قولهم سنعالج قضية الصحافة على النحو التالي:

- "سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها.
- يجب أن لا يكون لأعـدائنا وسـائل صـحفية يعـبرون فيهـا عن آرائهم.
- لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا.
- ستكون لنا جرائد" صحف" شتى تؤيد الطوائف المختلفة مـن أرستقراطية وجمهورية وثورية بل وفوضوية أيضاً.
- يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريـد.. وتهْدِئته عندما نُريد..
- يجـب أن نشـجع ذوي السـوابق الخُلُقيـة علـى تـولّي المهـام الصحفية الكبرى، وخاصة في الصـحف المعارضـة لنـا، فـإذا تبيّن ظهور أية علامات للعصيان من أي منهم، سارعنا فوراً إلى الإعلان عـن مخازيـه الخُلقيـة التي نتستر عليهـا، وبـذلك نقضي عليه ونجعله عبرة لغيره..!!"

وكان مـن وسـائل هـذه الدعايـة توجيـه اللـوم إلى المسـلمين في

أحداث يرتكبها غيرهم من تفجيرات، واعتداءات وأعمال مقاومة أخرى، ليرتكز انتباه العالم على إدانة المسلمين.

وأثناء وقوع أي حادث عنف في أي جزء من العالم يرفع الإعلام العالمي الصراخ بدون تحقيق أو تقص للحقائق، ويحدث الضجة بأن المسلمين هم الذين ارتكبوا ذلك الواقع، فيتعرض المسلمون للإجراءات القاسية فور الحادث، كما وقع في أوكلاهاما، الذي ثبت بعد التحقيق أن المسلمين ليس لهم أي دور فيه، وإنهم برآء منه، وكان المجرم مسيحياً، أوربياً، ولكن بعد ما تجرع المسلمون مرارة ذلك التزييف.

وبالإضافة إلى الدعاية السياسية يتزعم الإعلام الأوربي المعاصر نشر الخلاعة والمجون، وإشاعة الفحشاء بعنوان الحضارة الجديدة، ويوجه إلى المسلمين تهمة اضطهاد المرأة، وقمع الحريات الأساسية للإنسان.

مشاكل المسلمين
أسبابها وخلفياتها

خطة عالمية لتقسيم المسلمين[١]

نشرت بعض الصحف تقريراً لرئيس وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السابق بروس ريدل، وهو تقرير ينذر بخطر كبير بالنسبة للمسلمين عامة، وللعرب خاصة، ويقدم صورة قاتمة لمنطقة الشرق الأوسط، يشتمل التقرير على خطة التقسيم لعدد من البلدان الإسلامية إلى دويلات صغيرة، أو كيانات صغيرة، كما وصف الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش بعد انفكاك الاتحاد السوفيتي واحتلال أمريكا مكانة سيد العالم.

فيقول التقرير: " إن الحرب اللبنانية في منتصف السبعينات كانت مقبلات لما جاء بعدها وسيأتي لاحقاً، مضيفاً أن غزو العراق عام ٢٠٠٣م مهّد لتفكيك الدول العربية، ويقول: إن سوريا وليبيا باتتا في طريقهما إلى الاختفاء من الخطريطة السياسية، وإن العراق سيفقد هو الآخر شماله الكردي، ويقول: إن ما يسميه الإيرانيون ثورة إسلامية إنما هو في الحقيقة ثورة مذهبية، وما دامت هناك ميليشيات شيعية في العراق تدعمها إيران، سيكون هناك داعش، ويقول: " أحب الإيرانيون العراق إلى درجة أنهم يريدون رؤية ثلاث دول فيه؛ عراق شيعي، وعراق أصغر سني، وعراق كردي، وبهذا يمكنهم استغلاله، ويستبعد أن يلغي الرئيس الإيراني حسن روحاني "الحرس الثوري" لأنه عاجز عن ذلك ".

---

[١] المجلد: ٦٢، العدد: ٤، أغسطس وسبتمبر ٢٠١٦م.

وقد بدأ العمل على هذه الخطة، وظهرت نتائجها في عدد من البلدان العربية، فقد بدأت هذه الخطة بتقسيم السودان إلى الشمال والجنوب على أساس الدين، وإذا طبقت هذه النظرية فتنقسم عدة بلدان على أساس الدين، وتتغير خرائط الدول بتغير نسبة أتباع الأديان المختلفة، وفي بعض المناطق تتأثر أقليات دينية بالأكثرية، وعلى هذا الأساس ظهرت عدة دول بانفصالها من البلد الأم في آسيا، وفي أفريقيا تعرضت عدة دول لهذا التقسيم، وقد تفرس علماء الهند المخلصون لخطر نظرية القومية على أساس الدين.

ومن الغريب أن هذه النظرية تطبق على غير المسلمين وحدهم إذا كانوا في بلد الأغلبية الإسلامية، ولكن إذا كان المسلمون في أقلية في بعض المناطق، وطالبوا بحقوقهم لاتباع تعاليم دينهم وثقافتهم، فيحرمون ويطلق عليهم تعبير الانفصال والإرهاب، كما يحدث في بورما وأماكن أخرى، وتمارس فيها الحكومة القائمة وسائل قمع الحريات.

وأوضح معنى هذا التقرير هو تقسيم عدد من البلدان الإسلامية على أساس طائفي ومذهبي كما يظهر من هذا التقرير، وبهذا التقسيم تتحول عدد من البلدان الإسلامية إلى دويلات صغيرة؛ ولا نقول دويلات صغيرة؛ بل تتحول إلى دويلات متصارعة، وقد بدأ عمل تنفيذ هذه الخطة بتدبير حوادث الانفجارات الانتحارية التي ذهبت ضحيتها عدد كبير من المسلمين أنفسهم بأيدي المسلمين الذين تختلف انتماءاتهم المذهبية، كما حدث أخيراً في أفغانستان، وفي باكستان، وفي العراق، وفي اليمن، ويجري منذ مدة طويلة في سوريا.

وتتطور هذه النزعة فتتحول إلى صراعات قبلية، ويخشى ذلك أكثر في البلدان التي تعيش فيها قبائل تحت قيادات مختلفة، وتصبح الدول الأفريقية أكثر تعرضاً لهذه الحروب الأهلية.

ثم تأتي مرحلة الأيديولوجيات الاقتصادية والسياسية والعقدية، فيتلاشى بذلك المجتمع المسلم المتماسك المربوط في عقيدة واحدة كما كان في القرون الأولى التي كانت عهد الانتصار والغلبة بوحدة صفوف المسلمين، وذلك بالاعتصام بحبل الله "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [آل عمران: ١٠٣].

لا شك أنه توجد في المسلمين اليوم فروق وخلافات في الفكر والاتجاه، وذلك بتأثير نظام التعليم الغربي المفروض عليهم الذي يغرس في أذهان المسلمين تصور تفوق الغرب واقتباس أفكار قادته ووسائل الرقي التي اختارها بعد الانفصال من الدين والأخلاق والثورة على القيم وتغلُّب المادية الجامحة.

وبتأثير هذا النظام توجد في المسلمين نسبة كبيرة من المقتبسين من الغرب الذين يتلقون أوامر الساسة والقادة في الغرب وينفذون تعاليمهم، وإذا قام نظام عادل مستقل يسرعون لوأد هذه الحركة وتستخدم وسائل متعددة لإحباط هذه المساعي لإقامة نظام مستقل كما حدث في مصر حيث قامت حكومة منتخبة، ولكن سياستها كانت تتعارض مع مصالح هذه الطبقة فأحبطت هذه المحاولة.

وجربت هذه السياسة في تركيا أخيراً، ولكن الشعب التركي

الغيور غلب على هذه الشرذمة العسكرية العميلة، وأحبطت محاولة قلب نظام حكم كان يسعى إلى إسعاد الشعب ورقي البلاد ووضعها على قدميها، ومسح آثار التبعية والاحتلال، ومحو آثار السياسة التي تخالف رغبات الشعب المسلم منذ أكثر من قرن نتيجة لمؤامرة غربية.

ولو تحققت هذه المؤامرة لتغيرت خريطة تركيا وتعرضت لخطة التقسيم.

ولعبت وسائل الإعلام الغربي في تنفيذ هذه الخطة دوراً مهماً بنشر أخبار لا صلة لها بالواقع كما حدث في قضية الثورة المضادة الفاشلة، ولعبت في ذلك بعض الدول العربية المسلمة دوراً لخضوعها لسياسة الدول الأوربية، لا نسميها، ويدل ذلك على حالة الخضوع والاستسلام للنظام المعاند في الغرب للإسلام والمسلمين، فيساعد هذا النظام على إعدادحفر حفرة تقع فيها نفسها.

إن هذا التقرير جدير بأن يدرسه قادة المسلمين ويدرسوا خطورته ويبذل الجهد لتوحيد صفوفهم والتغلب على خلافاتهم، وملء فجواتهم قبل أن تكون الدول القائمة منذ مدة طويلة درسا للتاريخ.

ولا تتعلق هذه الخطة بالدول الإسلامية أو العربية؛ بل تؤثر على البلدان التي يعيش فيها المسلمون بأكثرية كبيرة كالهند، فتدعي الأوساط الأغلبية في الهند أنها ستقسم المسلمين إلى فرق على أساس المذهب والاتجاه الديني بكسب ودّ بعض الفئات لتحقيق سياستها وإبعاد فئات أخرى عن موضع التأثير، ويجري العمل على هذه الخطة، وتستخدم هذه الخطة في الانتخابات العامة لأن أصوات المسلمين لها وزن في الانتخابات، وإذا تم

الحصـول علـى تأييـد بعـض الفـرق مـن المسـلمين فـإن الفـوز في الانتخابات مضمون.

إن خطة تقسيم المسلمين خطة خطيرة لبلـدان لها تـأثير علـى مستقبل العالم الإسلامي ومستقبل المسلمين في البلدان التي هـم فيها في أقلية، فليدرك قادة المسلمين خطورة هـذه الخطة المشئومة لكي لا يتحقق ما يخطط بالبلدان على أساس العصبيات العرقية والعنصرية والمذهبية.

لقد كانت الثورات التي حدثت في بعض البلدان العربية جزءاً من هذه الخطة، وقد وصفها بعض المحللين بالربيع العربي، لكنها أدت إلى الفوضى والتشتت والتقسيم في صفوف المسلمين.

المصادر الرئيسية للصراع في العالم الإسلامي[(١)]

تجني القيادات السياسية والفكرية في العالم الإسلامي، ثمار ما غرسته؛ من أفكار، ونظم، ومذاهب، وعقائد، تتنافى مع التصور الإسلامي، فتتجرع مرارتها، ويذهب ما بنته خلال قرن أو أكثر بغرز الفكر الغربي المستورد، وهدم الفكر الشرقي الأصيل، مجرى الرياح، في الفتن والحروب، والصراعات السياسية، والنزعات الإقليمية والعصبيات اللغوية والثقافية، والعنجهيات القومية، والسلالية، والعنصرية التي تستهلك وتستنزف القوى والكفاءات، ويبدو المجتمع المسلم من خلال هذه النوازل والنكبات مجتمعاً موبوءاً، لا يشفى من إصابة إلا ويصاب بنازلة أخرى، تزيده هزالاً ونقاهة.

إن نزيف الدم أخطر مرض يصاب به إنسان، ولا يمكن معالجته إلا بوقف مصدر هذا النزيف، وقد يستعصي علاجه، وكل مرض غير النزيف سهل العلاج، تتوفر أدويته، وتتيسر مداواته، ولكن النزيف يحتاج إلى دقة التحليل والوصف، والإسراع إلى وقف مصدره، ومنعه من التوسُّع، لأنه يستنفد طاقة المريض، وقوة احتماله، وعزمه، وصموده، فيخسر المريض نتيجة لإصابته به في أيام، ما ادخر من قوة، ووفر من طاقة في سنوات، ولذلك تتوجه عناية الطبيب الحاذق إلى سد مصدره أولاً، واستعاضة ما خسره المريض من قوة.

لقد أصيب المجتمع المسلم المعاصر ولا نقول" المجتمع

---

(١) المجلد: ٥٩، العدد: ١٠، مايو ٢٠١٤م.

الإسلامي" لبعده عن الإسلام، بأخطر نوع من النزيف الدموي الذي ينهك قواه، وهو الداء العضال الذي يحطم صلبه، ويعرضه لكل مرض من الأمراض المستعصية.

أصيب العالم الإسلامي بنزيف السكان، فلم تهتم القيادات به؛ لأطماعها السياسية، فانتقلت أفواج من المشردين من بلد إلى بلد، بعد ما أصيبوا بخسائر في الممتلكات، ونزحوا من أوطانهم، فأصيبوا بحرمان، وشرود، وتعرض أولادهم لحيرة، وحسرة، فعاشوا ثائرين ناقمين، ونشأوا حاقدين وحانقين، ولوجود هؤلاء الحائرين الذين يعانون من الحرمان والتمييز، اضطربت الموازين في معظم البلدان الإسلامية؛ لأن جزءاً منه يعاني الشقاء والحرمان، وجزء آخر يعيش حياة الرغد والنعيم، وهو السبب الرئيسي للصراع الطبقي، والعنصري، الذي يوجد في العالم الإسلامي، ولم يتحقق تصور الإسلام عن المجتمع المسلم " المسلم للمسلم كالبنيان، أو كالجسد الواحد" لأن هذا التآلف والتعاضد لا يتحقق إلا بإزالة الفوارق، وعناصر التمييز من المجتمع؛ بمعاملة المساواة، والمؤاساة، ونظرة الإخاء.

أصيب العالم الإسلامي بالنزيف العقلي، حيث هاجرت العقول وأصحاب الكفاءات؛ لأنهم لم يجدوا في بلادهم ما يشجع على استثمار عقولهم، وتأمين سلامة حياتهم وعملهم، ولم تلتفت إليها القيادات السياسية؛ لأنها كانت تعتبر هجرة العقول من بلادها ضماناً لبقائها في الحكم، لصعودها إلى مناصب الحكم والقيادة، من غير مؤهل علمي أو مرشح شعبي، أو حق وراثي، وإنما كان كثير من أصحاب السلطة من المجهولين الذين التقطهم

المستعمرون الغربيون، ففرضوا أنفسهم بقوة السيف، أو الاحتيال والمكر والخداع، ضد رغبة شعوبهم، فعاثوا في البلاد فساداً، وبطشوا بإخوانهم وبني جلدتهم لمركب النقص الذي كانوا يشعرون به.

وأخيراً بعد نزيف السكان، ونزيف العقول، أصيب العالم الإسلامي بنزيف الدم، وهو آخر مرحلة من مراحل الحياة، وبه يلفظ المريض النفس الأخير.

إن نظرة خاطفة على خريطة العالم الإسلامي تبرز البقاع الملطخة بالدم، حيث تتبعثر الأشلاء، وتنتشر الأراضي المحروقة، والبنايات المنقوضة في عدد من بلدان العالم الإسلامي، في العرب والعجم، في آسيا وأفريقيا، كأن المسلم وحده مصاب بعطش الدم، فيبدو أن المسلم يخنق أخاه، ويسفك الدم، بينما يقف عدوه يتفرج ويمرح، فلا يستخدم سلاحه، وإنما يسلم سلاحه كلا المتحاربين، ويكسب منه ما يقوم به اقتصاده.

لقد وصل المسلمون إلى عهد الهمج، وخلعوا عنهم كل ما يوصف بالثقافة والرزانة، فيتحاربون فيما بينهم بدون شعور للعصر الذي يعيشون فيه، فضلاً عن الشعور بالانتماء إلى الدين الذي يسمون به، والعار الذي يلحقون به.

يصدق ذلك ما يحدث في العراق، وسوريا، ومصر، وليبيا، وأفغانستان، واليمن، والسودان، ومناطق الحدود الغربية في باكستان، علاوة على ما يحدث في البلدان التي يعيش فيها المسلمون كأقلية، ويرجع ذلك إلى غلبة عناصر التزمت والتطرف في الأفكار، والنزعات، وحتى التشدد في المذاهب الفقهية، بالإضافة

إلى تسرُّب العناصر الخارجية الهدامة إلى صفوف المسلمين، التي تستخدم الشباب المسلمين لأغراضها، ومن أسباب الصراعات في البيئات الإسلامية، العصبيات اللغوية والإقليمية والطبقية التي أدت إلى تقسيم بعض البلدان أو أدت إلى صراعات دموية.

فقد كان المسلمون أبعد الأمم عن التمييز اللغوي والإقليمي، وهم اليوم أقرب الأمم إليه، وأكثرها تلوثاً بهذه النزعة المادية التي تفرق بين إنسان وإنسان، وقد نشأت هذه النزعة فيهم خلال عهد الاستعمار الغربي، الذي جعل هذه النزعة وسيلة لتشتيت شمل المسلمين، لكي لا تجتمع للمسلمين قوة جامعة.

وقد تفاقمت هذه النزعة إلى حد يفكر فيه كل شخص في محيطه الضيق، وبيئته المحدودة، فانتقل من اللغة إلى اللهجات الإقليمية، ومن القوم إلى البلد والمديرية، ومن الشعب إلى الأسرة والطائفة.

إنه اتجاه خطير، اتجاه معاكس للوحدة، يفتت كل بلد، ويفكك كل وحدة، وتجمُّع، فيستحق لخطورته أن توجه كل طاقة لمحاربته واقتلاع جذوره، وسد مصادره، لأنه يهدد سلامة الأمة الإسلامية التي عرفت بالوحدة على أساس العقيدة والدين، ونبذ تصور الوحدة أو العصبية على أساس النسب أو التراب، والطين، إنه درس نسيه المسلمون اليوم تحت ضغط حركات القومية واللغوية والوطنية، فيتحتم على القيادات الفكرية أن تلتفت إلى هذا المصدر للنزيف الدموي والصراع النفسي، وينصرف إليه كل موجه ديني وقائد سياسي، وزعيم فكري؛ لأنه مرض يهدد سلامة المجتمع المسلم الموحد، ووجوده وتشخصه.

العداء للإسلام سبب الصراع في العالم الإسلامي[١]

يدل الوضع السائد في سائر الدول العربية التي قامت فيها الثورات، من ليبيا إلى الشام؛ بما فيها مصر، أن الثورة أخفقت في إنشاء نظام بديل، أو نظام أفضل من النظام الذي تمّ قلبه بالثورة التي عرفت بـ "الربيع العربي"، ولم يتحقق هذا التعبير الربيع، بل تحول الربيع إلى الخريف، فتستمر حالة عدم الاستقرار، ويواجه عمل تشكيل حكومة جديدة، صعوبات، ويصعب التوصُّل إلى اتفاق لانتخاب من يتولى الحكم.

والسبب الرئيسي لعدم الاستقرار وفشل الجهود لإقامة نظام جديد، هو بُروز العنصر ذي الاتجاه الإسلامي، رغم ثقافته العصرية، وخبرته في ميدان الحياة، ولمجرد انتمائه إلى الحركة الإسلامية، أو التزامه بالتعاليم الإسلامية، تقام عقبات في سبيل تولّيه الحكم، ويرجع ذلك إلى الخوف من الإسلام والحكم الإسلامي، الذي بثّه جهاز العلم والإعلام الغربي منذ قرون، ولم تقبل هذه الدعاية العناصر غير المسلمة فحسب؛ بل قبلت هذه الدعاية العناصر المسلمة التي نالت الثقافة الغربية، واعتمدت على الكتب التي ألّفها المفكرون الغربيون، والذين عاشوا في ظل وسائل التربية الغربية، وفرضت على النفوس هيبة وذعر بالنسبة للإسلام، والمنتسب إلى الإسلام.

---

[١] المجلد: ٥٩، العدد: ٦، يناير ٢٠١٤م.

وقد كان ذلك السبب الرئيسي لقلب عملية انتقال الحكم إلى أيدي المنتخبين في مصر، ومثل ذلك يحدث أو يخشى أن يحدث في تونس وليبيا، وذلك هو السر في تأخير حل قضية سوريا.

إن الوضع الذي يسود الدول التي قامت فيها الثورات، أسوأ مما كان قبل الثورة؛ فقد اختل النظام في كل مجال من مجالات الحياة، فحدثت تفرقة بين مختلف طبقات الشعب، وأدّى هذا الوضع إلى تدهور وضع الأمن والقانون للصراع بين مختلف صفوف الراغبين في الحكم، ولا يوجد رغم انقضاء عام أو أكثر، مؤشر إلى إصلاح الأوضاع، أو على الأقل إقرار الأمن، وقد أتاح هذا الوضع للعناصر الخارجية فرصة للتدخل أو الإفساد، تزيد في الأوضاع تدهوراً وتوسيع الفجوات عمقاً، وإحداث الفرقة بين صفوف المسلمين.

وأحدث دليل على ذلك ما يحدث في تركيا؛ فقد أحرزت تركيا في قيادة طيب أردغان تقدماً اقتصادياً، وأحرزت مكانة سياسية، ولكن تقوم فيها مظاهرات للإطاحة بحكمه بتهمة واحدة، وهى أنه يريد أسلمة تركيا، فقد أفادت جريدة "الشرق الأوسط" في صفحتها الالكترونية (٧/نوفمبر٢٠١٣م) أنه بدأ الصراع بين حكومة أردوغان ومعارضيها لإطلاقه وعداً بالعمل على منع مساكن الطلاب المختلطة باسم الدفاع عن الأخلاق، وبعدما تمّ التطرق إلى هذا الملف في اجتماع مغلق لحزبه العدالة والتنمية، شن أردوغان هجومه علناً أمام البرلمان حيث بدأ عدد من النواب النساء منذ أسبوع بالحضور إلى البرلمان محجبات.

وقال أردوغان في كلمته الأسبوعية أمام نواب حزبه: «لم

ولـن نسـمح بـاختلاط الفتيـات والفتيـان في مسـاكن الدولـة». وأضاف: «يمكن أن تحدث أمور كثيرة عند الاختلاط، إننا نتلقى شكاوى من العائلات التى تطالبنا بالتدخل». كما أوصى إدارات المحافظات الـ٨١ في البلاد للعمل على هذه المسألة.

وأفاد مصدر رسمى بأن ٧٥ في المائة من مساكن الطلاب التى تديرها مؤسسة يورتكور الرسمية تفصل بين الشبان والشابات، ويفترض ألا يبقى أي منها مختلطاً مع مطلع ٢٠١٤. لكن رئيس الوزراء سبق أن أكد أنه لن يكتفى بذلك. ففى كلمته تحدث عن فكرة توسيع معركته لتشمل مساكن الطلاب الخاصة والسكن المشترك. وصرح أمام نوابه: «لا يمكن للطلاب والطالبات الإقامة في المنزل نفسه، هذا مخالف لبنيتنا المحافظة الديمقراطية».

ولا يعد المعارضون السياسيون والمدافعون عن حقوق المرأة أو عن العلمانية مبادرة رئيس الوزراء أمراً مضحكاً. فهم يكثفون الانتقادات لمثال آخر على مساعيه «لأسلمة» البلاد. وصرح كمال كيليتشيدار أوغلو رئيس حزب الشعب الجمهوري أهم حزب معارض: أن «نية أردوغان الحقيقية هى إنهاء الاختلاط في التعليم بشكل عام». متهما أردوغان بالسعى لتطبيق جدول أعمال إسلامى.

وقال في اجتماع برلمانى للحزب في أنقرة: «لديهم خطة في باطن عقولهم.. إنهم يرغبون في تحويل تركيا إلى دولة شرق أوسطية». حسبما نقلت «رويترز». وأضاف أنه: «ينبغي على كل مواطنينا وخاصة نساءنا الانتباه».

وذهب آخرون أبعد من ذلك، فبعد صدور القانون الذي يقيد بيع الكحول واستهلاكه والذي غذى الاحتجاجات ضد الحكومة فى

يونيو (حزيران) ثم المرسوم الأخير الذي يجيز وضع الحجاب في الوظائف الرسمية، ندد هؤلاء بأجندة حزب العدالة والتنمية.

وصرحت بيرسان تيمير التى ترأس جمعية نساء الأناضول: «تحت أعيننا تتحول الجمهورية التركية إلى دولة إسلامية». وتابعت أن «الجمهورية العلمانية كما كنا نعرفها تختفي تدريجيا".

إن من يتابع الأحداث يدرك مدى ذعر أوربا اليوم وهولها من الصحوة الإسلامية، أكثر مما كانت مصابة بهما في الماضي، فقد كان صوت الإسلام ضعيفاً في الماضي، وكانت الدول الإسلامية أضعف اقتصادياً وسياسياً، ولم يكن للإسلام مؤسسات ولا حركات، ولا إعلام يسمع أو يشاهد، وقد تغير هذا الوضع، ويشاهد الإسلام متحركاً في أوربا نفسها، وقد عاش الإسلام كالشبح المخوف للدول الغربية طويلاً، فتضخم هذا الذعر الكامن من جديد، بأقلام الكتاب الغربيين الذين يبرزون خطورة عودة الإسلام بالإعلام، ويفخمون كل ما يحدث في العالم الإسلامي من حركة وجهد للدعوة الإسلامية، ونقد للحضارة الغربية، وقد أثبتت التجارب أن الأوربيين قوم سذج يثقون بالإعلام ثقة الآخرين بالمقدسات، ويستغل الإعلاميون الغربيون هذه السذاجة لقومهم، فتعيش أوربا نتيجة لهذه الدعاية ضد الإسلام والمسلمين في نفسية الذعر التي خلقها الكتاب في القرون الماضية وأثارها المغرضون من الساسة المعاصرين، فتشكل الدعوة إلى الإسلام بالنسبة لأوربا والمؤمنين بعظمتها الأسطورية، دعوة تنذر بعاقبة وخيمة لها، كأنها دعوة إلى الرجوع إلى عهد غزو أوربا؛ عهد صلاح الدين، ومحمد الفاتح، فكان جل اهتمام مفكريها، وقادتها، وكتابها أن لا تذكر هذه الكلمة

القلقة، ولا ينبعث ذلك العملاق الذي غيّر مجرى التاريخ، كلما هب وانتعش، فتوجه حكومات أوربا الضغط إلى الحكومات التابعة لها؛ لقمع كل حركة تثير في المسلمين الشعور بالذاتية، أو ردّ فعل ضد سياسة الاستعمار الغربي، وكبت كل صوت ناقد للحضارة الغربية، وسد كل باب للعمل الإسلامي الذي يدعو إلى تعيير منهج الحياة، إنها لا تخاف المساجد، ولا المصلين، ولا الصائمين، وإنما تخاف الدعاة إلى الإسلام والناشطين له، والمصلحين والمفكرين الذين يقومون بتربية الأجيال الناشئة، ويؤثرون في أذهان المثقفين، وينتشر نفوذهم في الدوائر الرسمية والحكام.

إن النظم التي تحارب الإسلام اليوم في الواقع لا تحاربه إلا بإيعاز الدول الأوربية التي ثارت على الإسلام من جديد كرد فعل للصحوة الإسلامية التي تنتشر وتتوغل إلى أوربا نفسها، وستعود هذه النظم إلى الحق بعودة الاستفادة فيها، وتنامي الشعور، وانبعاث الوعي الإسلامي في شعوبها وتجربتها مع الغرب بمرور الزمن، وستنقشع هذه السحب، كما انقشعت السحب التي كانت أكثر كثافة من هذه السحب عند ما انبعثت في أوربا فلسفات، وأفكار، ونظم مهددة للدين، والأخلاق، وساد الغرب على العالم كله بفكره وسلاحه ومكره ودهائه، فلا يوجد لهذه الدعوات والنظم، والفلسفات، مكان إلا في بطون الكتب المطمورة، أو في المتاحف التاريخية وخرج الاستعمار بعدته وعتاده وغطرسته.

لقد تغيّر الوضع اليوم تغيراً كبيراً بتأثير التجربة والتعامل مع الغرب، الذي يواصل سياسة التمييز والجفاء مع العالم الإسلامي، وكراهية الإسلام وعداء المسلمين الذي تحوّل إلى حملة عالمية بعد

أحداث سبتمبر المشئومة، فإن كثيراً من القادة المسلمين بدأوا يشعرون بجفاء الغرب، وسوء سلوكه معهم، رغم ولائهم له، وتنفيذ ما يملي عليهم من سياسة، ويجرب ذلك كل من يتحدث معهم في هذا الموضوع، فيجدهم أكثر صراحة وصرامة في الثقة بالدين، ونشر تعاليمه، وأكثر انتقاداً لتدخل الدول الغربية في الشؤون الداخلية، لكن مصالح بلادهم مرتبطة بالدول الكبرى لأسباب اقتصادية وسياسية.

تعود مسئولية ذلك أيضاً إلى المثقفين المسلمين أنفسهم الذين نشأوا في عهود الاستعمار والعهد الذي تبع جلاء القوى الاستعمارية، وقيام حكم القادة الذين كانوا يحاكون الغرب في كل مرفق من مرافق الحياة؛ التعليم والتربية والإعلام، ولم يوجه الكتاب اهتمامهم إلى إزالة الخوف والتصوير القاتم للحكم الإسلامي، وإبراز ما يحمل النظام الإسلامي من صلاحيات لإزالة الفساد، وإقامة العدل، والمساواة ورعاية حقوق الأقليات والرعية، والمساواة بين مختلف الطبقات، وكرامة الإنسان، وجمع خيرات الدين والدنيا الذي يزخر التاريخ الإسلامي بأمثلته.

إن العالم الإسلامي بدأ يتنفس، وصوت الإسلام بدأ يرتفع؛ ليس من مآذن المساجد في الشرق، بل إنه يرتفع اليوم من المآذن في أوربا، ومعاقل الغزاة المستعمرين، قد تناقلت الصحف أن الإقبال على دراسة الإسلام وموجة اعتناقه أكثر تصاعداً اليوم من أي وقت مضى، وأن حرب الإسلام باسم مكافحة الإرهاب الإسلامي قد دفعت عقولاً كثيرة في مختلف أنحاء العالم إلى فهم ما يدعو الإسلام إليه.

فإذا سارت تعاليم الإسلام في الحياة الفردية والاجتماعية، وسويت المشاكل بها طوعياً، وأظهر المسلمون وخاصة الدعاة

والعاملون الصبر والحكمة والمثابرة متكاتفين بعضهم مع بعض، بدون عصبية وتحيز وانفعال بالانتماء الكامل إلى الإسلام والأمة الإسلامية، مراعين لتعاليمه، وإذا لم يستنزف العاملون للإسلام قواهم في المجابهات والتصرفات الطائشة، فإنها سيثبت في وقت قصير أن الإسلام هو الحق المبين، وأنه مبرّأ من كل ما يقوله الأعداء، وانه هو الدين الخالد، وأنه هو الحل الوحيد للمشاكل المعاصرة التي تهدد المجتمع الإنساني كله بالفناء، وأنه لا يحل مشاكل المسلمين فحسب، بل مشاكل العالم كله، وصدق الله العظيم " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُوحَظٍّ عَظِيمٍ، وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ". (سورة فصلت: ٣٠ -٣٦).

وقال: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ".(سورة النحل: ١٢٥ -١٢٨)

العالم العربي في خطر الصراع العالمي[١]

لقد قضى العالم الإسلامي حوالي قرن كامل تحت حكم الدول الأوربية بما فيها الدول الرأسمالية في أوربا الغربية، والاشتراكية في أوربا الشرقية، وفرض عليهم المستعمرون أفكاراً ونظريات، بالوسائل السياسية، ونظم التعليم والتربية، والإعلام، فحدث بذلك في المسلمين انقسام فكري ونظري.

بتأثير قضاء فترة طويلة في الحكم الأجنبي، ثم في عهد حكم الموالين للحكام السابقين يعيش العالم الإسلامي كله اليوم في وضع مأساوي، يجري فيه صراع مسلّح بين مختلف طبقات المسلمين أنفسهم، تقع نتيجة لذلك خسائر فادحة في الأرواح، سواء كان ذلك في العراق الذي شتّت شمله الغزو الأمريكي، ويجري فيه صراع بين السنة والشيعة والأكراد، وتنقل الصحف كل يوم أخبار الخسائر التي تقع بالهجوم المسلح، سواء كان الهجوم مباشراً أم كان عن طريق التفجيرات، ولا تستثنى من هذه الاعتداءات المساجد والمقابر، وحفلات الزواج والعرس، وعمليات التدفين، حتى القيادات السياسية في ذلك البلد موزعة، يجري بينها صراع دموي، ولا توجد قيادة سياسية موحدة، وإذا كانت القيادة السياسية موزعة، والأمن الداخلي مفقوداً، فكيف يمكن أن تعود الحياة إلى الوضع الطبيعي، ويجري في البلد عمل بناء الوطن؟.

---

[١] المجلد: ٦٤، العدد: ٢، يونيو ٢٠١٨م.

لقد وقعت سوريا وهي جزء من بلاد الشام فريسة للغزو العسكري أولاً ثم للغزو الفكري وفرضت عليها أفكار ونظريات متعارضة مع الفكر الإسلامي وتعرض العلماء والدعاة في تلك البلاد للمحنة في هذا الحكم الاشتراكي بعد انقلابات وثورات عسكرية وقام الحكام العسكريون بتصفية تامة من قيادات رشيدة في البلاد وهي الآن مسرح للقتال وأصبحت البلاد عرضة للحرب ليست بين الشعب والحكومة بل بين المعسكرين العالميين ويجري فيها سفك الدماء وخروج مئات الألوف من السكان وأدت الصراعات العسكرية في هذه البلاد إلى تدمير كامل في عدد من المدن التاريخية التي كان لها دور في التاريخ الإسلامي لقد كان الشام قلعة من القلاع الإسلامية وله تاريخ مجيد في صد الهجمات الأجنبية العسكرية والثقافية وقد تغير الوضع في العراق أولاً ويبدو أن سوريا ستصبح أكثر تعرضاً للصراعات الدولية ويُخشى أن تصبح مصرعاً للحرب العالمية وتشير إلى ذلك تدخل أمريكا وحلفائها ولو كان متأخراً في قضية الشام وهجماتها الأخيرة تشير إلى خطر باصطدام دولتين كبيرتين في هذا البلد الذي سيؤدي إلى تدمير كامل لهذه المنطقة ويكون للمسلمين أكبر نصيب في الخسائر التي تؤدي إليها هذه الحرب.

قال الشوقي عند الغزو الفرنسي على الشام في أبيات يندب فيها على الوضع وتنطبق هذه الأبيات على الوضع اليوم أكثر:

بنو أمية للأنباء ما فتحوا
وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكاً، سرير الشرق تحتهم
فهل سألت سرير الغرب ما كانوا

عــالين كالشــمس في أطــراف دولتهــا
في كــل ناحيــة ملـــك وســـلطان
يــا ويــح قلـبى مهمـا انتـاب أرسمهـم
ســرى بــه الهــم أو عادتــه أشــجان
بـالأمس قمت علـى (الزهـراء) أنـدبهم
واليـوم دمعـى علـى (الفيحـاء) هتـان
معــادن العــز قــد مــال الرغــام بهــم
لــو هــان في تربــه الأبريــز مــا هــانوا
لــو لا دمشــق لمــا كانــت (طليطلــة)
ولا زهـــت بـــبنى العبـــاس بغـــدان

لقد كان العراق والشام في التاريخ الطويل قبلة العالم، وكان يعد قوة كبرى، يؤم إلى بغداد والكوفة والبصرة رُوَّادُ العلم، وكانت هذه المدن مراكز الإشعاع الفكري والحضاري؛ ولكن القيادات السياسية التي تولت الحكم في هذين البلدين كذلك كانت دمشق وحلب مراكز الثقافة الإسلامية منذ نصف قرن بعد انحسار الاستعمار قضت فترة حكمها في أعمال تصفية أصحاب العقول والولاء للوطن، والوفاء للإسلام والوطن الإسلامي، ولجأت إلى أيديولوجيات وفلسفات مستوردة من الذين استعمروا العالم الإسلامي، وقضوا على هويّته، ومحوا معالم تاريخه، وجفّفوا منابع قوته، من أجل الولاء للعناصر التي تتربص بالعالم الإسلامي الدوائر، وخاصة مراكز القوة في العالم الإسلامي التي كان لها دور مجيد في التاريخ؛ دور التصدي للغزو الأجنبي، وللفلسفات الأجنبية من عهد العباسيين في القرن الثالث، وواجه علماؤها الغزو

الفكري من الفرس إلى اليونان والروم والهند، وأخذوا ما طاب منها، ونبذوا ما لم يطب، وأسسوا قاعدة للحضارة الإسلامية العالمية التي حملت أطايب الحضارات العالمية.

وبالإضافة إلى الاستعانة والاعتماد على هؤلاء المتربصين الذين كانوا يضمرون الحقد، ويحملون روح الانتقام، قبلوا الأفكار والنظريات والأيديولوجيات التي فرّقت كلمة المسلمين، ووزّعتهم على مخيمات ومعسكرات متصارعة بالإضافة إلى تصورات الوطنية والقومية التي وزّعت العالم الإسلامي الموحد في ظِلّ الخلافة، إلى أوطان صغيرة، وكيانات مصغرة متحاربة، ثم غرس هؤلاء المتربصون والأعداء للوحدة الإسلامية اتجاهات وميولاً وعصبيات إقليمية بين هذه الكيانات المصغرة.

كان المسلمون في العالم كله أمة إسلامية واحدة بفضل الآية الكريمة "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" [الأنبياء: ٩٢]، وكانت الحدود والجغرافية للانتظام بموجب آية "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجرات: ١٣].

وكان من تأثير هذه الوحدة أن حادثاً وقع في الهند كان له أثر في العاصمة الإسلامية في جزيرة العرب، وكان للجريمة التي وقعت في أوربا ضد المسلمين صدىً في عاصمة الدولة العباسية في بغداد، ويذكر التاريخ الإسلامي هذين الحادثين فكان فتح الهند للإسلام وفتح عمورية رمزاً لهذه الوحدة.

ومن أمثلة هذه الوحدة حركة الخلافة في الهند عندما تعرضت تركيا للمؤامرة الغربية، وصمد مصطفى كمال باشا في وجه الغزو

اليوناني وأنقذ تركيا عسكرياً، وأكسبه عملُه هذا لقب "الغازي" ولا يزال يعرف في الهند بهذا اللقب، رغم وقوعه في آخر المطاف في فتح الغرب الذي انتقم بالقضاء على الخلافة بإجبار مصطفى كمال على قبول شروطه للصلح.

كانت هذه الوحدة في الشعور، وفي الولاء، وفي الانتماء إلى الإسلام سمة للمسلمين في الماضي، بغض النظر عن الحدود الجغرافية، كان شعارهم "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ" [آل عمران: ١٩]، "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" [آل عمران: ٨٥]، ولكن الولاءات لعقائد وأفكار ونظريات مستوردة كسرت هذه العروة الوثقى التي كانت تربط العالم الإسلامي كله.

عندما كسرت هذه العروة الوثقى أو الحبل المتين الذي كان يوحّد العالم الإسلامي كله شعورياً وفكرياً وعقلياً وعملياً كان المسلمون قوة عالمية بفضلها، وتفرّقت كلمة المسلمين بغلبة النزعات الوطنية والإقليمية والفلسفات الفكرية بإعلان بعض القادة في العالم: مصر للمصريين، والشام للشاميين، ثم وزعت الفلسفات والانتماءات إلى أفكار متصارعة، البلد الواحد على بلدان مختلفة، فلم تبق مصر بلداً واحداً، ولا الشام بلداً واحداً، بل توزعت مصر إلى معسكرات وتكتلات، وكذلك الشام والعراق، وتركيا، وتوزّع كل بلد من هذه البلدان التي رفع قادتها شعار القومية، إلى قوميات ووحدات متفرقة، وكان هذا التفرّق سبب الشقاء والصراع الذي يجري اليوم في العالم الإسلامي، سواء كان ذلك في آسيا أو إفريقيا، ولا يصعب على من يستعرض الظروف في إفريقيا أن يشاهد آثار هذا

التفرّق، ونتائج هذا التفرّق، وكانت النتيجة الرئيسية لهذا التفرّق غلبة الهوان، وذهاب هيبة المسلمين من النفوس. "وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" [الأنفال: ٤٦]، "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [آل عمران: ١٠٣ -١٠٥].

لقد خرجت هيبة المسلمين من القلوب في العالم كله، وتشجع غير المسلمين عليهم في كل مكان، ويتجرّأ واحد منهم فيحاول حرق القرآن، والإساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وصل الوضع إلى حد إهمال العالم كله معاناة المسلمين وشقاءهم، وعدم اهتمامه بمأساتهم، ولا تحرّكه مواكب الشهداء وجثث القتلى وإن بلغت المئات والألوف، ولا تثار قضاياهم في محافل الحقوق الإنسانية وأجهزة الأمن العالمي.

إن هذا الوضع المأساوي الذي يعيشه المسلمون، نتيجة مباشرة لتفرُّق كلمتهم، وتوزُّعهم على معسكرات، وانتماءاتهم إلى أفكار ونظريات متصارعة، والبحث عن حلول القضايا في منابر من يتربّص بهم الدوائر، ويكيد لهم مكايد.

ولا عزة ولا قوة للمسلمين، سواء كانوا عرباً أو عجماً، إلا بالإسلام، وبالاعتصام بحبل الله المتين، وقد أشار إلى ذلك العلامة

أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يخاطب الأمة العربية في حفلة التكريم في دبي عام ١٩٩٩م فقال:

"إن الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد العربي صلى الله عليه وسلم، منبع حياتكم، ومن أفقه طلع صبحكم الصادق، وأن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو مصدر شرفكم، وسبب ذكركم، وكل خير جاءكم ـ بل وكل خير جاء العالم ـ فإنما هو عن طريقه، وعلى يديه، أبى الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه، وتمسُّككم بأذياله، والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه، ولارادّ لقضاء الله، ولا تبديل لكلمات الله، إن العالم العربي بحر بلا ماء، كبحر العروض حتى يتخذ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إماماً وقائداً لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام، كما نهض في العهد الأول، ويخلص العالم المظلوم من براثن مجانين أوربا الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنية، ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير، بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم، ويوجّه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب، إلى التقدم والانتظام والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان، إلى الطاعة والإيمان، وإنه حق على العالم العربي سوف يسأل عنه عند ربه، فلينظر بماذا يجيب؟.

الأطماع الاستعمارية مصدر الاضطراب السياسي في العالم الإسلامي[1]

قبل حدوث تفجيرات ٩/١١ بمدة نشرت مجلة أوربية تقريراً عن العالم الإسلامي استعرضت فيه الأوضاع السياسية والاقتصادية، والصراعات الطائفية والمذهبية فيه، وعلقت عليها قائلة: " إن العالم الإسلامي يسيل دماً ". وكان هذا العنوان غريباً في ذلك الوقت الذي لم تكن توجد في العالم الإسلامي إلا نزاعات بين بعض الدول المجاورة، تؤدي إلى صراعات مسلحة مؤقتة، وهو أمر طبيعي، يحدث عادة في مختلف أنحاء العالم، ولا يخص ذلك العالم الإسلامي، وقد دارت رحى الحرب العالمية الثانية التي أتت على الحرث والنسل، بين الدول غير الإسلامية، وكان المسلمون فيها كغيرهم وقوداً؛ لأنهم كانوا خاضعين للحكم الاستعماري الغاشم.

وكذلك قبل حدوث الثورة في مصر عندما كان الوضع عادياً، نشرت مجلة "اكنومست" صورة على غلافها في بحر، تخرج منها رأس، ووضعت على هذه الصورة عنوان" عودة فرعون" ويدل ذلك على مخطط إحداث الاضطراب في مصر وتحويل الأحداث المؤقتة التي كانت قد أعدت قبل حدوث الثورة.

قبل الحرب الكونية الثانية جرت حرب كونية أولى، وكانت بين الدول الأوربية المسيحية، ثم قامت حركات النضال للحرية في

---

[1] المجلد: ٦١، العدد: ٤، أغسطس وسبتمبر٢٠١٥م.

الدول المستعمرة، واستخدم الاستعمار البريطاني والفرنسي أقسى وسائل القمع والكبت لإحباط هذه الحركات التحررية، وقدمت الشعوب المضطهدة أغلى تضحيات في سبيل الحرية، وسجلت الجزائر الرقم القياسي، وقد بلغ عدد الشهداء في سبيل الحرية مليون شهيد، علاوة على الجرحى، ثم قامت حكومات وطنية، لكنها كانت خاضعة للدول الاستعمارية السابقة، فعملت عمل الوسيط بين الدول الاستعمارية والشعوب المقهورة.

وغرس الاستعمار في عهده في بلدان المسلمين التي كانت موحدة تحت راية الخلافة الإسلامية، بذور الشقاق بإثارة النعرات القومية، والوطنية، والعلمانية، والاشتراكية، وانقسم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة، وخلف الاستعمار قضايا في معظم هذه الدول التي انقسمت على أساس القومية، تفرق كلمة المسلمين، وتمنعهم من الوحدة، وتركت بعض المناطق بدون تعيين حدود، أو خطت حدوداً متنازعاً عليها، ولا تزال هذه القضايا تثير قلاقل وصراعات بين الدول التي تحررت من الاستعمار.

لقد كان العالم الإسلامي أكثر تعرضاً للمخططات الاستعمارية التي تهدف إلى منع الاستقرار والتقدم، وفي مقدمة هذه المخططات التي تؤدي إلى الصراعات، دعم العناصر الطائفية التي تفرض سيطرتها على الشعوب بقوة السلاح، ووسائل القهر والجبر، بعد وصولها إلى الحكم في ثورات تسندها أو تخطط لها الدول الاستعمارية، وبقيام هذه النظم السياسية التي تنعزل عن الأغلبية المسلمة، وتخالف رغبات الشعوب في بلادها، يستمر الصراع في هذه الدول، وكلما وصل إلى الحكم رجال صالحون، أو ظهرت إمكانية

لوصول رجال مخلصين أو مصلحين إلى الحكم تآمرت هذه الدول لإقصائهم من الوصول إلى هذه المواقع للنفوذ، لكي تستمر سيطرتها على هذه البلدان، ولتجري الأوضاع في العالم الإسلامي حسب مصلحتها السياسية، تتخذ أوربا إجراءات عسكرية، أو تقوم بقلب نظام حكم لا يليق بمصلحتها، وتزود الفرقاء المتحاربين بالأسلحة.

في الماضي جرت نفس المخططات السياسية في أوغندة، عندما تولى عيدي أمين الحكم، واتخذ إجراءات ضد الدول الاستعمارية، فساندت الدول الاستعمارية الدول المسيحية المجاورة على غزو هذه البلاد جماعياً، واضطر عيدي أمين إلى الخروج من البلاد وقضاء حياته في السعودية منفياً.

مر الصومال بمجازر متكررة في السابق، فقد جرت في تلك البلاد حروب أهلية وفي العهد الأخير عندما وصلت المحاكم الإسلامية إلى الحكم، وضعت أوربا خطة لإحباطها، وقد تمت لها السيطرة على الوضع، واستقرت الأمور، فألبت الدول الاستعمارية الدول المسيحية المجاورة، وحملتها على الهجوم على البلاد، والقضاء على هذه القيادة الجديدة، وأخيراً جربت هذه الوسيلة في مالي عندما وصل الإسلاميون إلى الحكم.

ويدل ذلك على أن الدول الاستعمارية لا يرضيها الاستقرار في أي بلد إسلامي، وتبحث عن أسباب التدخل في الشئون الداخلية بعذر من الأعذار.

ومثل الصومال قضية دار فور في السودان، فقد اتهمت الدول الأوربية وأمريكا أن سكان المنطقة يتعرضون لأعمال القتل والتشريد، فقد كانت أوربا تثير قبل ذلك قضية الجنوب، وتساند

المحاربين للاستقلال، ثم انتقل اهتمامها إلى دارفور، وقد غرست هذه الفتنة بريطانيا التي حكمت السودان، فبينما ساعدت الجنوبيين بقولها أنهم مسيحيون، قالت لسكان دارفور كما صرح البروفيسور مهدي إبراهيم مستشار الرئيس السوداني، إنكم مسلمون حقاً ولكنكم لستم عرباً، وان العرب يستغلونكم، وغرسوا بذلك بذور الحقد، على كل ما هو عربي، ثم دربوهم وسلحوهم؛ وأخيراً انفصل جنوب السودان عن الشمال، وكل ما حدث هناك كان بدعم أوربي، وغطاء أمريكي، وتأييد كنسي ويهودي.

إن تدخل الدول الأوربية الاستعمارية في الشئون الداخلية في البلدان الإسلامية هو السبب الرئيسي للاضطراب والقلاقل في العالم، وأن القضايا التي خلفها الاستعمار وتربية أجيال القيادة السياسية وتسخيرها لخدمة مصالحها هي السبب المباشر لعدم الاستقرار في العالم الإسلامي.

إن الاعتماد على الغرب والولاء له لم يفد العالم الإسلامي إلا تورطاً في المسائل، واضطراباً في المجتمع، وصراعاً بين الشعب والحكام، وقد تكررت هذه التجربة مع الغرب في بلدان كثيرة، أقدمها تركيا التي قبلت سائر مطالب الغرب، لكنها لا تزال تجتهد بدون جدوى للانضمام إلى الاتحاد الأوربي، رغم العبودية الكاملة لأوربا، وانقطاعها عن كل ما يمت إلى الإسلام بصلة رسمياً، والالتزام بالعلمانية السلبية أي المنافية للإسلام، وإعلان حكامها بأن دولتهم علمانية لا صلة لها بالإسلام. وقد دلت النتائج الأخيرة على تدخل العناصر الأجنبية في الانتخابات لتغيير اتجاه تركيا إلى إعادتها إلى وضعها الطبيعي.

وهذا مصير كل من فقد ذاتيته، وآثر التبعية للغرب، ومنحه الثقة الكاملة، وبعد ذلك لا يرضى الغرب بهذا الخضوع التام بل يزداد تدخله في شؤون البلاد، وتتغير ثقته بالقيادات السياسية، وشكه وريبته بالشعوب الإسلامية.

ويدل على ذلك موقف الدول الأوربية إزاء الأحداث في العالم العربي، وخاصة في الدول التي قامت فيها الثورات، فقامت هذه الدول بفرض نفوذها على هذه الدول لتحويل الاتجاه إلى ما يخدم مصالحها، وبذلك تتعارض مواقفها إزاء الدول التي تتعرض للاضطراب السياسي من ليبيا إلى سوريا.

ويتضح موقف الغرب إزاء العالم الإسلامي من تقرير مؤسسة راند الصادر في ٢٠٠٧/٣/٢٦م، فقد وصف التقرير العالم الإسلامي عدواً رسمياً جديداً لأمريكا والغرب، واقترح استراتيجية جديدة للتعامل معه، وتشتمل هذه الإستراتيجية على اختراقه من الداخل عبر المسلمين أنفسهم من أنصار التيار الليبرالي من المفكرين والأكاديميين وحتى بالتعامل مع التيارات اليسارية والاشتراكية العلمانية مع استعباد التعاون مع أي إسلامي سواء كان معتدلاً أو متطرفاً.

وصدق الله العظيم وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى "(البقرة: ١٢٠).

مصدرُ الاضطراب الفكري في العالم الإسلامي

نظامُ التعليم والتربية المستوردُ [١]

تتضارب آراء الباحثين في ظروف الاضطراب، وعدم الاستقرار، والتخلف في العالم الإسلامي، والتي تسبب القلاقل والصرعات، إلى حد سفك الدماء، ويقدم كل باحث تصوره، ولكن المصدر الأساسي لهذا الاضطراب يخفى على كثير منهم، وهو نظام التعليم والتربية في العالم الإسلامي كله.

كان وضع نظام للتعليم والتربية موضوع بحث لدى خبراء التعليم في العالم الإسلامي منذ مدة طويلة، لأن التعليم في المدرسة هو العامل الثاني المهم في صياغة الذهن وتعيين سلوك الإنسان وموقفه، وأجريت عدة تجارب في هذا الصدد، ومن الخطوات التي اتخذت ؛ تحديث المدارس الإسلامية بإدخال العلوم المعاصرة، وتغيير منهج الدراسة، والنظام التعليمي، ولكن هذه التجربة التي قامت بها الحكومات لم تكن مثمرة، ولم تأت بنتيجة إلا بسلب هذه الجامعات الإسلامية الكبرى قوتها وميزتها، وإضعاف فعاليتها، فكانت العلوم الدينية والتربية الإسلامية ضحية هذه الإصلاحات، كما تأثر نظام التربية الإسلامية، ففقدت كثير من مثل هذه المدارس التي اختلطت فيها العلوم، وامتزج فيها الأساتذة الذين يحملون أفكاراً وميولاً متعارضة، فقدت شخصيتها الإسلامية، وحميتها الدينية التي كانت تتميز بها.

---

[١] المجلد: ٥٧، العدد: ٤، نوفمبر ٢٠١١م.

أما تجربة إدخال علوم دينية في المدارس العصرية ؛ فهي أيضاً لم تكن مجدية ، لأن جو هذه المدارس والتربية العامة فيها ، وموقف الأساتذة وتأثير العلوم العصرية التي تقوم على الفكرة المادية ، لا يساعد على إحداث شعور ديني ، ولا يقوم بتنمية الوعي القومي ؛ لأن هذه المدارس تتبع كلياً النظام المستورد للتعليم والتربية ، وتحاكي المدارس في البلدان الأجنبية ، والأساتذة الذين يتولون التدريس فيها يحملون طبيعة التقليد للأساتذة الغربيين.

والتجربة الثالثة في هذا الصدد كانت إنشاء مدارس ثانوية حيث يتربى الطفل في جو التربية الإسلامية ، ويغرس في ذهنه الولاء للإسلام ، ويعرف بمبادئ الإسلام ، والعلوم الدينية ، ثم ينتقل الطفل إلى المدارس العامة للدراسات العالية والعليا ، وقد ترسخت في ذهنه المثل الإسلامية وكانت هذه التجربة مفيدة إلى حد ما ، وكانت مثمرة ، وقد أجريت هذه التجارب في مدارس البلدان غير الإسلامية ، وكانت لها نتائج حسنة ، إلا أنه لا يستبعد أن يؤدي الالتحاق بالمراحل العالية والعليا في الجامعات العصرية العلمانية للفكر الذي نشأ الطفل عليه في المرحلة الأولى من التعليم ، لأنه يختلط بزملائه الذين لم تتهيأ لهم فرص مماثلة ، ويعيش في جو الحرية ، وقد يختلط بالجنس الثاني ، ويشترك في برامج ثقافية ملهية ، ويدرس أفكار الملحدين ؛ فيتأثر بالجو الجديد ، ويأخذ أفكاراً جديدة من الأساتذة الكبار ، فيحدث تغير في موقفه ؛ ولو بتحفظات ، والفكرة الأخرى هي تربية المتعلمين في المدارس العصرية تربية دينية في معسكرات ، أو أنظمة دينية تلقى فيها دروس دينية ، وقد كان لهذه التجربة أيضاً تأثير فعال ، فقد كسبت حركة

الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ والجماعة الإسلامية، والحركات الدينية الأخرى في الدول الإسلامية عدداً من العلماء والباحثين، وأثرت على تفكيرهم ويشاهد تأثير هذه الحركات في مختلف الجامعات للعلوم الغربية، والذين يتأثرون بالأنشطة الدينية والدعاة والمصلحين بصفة شخصية وهم أكثر تحمساً للدين من المتخرجين في المدارس الدينية.

وبعد هذه التجارب التي كانت نافعة جزئياً، وكانت مسئولة عما يشاهد من الصحوة الإسلامية وماصدرت من مؤلفات قيمة في عرض الإسلام، وفي نقد الحضارة الغربية، ومعالجة القضايا المعاصرة، هناك حل آخر، وهو أكثر الحلول نفعاً وتأثيراً.

هذا الحل يتوقف على الحكومات الإسلامية، وهو تبنى الفلسفة الإسلامية للتعليم في المدارس الإسلامية، وجعل التعليم تابعاً لها، فإن لكل نظام للتعليم فلسفة، فللدول الاشتراكية فلسفة تدور حول العقيدة الاشتراكية، والدول المسيحية والرأسمالية أيضاً، تتبع فلسفة للتعليم، ولإسرائيل فلسفة، فلماذا لا تكون للدول الإسلامية فلسفة خاصة للتعليم، تتبع في كل مرحلة من مراحل التعليم، وتطبق على الأسس العلمية والحياة.

إن هذه الفلسفة تنبع عن تصور الإسلام عن خالق الكون والإنسان والحياة، ينظر فيها إلى الإنسان كأشرف المخلوقات وخليفة الله في الأرض، وأنه عبد لخالقه القدير العليم، السميع البصير، الذي خلق الأرض والسماوات، وهو مصرف الأمور، وأن الأرض وما فيها من آيات الله، خلقت للإنسان، وأن الإنسان مسئول أمام خالقه.

إن الإنسان المثالي في نظر الإسلام هو المؤمن الصالح المصلح الذي يسخر القوى الكونية والمادية، والأسباب والوسائل المهيأة له، وعقله وعلمه الذي وهبه الله تعالى؛ لخدمة الإنسان، ويوجه مساعيه لإقرار العدل، ومكافحة الظلم، وإقرار حاكمية الله، وهو في أوج قوته، وسلطنته وسيادته، وتسخيره للقوى والأسباب، مؤمن بربه، خاضع له، مؤمن بالآخرة، ساع لها، مقر بضعفه، رحيم بالإنسانية، وبالأمم الضعيفة، حام للحق، يستخدم كل قوته وجهوده، ومواهبه لخدمة الإنسانية وتكوين المجتمع الصالح، وإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وقاف عند حدود الله والقرآن وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه هو المشكاة لحياته، وقد اتخذ مثل هذا الموقف الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون في عصورهم، وباتخاذ هذا الموقف إزاء العلم أنجب التاريخ الإسلامي خلال ألف سنة عظماء وقادة، وفلاسفة، صنعوا التاريخ وغيروا مجرى الحياة، فكانوا قادة العالم، وقد تغير هذا الموقف، واتجه العالم الإسلامي إلى تبني نظام التعليم الغربي والتربية الغربية، فتغير اتجاه المسلمين إلى الأمام، وساد عليه ذهن التقليد والتبعية للغرب، وحدث صراع فكري وعلمي وتضارب في مسار الحياة والسلوك. وقد أشار إليه مفكر غربي اللورد كرومر:

"إن المجتمع المصري في مرحلة الانتقال والتطور السريع، وكانت نتيجته أن وجدت جماعة من أفرادهم "مسلمون" ولكنهم متجردون عن العقيدة الإسلامية، والخصائص الإسلامية، وإن كانوا "غربيين" فإنهم لا يحملون القوة المعنوية، والثقة بأنفسهم، وإن المصري الذي خضع للتأثير الغربي، فإنه وإن كان يحمل الاسم

الإسلامي، لكنه في الحقيقة ملحد، وارتيابي، والفجوة بينه وبين عالم أزهري لا يقل عن الفجوة بين عالم أزهري وبين أوربي".

وتولى هذا الجيل الحكم في معظم البلدان الإسلامية كمصر وسوريا والعراق ولايزال تلامذة هذه المدرسة الغربية يتولون الحكم، فيقهرون شعوبهم ويستبدون بهم، وتساندهم الدول الأوربية وتؤمن بقاءهم في الحكم، وتقر سياستهم وقد وقعت ثورات ولكن الذين تولوا الحكم في الثورات التي وقعت في الخمسينات وبعدها كانوا أنفسهم من المتخرجين في معاهد التعليم الغربي.

إن العلم مهما ارتقى وتوسع جزء يسير من العلم الحقيقي، وهو قابل للتغير، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، فلا ينظر المؤمن إلى المعلومات بأنها قطعية، وأما ما ثبت من الوحي فهو العلم الحقيقي ولا يتغير، إن هذا التحول في الموقف إلى العلم يجب أن يتقرر في نظام التعليم كالخطوة الأولى.

إن للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية؛ وهو باطن هذه العلوم والروح السارية في الكتب، فالعلوم التي أنشأها الإسلام وصاغها في قالبه، قد سرت فيها روح الإيمان بالله، والتقوى والخشية، والفضيلة، والإيمان بالآخرة، والعلوم التي وضعها علماء اليونان أو رتبوها، اشتملت على تخميناتهم وظنهم، وتصورهم للحياة والكون اللاإنسان، وعلى غرارهم العلوم التي دونتها أمم أوربا بعد الثورة على الدين، والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها؛ قد سرى فيها الإلحاد، والجمود، والإيمان بالماديات والمحسوسات فقط، وقلة التقدير لما لا يأتي تحت الحس والوزن والعد والتجربة، وما لا تحصل له لذة، أو نفع محسوس في

الإخلاص، وسرت هذه الروح في علمهم وفلسفتهم، وأدبهم وشعرهم، وقصصهم وتمثيلهم.

وإذا بقيت هذه العلوم على حالها كما ألفت، فإنها لا تنشئ إلا العقل المادي، والطبيعة الإلحادية، والنفعية، وهي الطبيعة التي تسود اليوم على المثقفين الذين يستفيدون من هذه العلوم ولا تتاح لهم فرصة التربية الدينية والخلقية، وما لم يستطع العالم الإسلامي التقدم في هذه العلوم والنبوغ فيه، يحتاج إلى تهذيب هذه العلوم وتنقيحها وصياغتها صياغة تلائم الأمة الإسلامية، والمناطق التي تدرس فيها، فإن عدم رعاية المعتقدات الأساسية والميول الفكرية والطبيعية للأمة يوجد صراعاً فكرياً.

كذلك ثقافة المدرس الذي يقتدي به الطالب ويأخذ منه منهجه للحياة إذا كانت مغايرة للمنهج الإسلامي، والتربية العائلية فإنها توجد تناقضاً في ذهن الطالب، فإذا وجد الطالب أستاذه ومربيه يقلد الحضارة الغربية في مأكله ومشربه، وملبسه، وفي أنشطة حياته الأخرى، ويعظم عظماء أوربا على عظماء تاريخه وأمته، ويقلد الأفكار الأوربية، ويحببها إلى النفوس ويذكر العالم الأوربي بإجلال تتأثر به عقليته غير الناضجة، وإن التأثر في مرحلة النمو العقلي يكون عادة تأثراً عميقاً كالنقش على الحجر، بل يصبح جزء من الطبيعة، فلا يكفي تهذيب المناهج وحدها إذا كان موقف العلم ومنهجه منهجاً غير إسلامي، ولا يكون فيه إيقان وإيمان بالتصور الإسلامي، ولا تكون البيئة التعليمية والجو الثقافي المحيط بالمدرسة الذي يتنقل فيه الطالب منسجمة مع التصور الإسلامي للحياة، ويوجد في مثل هذا الجو، تعارض في ذهن الطالب لأنه يتعلم في بيئته

وأسرته ما لا يجده في الدرس ويصادف أفكاراً ومناهج في أقوال مدرسيه وحياتهم، وجو مدرسته غير جو بيته وأسرته.

إننا في حاجة ماسة إلى نظام تعليمي إسلامي تربوي، في الروح والوضع، والسبك والترتيب فلا يخلو تدريس كتاب من الكتب التي تعلم مبادئ اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية والتكنية، أو الآداب والفلسفات من التوجيه الديني، وأن يكون موقف الأساتذة والمعلمين والموجهين منسجماً مع الفكر الإسلامي، وتتهيأ بيئة لتنمية هذا الوعي وتغذيته، إذا أردنا أن ينشأ جيل يفكر بالعقل الإسلامي ويكتب بقلم مسلم ويحمل عاطفة إسلامية، ويحرص على خدمة للوطن والملة بإخلاص.

العالم الإسلامي عالم الأزمات[1]

من فضل الله تعالى على المسلمين، أنهم يملكون أخصب الأراضي في العالم، وأهم المواقع جغرافياً، ودينا قيماً، وعقيدة موحدة، وشريعة تشمل الحياة كلها، وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس؛ تفرق بين المنكر والمعروف، وأُمِرت بتحكيم الشريعة في أمور الحياة كلها، وجعل تحكيم الشريعة، وحلّ القضايا في ضوء تعاليمها شرطاً للإيمان."فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [النساء: ٦٥].

فالقرآن والسنة مصدران رئيسيان لمعرفة أحكام الشريعة، والأوامر والنواهي، وحلِّ قضايا الحياة في ضوءهما، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ".

وفوق ذلك وهب الله المسلمين قوة هائلة تغنيهم، وتتكفل مطالب حياتهم، وهي طاقة بشرية لها تاريخ في البطولة والشجاعة، والصبر وتحمُّل الأذى، وبذل النفس والنفيس، والفداء في سبيل الخير والشرف، والإباء والشهامة، ويشهد التاريخ بذلك؛ فقد سيطر المسلمون بفضل هذه الخصائص والمميزات على مساحة شاسعة من المعمورة، وحكموا بالعدل، وعاشت الأمم في ظل سيادتهم بعزة

---

[1] المجلد: ٥٩، العدد: ٧، فبراير ٢٠١٤م.

وكرامة، ودام هذا العهد عهد غلبة المسلمين وسيادتهم ألف سنة، قاوموا فيها الحملات الصليبية والتارية، وواجهوا أزمات وتحديات فكرية وسياسية وعسكرية وعقدية، وخرجوا منها منتصرين بقيادة وإرشاد المصلحين المفكرين والقادة العسكريين الغيارى على دينهم.

وكانت للمسلمين هيبة ورعب في النفوس حتى في أصعب الظروف وأخطرها، وكانت لهم عزة وكرامة.

وجاء عهد الاستعمار الغربي، وسيطر على معظم بلدان المسلمين، وفرض نظامه التعليمي والتربوي الذي كان مقصده إخراج شرف الانتساب إلى الإسلام والاعتزاز بتعاليمه، والثقة بوعد الله ونصرته، والاعتماد على مصادر الشريعة، والاعتزاز بتاريخ الإسلام المجيد، وبثّ الشكوك والشبهات في المصادر، وتحريف التاريخ الإسلامي، والشخصية الإسلامية، وتصوير الإسلام كمصدر عنف وإرهاب وظلم بفرض تاريخ مزور، وساد هذا النظام في عهد الاستعمار، وسخرت به نفوس الأذكياء والصلاحيات والكفاءات التي تتولى القيادة والريادة في المستقبل، وتشهد بذلك وصايا وتعليمات المعلمين الذين كانوا مبشرين في العصر الأول من غزو أوربا الفكري الذي بدأ بانتشار المدارس التبشيرية في العالم الإسلامي.

وكانت مصر أول فريسة لهذا الغزو، وأكثر تأثراً بذلك؛ لأن الاستعمار ركز على مصر؛ لأنها كانت كنانة الإسلام، وقلعة الإسلام، وقد واجهت مصر الحملات الصليبية، وانتصرت فيها حتى اضطر "نيبولين" إلى الخروج من مصر.

كان هدف الاستعمار أن يخرج جيل من المتعلمين المسلمين

من أهل الكفاءات، لهم أسماء إسلامية ولكن اتجاهاتهم معادية للإسلام، وقد أشار إليه الشيخ أبو الحسن الندوي فيقول: " رجع أكثر هؤلاء الشباب المسلمين (الذين تعلموا في أوربا) طليعة الفكر الغربي، ودعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وتصوراتها، وقد صور "اللورد كرومر الذي كان أكبر رائد إلى تغريب مصر، الجيل المصري الجديد الذي نشأ في أحضان التعليم الجديد، وآمن بسيادة الغرب وفضل حضارته ومبادئه تصويراً صادقاً دقيقاً، فيقول:.

"إن المجتمع المصري في مرحلة الانتقال والتطور السريع، وكانت نتيجته الطبيعية أن وجدت جماعة من أفرادهم "مسلمون" ولكنهم متجردون عن العقيدة الإسلامية، والخصائص الإسلامية، وإن كانوا "غربيين" فإنهم لا يحملون القوة المعنوية، والثقة بأنفسهم، وإن المصري الذي خضع للتأثير الغربي، فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامي، لكنه في الحقيقة ملحد وارتيابي، والفجوة بينه وبين عالم أزهري لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهري وبين أوروبي".

وظهرت آثار ذلك في كتابات أدباء مصر وكتابها؛ الذين دعوا دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية، واتخاذها مثلاً أعلى في الحضارة والاجتماع، وكانت مصر تزداد انطباعاً بالحضارة الغربية في كل يوم، وتتجه إلى الغرب اتجاهاً مستمراً، حتى كادت تصبح في الطبقة المثقفة والأرستقراطية صورة من الحياة الغربية، ويصور تأثير هذا النظام التعليميِّ الكاتبُ المصريُّ المعروفُ الدكتور طه حسين، كما يصور بلده تصويراً غريباً، ويقول في كتابه المشهور: "مستقبل الثقافة في مصر":

"حياتنا المادية أوروبية خالصة في الطبقات الراقية، وهي في الطبقات الأخرى تختلف قرباً وبعداً من الحياة الأوروبية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد، ومعنى هذا أن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية، إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية".

"...وحياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوروبية خالصة، نظام الحكم عندنا أوروبي خالص، نقلناه عن الأوروبيين نقلاً في غير تحرُّج ولا تردُّد، وإذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية، فإنما نعيبها بالإبطاء في نقل ما عند الأوروبيين من نظم الحكم وأشكال الحياة السياسية".

"والتعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه، وضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص، ما في ذلك شك ولا نزاع نحن نكوِّن أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوروبياً لا تشوبه شائبة".

ويقول:

"إن من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين".

وعلى هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم، ومشاركة الغربيين في جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم، فيقول:

"...أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوِّها ومرِّها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب".

"وأن نشعر الأوروبي بأننا نرى الأشياء كما يراها، ونقوم الأشياء كما يقومها، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها".

لما خرج الاستعمار تولى الحكم في العالم الإسلامي رجال نشأوا في ظل هذا النظام التربوي، ولم تنشرح قلوبهم للإسلام رغم كونهم من المسلمين فاستبقوا سائر النظام الذي ورثوه، وبوساطتهم بقي حكم الدول الغربية وخاصة الدول المستعمرة على البلاد، وفرضت على البلاد سياسة قهر وجبر رغم الاستقلال، كما حدث في الجزائر التي قدمت أغلى النفوس، وقاد حركة التحرير العلماء المجاهدون، وعرفت ببلد مليون شهيد، وخرج جيش فرنسا مكرهاً، ولكن فرض على البلاد حكم اشتراكي، وورث الحكم من كان معادياً لدين الشعب الجزائري وطبيعته.

وحدث ذلك في تونس حيث فرض حكم عسكري مغاير لرغبات الشعب المسلم، وهكذا في الدول الأخرى، فكانت النتيجة أن حدث صراع بين الشعب والحكام، ولا يزال مثل هذا الوضع قائماً.

وآخر مثال لذلك ما حدث في دول الثورة العربية حيث قدمت الشعوب تضحيات للتخلص من حكم العسكريين، وكان في الدوافع إلى ذلك، قيامُ حكم شعبي إسلامي، ولكن لم تتحقق هذه الرغبات، بل أعيدت عقارب الساعة إلى الوراء، فيستمر الصراع، وتحدث خسائر في الأرواح والممتلكات، رغم مرور مدة على حدوث هذه الثورات.

إن التعبير الصحيح لهذا الوضع هو فرض حكم الأقلية الغربية على الأغلبية الوطنية، وهذا الوضع هو سبب الأزمات في العالم الإسلامي، ولا نهاية لهذا الوضع إلا عودة الوضع الطبيعي،

وهو تولّي ممثلي الأغلبية المسلمة الحكم، ولا يتحقق ذلك إلا بتغيير نظام التعليم والتربية في البلاد الإسلامية كلها، وتطبيق نظام يتطابق مع متطلبات الشعب المسلم ورغباته وعقائده، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي فيقول: "حل المشكلة ـ مهما تعقد وطال واحتاج إلى الصبر والمثابرة ـ ليس إلا أن يصاغ هذا النظام التعليمي صوغاً جديداً، ويلائم بعقائد الأمة المسلمة، ومقومات حياتها، وأهدافها، وحاجاتها، ويخرج من جميع مواده روح المادية، والتمرُّد على الله، والثورة على القيم الخلقية والروحية، وعبادة الجسم والمادة، وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى الله، وتقدير الآخرة، والعطف على الإنسانية كلها". ويقول:

"ولا سبيل إلى التخلُّص من هذا الوضع غير الطبيعي، وغير الضروري، إلا قلب هذه الأوضاع التعليمية رأساً على عقب، وصياغتها صياغة جذرية جديدة، وهي قضية العالم الإسلامي الكبرى، وضرورته القصوى، ونداء الوقت، وفريضة الساعة".

أسباب خلفيات الأزمات في العالم الإسلامي[1]

إن المسلمين في العالم كله يواجهون مشاكل، ومشاكلهم داخلية وخارجية، وقد أصيبوا بهذه المشاكل بسلوكهم ومنهج حياتهم، وكثير من هذه المشاكل ترجع إلى عهدهم الماضي الذي قضوه تحت الحكم الأجنبي الذي كان قادته يحملون الحقد والكراهية؛ بل العداوة بالنسبة إلى المسلمين في ضوء تجربتهم مع الحكام المسلمين في عهد غلبتهم، وفي ضوء الأفكار التي بثَّها المؤلفون الغربيون في كتبهم عن الإسلام والمسلمين وعرضهم للتاريخ الإسلامي، وقد رسخت هذه العداوة والكراهية في نفوسهم.

كانت النقطة المركزية لهذه الأفكار أن الإسلام بصلاحيته لكسب القلوب، وكونه المنهج الكامل للحياة، وصلاحيته في الانتشار، خطر على الأديان الأخرى، ويدل على ذلك الشعور بيان أصدره الفاتيكان أن الإسلام ينتشر بسرعة فائقة رغم الوسائل المكدسة والطاقات الكبرى التي تبذل من قبل الإرساليات المدعمة بالوسائل المادية، ويدل على ذلك ارتفاع نسبة المسلمين في الدول الأوربية نفسها، وفي أمريكا حيث يوجد اليوم ملايين من المسلمين بعد أن كانت نسبتهم الصفر في الماضي، وفي إسبانيا حيث بذلت قوة منظمة لإبادة المسلمين والقضاء على آثار التاريخ الإسلامي والحكم الإسلامي وطمس معالمه كلياً، تزيد اليوم نسبة ملحوظة في المسلمين.

---

(١) المجلد: ٦٢، العدد: ٢، مايو ويونيو ٢٠١٦م.

هذا الخوف من الإسلام طبيعي على أساس التجربة، ويتصاعد هذا الشعور بالخوف بالتقارير الصحفية التي تنقلها وسائل الإعلام عن اعتناق عدد كبير من أصحاب الفكر والعلم للإسلام بعد دراسة الإسلام دراسة منصفة وخاصة دراسة السيرة النبوية ودراسة القرآن الكريم دراسة أوصلتهم إلى الاعتقاد بأن الإسلام دين عدل، ونظام كامل صالح للحياة، والرسول صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ؛ لا نبي السيف والعنف، ومن هذا الواقع يظهر تقصير المسلمين أنهم قصروا في عرض الإسلام ونشر تعاليمه في غير المسلمين وخاصة في اللغات الأوربية.

والواقع أن الإسلام دين وحدة ورحمة، وفيه تعاليم واضحة لحرمة الإنسان وحقوقه الأساسية، ويحدث التصوير الموحش للإسلام ووضع المسلمين في مختلف بقاء العالم وحشة ونفوراً في القلوب، وتساعد في هذه الدعاية تصرفات بعض الأفراد والهيئات والجمعيات التي ترتكب أعمال العنف لسوء فهمها لتعاليم الإسلام أو بإيعاز وتدبير من أعداء الإسلام.

وأكبر تقصير في هذا صدر من الذين درسوا في الجامعات الأوربية، وتعلموا لغاتها، ودرسوا الكتب المؤلفة بأقلام المستشرقين والمفكرين الغربيين، ففتنوا بمؤلفاتهم، وحملوا أفكارهم إلى بلدانهم، سوى نسبة ضئيلة من طلاب العلم الذين أدوا واجبهم خلال اللقاءات، فقاموا بتصحيح أفكارهم.

وقد اعترف عدد من الذين زاروا الدول الأوربية أنهم واجهوا في المجتمع الأوربي كراهية للإسلام، وعداوة للمسلمين، وعلى الأقل سوء فهم، وقد ذكر ذلك سيد قطب عندما زار أمريكا لدراسة نظام التعليم فيها، وذكر الموقف المعاكس للإسلام

والمسلمين في كتابه، ونقل ذلك في مقالاته التي نشرها في الصحف، فقامت ضجة كبرى ضده.

تقصير العلماء المسلمين في هذا الصدد تقصير زاد في موقف الأوربيين المعادي، فقد ورثوا هذه العداوة من أسلافهم، يستند هذا العداء على تغذية آبائهم، والكتب وما تنشره وسائل الإعلام ضد الإسلام والمسلمين.

والسبب الثاني أوضاع المسلمين في العالم الإسلامي والمجتمع الإسلامي وواقع الحياة المعاصرة، وقد أبرز مساوئ هذا الواقع الكتاب المسلمون أنفسهم في كتبهم، كان منهم مخلصون أرادوا بذلك معالجة القضايا، وكان منهم المفتونون بالحضارة الغربية الذين اختاروا هذا الموقف موقف عرض مساوئ المجتمع الإسلامي ونسبتها إلى الدين الإسلامي، ومحاسن الحضارة الغربية لتحبيب الحضارة الغربية إلى النفوس.

ويلاحظ كل من يدرس الكتب التي ألفها ويؤلفها الكتاب الغربيون عن الإسلام والمسلمين، هذه الطبيعة: طبيعة كراهية الإسلام والمسلمين، وكونهم خطراً على الحضارة الغربية؛ بل على أوربا بكاملها.

لقد تصاعد هذا الشعور بكون الإسلام والمسلمين خطراً ليس لأوربا بل للعالم كله، بآثار النهضة في المسلمين في العالم كله، بتأثير المفكرين الإسلاميين والحركات الإسلامية التي قامت بهذا التفكير، وصدرت كتب على المنهج العلمي لتفنيد مزاعم الكتاب الغربيين، وفضح سلوك الحكام الغربيين مع العالم الإسلامي وخاصة الازدواجية في السلوك واختيار مقاييس متعارضة في ميادين السياسة والاقتصاد والسلوك، وقد ظهرت هذه المعايير المتضاربة في

العصر الأخير وتظهر في الأمم المتحدة والمحاكم الدولية ومواقف الدول الكبرى إزاء قضايا العالم الإسلامي.

وقد صرح عدد من قادة السياسيين في أوربا وأمريكا عن هذا الخوف عن انتشار الإسلام وتصاعد نسبة المسلمين في السكان، وأكثر صراحة المرشح لرياسة أمريكا ترامب الذي لا يترك فرصة للهجوم على الإسلام والمسلمين، وفي مثل هذه الطبيعة للخوف من الإسلام والعداوة له واعتباره خطراً للأمن العالمي لا يتوقع من زعماء القوى الكبرى أن يسهموا في إقرار السلام والأمن في المناطق الإسلامية، بل من الطبيعي في مثل هذا الجو للعداوة أن يفكر كل زعيم في أسباب حدوث مشاكل، بل إيجاد إمكانية حلها، ويركز قواه في حل مشاكل تواجه المسلمين أنفسهم.

لقد اختارت بعض الحركات الإسلامية مقاومة العداوة بالعداوة، ولكن هذا المنهج أدى إلى تكثُّف العداوة وتعقُّد القضايا، وأدى إلى خسائر في الأرواح، وتدمير للبلاد ما لا يوجد نظيره في التاريخ المعاصر، ورغم هذه الخسائر والتدمير لم يتحرك قلب إنساني بل تزداد القضايا تعقداً، بل أصبحت سلامة الدول الإسلامية ووحدتها عرضة للخطر بنوايا التقسيم الذي يزيد الوضع صراعاً وتحارباً بين مختلف الفرق وجهات العمل الإسلامي، وتفرُّق كلمتهم وتشتُّت شملهم.

إن سائر وسائل العلم والمعرفة والإعلام التي مصدرها الغرب أو المتأثرون بالفكر الغربي تسلط اليوم الأضواء على الظروف ظروف الاضطراب والصراع وما يسمى بالإرهاب من قتل وتدمير وتفجيرات، ونسبنها إلى الإسلام.

لقد انقسم العالم الإسلامي الذي كان وحدة إلى دول بل إمارات وقامت الدول الاستعمارية لحماية مصالحها بتوسيع

الخلافات ونشرها بين هذه الدول وقصرت هذه الدول قواها ووسائل السياسية لمزيد من تقسيم هذه البلدان وإيجاد خلافات بين مختلف طبقات الأمة الإسلامية، ولم يبذل جهد علمي إسلامي لمعالجة هذا الوضع، فإن خريطة العالم الإسلامي خلاف العالم الغربي تتغير كلياً وتتوسع دائرة الخلافات والصراعات بينها.

لقد آن الأوان لينهض القادة المسلمون والمفكرون الذين في حيازتهم وسائل العلم والإعلام والسياسة وأن يعالجوا قضايا العالم الإسلامي، ويدرسوا خلفياتها، ويدرسوا وسائل إخراج الأمة الإسلامية المتناحرة في الدول الإسلامية، ويتحمل الحكام المسلمون أنفسهم في الدول الإسلامية الكبرى التي لها صلات مع الدول الغربية مسئولية مواجهة الوضع الراهن بالتدخل عملياً في محاولات حل المسائل المعقدة والتحرز عن الدول الكبرى.

إن هذا الوضع الذي له خلفية تاريخية للعداوة للإسلام لا يتغير إلا بتغيير الفكر وذلك بعقد لقاءات وملتقيات لإزالة المخاوف لتغيير العداوة، وقد ذكر القرآن هذا فقال: "وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" [فصلت: ٣٤ -٣٦].

وقال عز وجل: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (النحل: ١٢٥ -١٢٨)

تأثير الحركات السياسية على الحركات الإسلامية[1]

تختار الدعوات والحركات والمذاهب المعاصرة لكسب أنصارها وتحقيق أهدافها المنشودة وسائل متنوعة ؛ أهمها كسب التأثير العام بالدعاية، والهجوم على منافسيها كلامياً، وهي أكثر الوسائل انتشاراً، وأكثرها نفعاً، لتأييد حركة، أو معارضة حركة أخرى، وتسعى لذلك إلى الحصول على خدمات أصحاب الأقلام والخطابة، لأن القلم واللسان وسيلتان مؤثرتان للاقناع العقلي، أو تحبيب الانتساب إلى نظرية أو عقيدة، أو مبدأ يختلف عن عقيدة أخرى، أو مبدأ آخر، وتحصل هذه الصلاحيات بدون صعوبة لهذا الغرض، للكسب المادي الذي يحصل بتأييد مذهب، أو سياسة نظام، ومعارضة غيره من المذاهب والنظم، فيبحث أصحاب المطامع والمطامح المادية في بعض الأمور عن الموارد والمكاسب من مختلف الجهات، وينتهزون فرصة صدام بين فرق مختلفة، بعرض خدماتهم، أوتسخير صلاحياتهم.

نال القلم واللسان في هذا العصر أهمية أكثر من أهمية السيف ؛ لأن القلم واللسان أبلغ أثراً من السيف، ويصلان حيث لا يصل إليه السيف، فأصبحت الدعاية اليوم مهنة كاسبة، وتعتمد المذاهب والأفكار والنظم المعاصرة عليها، أكثر مما تعتمد على تنقيح الأفكار وتهذيبها، وتحقيق أهدافها، وتأمين سلامة

---

[1] المجلد: ٥٨، العدد: ٨، مارسن ٢٠١٣م.

شعوبها، وتربية أبنائها، فتحتاج إلى من يتقن مهنة الدعاية لمكافحة دعاية غيرها.

وبالإضافة إلى الدعاية ثَمَّ وسيلة أخرى، تلجأ إليها الحركات والنظم المعاصرة لتسترعى الانتباه، وتفرض وجودها، وهي الاختطاف والاغتيال، يكونان عملياً وفكرياً، وهما مشاهدان اليوم كلاهما في مختلف أنحاء العالم، وهما وسيلتان تتخذهما العناصر المتطرفة للغلبة على المعارضين، أو الضغط على مطالبهم.

أما الاختطاف العملي فهو معروف، والاختطاف الفكري هو نقل إنسان من آرائه وأفكاره وتصوراته إلى آراء وأفكار أخرى، بإغراء مالي، أو بتهديد جسماني، أو بغسل الدماغ، كما يقول التعبير المعاصر، وتحدث هذه العملية كثيراً حينما يتحول مفكر أو قائد في أيام قليلة إلى أفكار معارضة، ويتبناها بقوة، كما كان يتبنى أفكاراً أخرى في السابق، وهذا العمل هو عمل الاختطاف الفكري، وتشاهد مثل هذه القفزات الفكرية أو التحويلات الفكرية في كل من يغريه مال، أو لافت مادي آخر.

ويحدث ذلك في النظم الديمقراطية حيث يغير أعضاء حزب ولاءهم لحق حزب آخر، رغم الخلافات في المبادئ والمناهج.

وينقسم الاغتيال إلى سياسي وطبيعي، الاغتيال الطبيعي هو التصفية الجسدية، والاغتيال السياسي هو تشويه الشخصية، وتلويثها بطريق تنكشف به الملامح الشخصية الأصيلة، ويتحقق ذلك أيضاً عن طريق منصب كبير، أو مسئولية كبرى تفوض إلى تلك الشخصية الكبيرة، أو بإشراكها في وزارة، أو منحها عضوية في البرلمان، أو رئاسة لهيئة، أومنظمة ذات أهمية، ويشاهد حدوث

مثل هذه التحولات في شخصية سياسية في السياسة المعاصرة في النظم الديمقراطية.

يواجه الاختطاف بأي نوع من النوعين، والاغتيال السياسي والطبيعي، من يحمل أفكاراً وعقائد خاصة، ويتمسك بها ويعض عليها بالنواجذ، أما التجارة والاحتراف بالأفكار فيتعرض لهما من لا يحمل أفكاراً ثابتة، بل ينتقل من أفكار إلى أفكار، ومن عدو إلى صديق، ومن مدافع إلى محارب، باعتبار المصالح، والفكر المادي، ويكتسب أصحاب هذا الفكر من جميع المصادر، وتتضخم مواردهم لكونهم بمثابة الوكلاء، والسماسرة، ويتوفر عدد السماسرة في هذا العصر، وبتوافرهم أصبح العلم والثقافة والقدرة الكتابية والبيانية وسيلة فعالة للكسب في هذه الأيام.

وإذا وجد هذا الاتجاه في الماديين والعلمانيين والإباحيين، فهو شيء عادي، ولا يتوقع من هؤلاء المحترفين والمتكسبين شيء آخر، ويوجد أمثالهم في كل عصر ومصر وخاصة في هذا العصر؛ لأن السياسة المعاصرة تقوم على الانتهازية التي تحمل الأهداف فيها الأولوية، وهي المقصودة، أما الوسائل فهي خادمة لها، وكل وسيلة تؤدي إلى الأهداف وسيلة نافعة، ومعقولة، وهذه هي الطريقة المتبعة في السياسة المعاصرة وتقلدها الأحزاب السياسية.

أما ما يستغرب، فهو تأرجح رجال الفكر والمبادئ والدعوات أو الحركات الإصلاحية ورجال الإرشاد الديني وميلهم إلى الدعاية الكاذبة، وإثارة العصبيات، واختطاف شخصيات أو اغتيال الشخصيات التي لا تخضع لفكرتهم سياسياً وفكرياً، وتشويه سمعة القادة للأحزاب والحركات الأخرى، أو وقوعهم

أنفسهم فريسة الدعاية الكاذبة، أو الإغراء المادي وانصرافهم إلى عمل يقوم على التفكير المادي، بدون تحفظ خلقي لتحقيق الغايات، فإنه اتجاه لا تقبله التعاليم الدينية، ولا يأتي بنتائج إيجابية، ولا يقيم سرحاً دينياً ولا إسلامياً، فإن الغايات التي يعتقد قادة الحركات الإصلاحية أنهم يحققونها باحتواء فكرتهم، أو فرض شخصيتهم، لا يتحقق بهذا الطريق، بدون إلحاق الضرر بالفكر الديني، لأن هذا الطريق يؤدي إلى إثارة الشحناء والبغضاء، ويحدث الاضطراب الفكري، والصراع، ويزيح الثقة في القيادات بصفة عامة، ويبث الشكوك والشبهات في أذهان المسلمين عن طبيعة العمل، وتفقد بذلك الحركات الإسلامية أثرها ونفوذها.

لقد عم أخيراً هذا الاتجاه الخطير، بمحاكاة الحركات والأفكار والدعوات المادية ومناهجها، ومناهج قادتها في الحركات والدعوات الإصلاحية التي تدعو إلى إصلاح النفوس، وإصلاح الأوضاع، وصرف الناس عن المادية إلى الروحانية، ويقبل قادتها على الوسائل المادية، وتكديسها، وعلى النفسية المحاربة والدعائية، وحشد وسائلها، وتصعيد العصبيات الحزبية الضيقة ورفض كل ما يجري في خارجها من حركة وعمل ودعوة، ونفي أي خير في قادة الحركات الأخرى، وإشاعة مطاعن، وإثارة شبهات في أعمالها بدون تحقيق أو دليل، فيصير كل عامل متهماً ومشوهاً، وبذلك يهدم فريق ما يبنيه الآخر، ويحدث بذلك صراع فكري، ويتخذ بعض المتشددين موقفاً ليس معارضاً لفريق آخر؛ بل موقف محارب، وينتقل هذا الاتجاه في عمل وحركة إلى كتابة وخطابة يعتدي فيها الكاتب أو الخطيب

على صاحب فكر آخر ويتهجم عليه، فتحار بذلك الجماهير المسلمة ومن يقبل الإسلام.

إنه عمل لا يليق بطبيعة العمل الإسلامي، بل بطبيعة العمل الإصلاحي، ولا يبني هذا العمل؛ بل يهدم وينقض؛ لأن العمل الإسلامي يعتصم بحبل الله، وبأجر الآخرة، وبرضى الله، والتمسك بنهج السلف الصالح " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "(التوبة: ١٠٥)، " وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى " (النجم: ٣٩ -٤٠) أما الحركات المادية فإنها تعتصم بحبل الناس، وبالأجر المادي، وبالغلبة، والبروز في أعين الناس.

حالة المجابهة في العالم الإسلامي[1]

يواجه العالم الإسلامي اليوم حالة المجابهة ؛ مجابهة بين الحكام والشعب، ومجابهة بين مختلف طبقات الشعب، حتى المجابهة بين العاملين لأهداف مشتركة، ولهذه المجابهة بواعث ومحركات، منها إن الذين يشغلون مناصب رسمية، ويستولون على مواضع النفوذ، وهم مسلمون ؛ لأنهم ينحدرون من الأسر الإسلامية، فيقرون بالإسلام كدين، ويمارس بعضهم الشعائر الدينية ولو بصورة غير منتظمة، وليسوا من الجاحدين، بل أنهم يعتزون بالإسلام وبتاريخ الإسلام، ولا يخجلون في انتمائهم إلى الإسلام والانخراط في سلكه، وإذا أسيىء إلى الإسلام في حضرتهم في مجلس من المجالس لغير المسلمين، أو جحد جاحد فضل الإسلام أمامهم، ثارت حفيظتهم، وفارت غيرتهم الكامنة.

إن هذه الطبقة من الأمة الإسلامية نشأت في مدارس غير المدارس الإسلامية ؛ بل نشأ بعض رجالها في البيئات المغايرة للطبيعة الإسلامية، أومعاقل الأعداء، ولا يظهر من مظاهرهم وأسارير وجههم، وملابسهم، ومنهج معيشتهم، أنهم أصحاب الغيرة الإسلامية، وأن قلوبهم حية نابضة بالعاطفة الإسلامية، وكثير منهم لا يعرفون من الإسلام شيئاً، وإنما قرأوا ما كتبه أعداء الإسلام، ويحمل صورة سيئة للمجتمع الإسلامي، وتفسيراً شائناً

---

[1] المجلد: ٥٨، العدد: ١٠، مايو ويونيو ٢٠١٣م.

للتاريخ الإسلامي، ولم تتح لهم فرصة للالتقاء بالعلماء، والوعاظ، أو من يثقفهم بالثقافة الإسلامية، منهم رجال القانون، والسياسة، والتعليم، والإعلام، والأدب، والفن، والرياضة، ويختلط هؤلاء الرجال بأعداء الإسلام أكثر مما يختلطون بأصدقاء الإسلام بحكم مناصبهم ومستوياتهم، وصلتهم بالناس، في النوادي، ومواضع التسلية، وفي أثناء تأدية الأمور الرسمية.

يعيش هؤلاء الأشخاص في حالة شبه انفصال عن البيئة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، في النشأة والتعليم، والثقافة، والمهنة، والتجربة، ولكن رجال هذه الطبقة ينتمون إلى الإسلام والمسلمين، ويسعى كثير منهم إلى التزام بالتقاليد والشعائر الإسلامية في الحياة الخاصة، والولادة، والزواج، والسلوك مع الناس، ويحضرون أماكن العبادة في مناسباتها وتأدية الشعائر الدينية حيناً بعد حين، وينضم إلى مثل هذه الطبقة كثير من الحكام، والوزراء، والمسئولين الكبار، فإنهم إذا ذكروا الإسلام كدين ذكروه باعتزاز وشهامة، ولا يشعرون بأي مركب نقص في ذلك الانتماء؛ بل يقولون إنهم مسلمون، وقد قال مرة أحد رؤساء بلد عربي كان له دور في ضرب الحركة الإسلامية، إنه رئيس مسلم لبلد مسلم، ودافع رئيس بلد عربي عن الإسلام في بلد أوربي، ودعا إلى تغيير في بلد أوربي، ودعا إلى تغيير موقف أوربا إلى الإسلام.

ولا شك أن هذه الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية ضعيفة في اتباع التعاليم الإسلامية، وعاطفتها الإسلامية ضعيفة، وتحمسها للإسلام ضعيف، وصلتها بالمجتمع الإسلامي منقطعة، ومعرفتها بالإسلام ناقصة؛ لكنها لا تثور على الإسلام ومثله، ولا ترغب في الانسلاخ

عن رباطه، إلا نسبة ضئيلة، وهي معدودة على البنان، وتعلن خروجها عن الأسرة الإسلامية، ومثل هذه النسبة موجودة في كل بلد، وفي كل مجتمع، ولا يخلو المجتمع الإسلامي من أمثال هؤلاء الأشخاص الخارجين الذين يجحدون تعاليم الإسلام، فيبررون مثلاً الخمر والربا، وطريقة العبادة الإسلامية، وطريقة الدفن بعد الموت، لكنهم يحملون الأسماء الإسلامية، ويحتلون مناصب عالية.

إن هذا الانتماء إلى الإسلام يوجد بنسبة، مهما كانت ضئيلة، حتى وفي قلوب من يعيش حياة الفجور والفسق والإجرام، وتنتابه حالات الإنابة والتوبة والخجل، وخاصة في آخر مراحل العمر، وله مشاهد وأمثلة كثيرة.

رغم صلة هذه الطبقة بالإسلام وتأييدها له في قلبها وذهنها، تنبري هذه الطبقة لمقاومة الحركة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وتتخذ، إذا وجدت فرصة له، أقسى الإجراءات لقمع هذه الحركة، والبطش برجالها، وتتعامل معهم معاملة الأعداء، بل معاملة أقسى وأشد من معاملة الأعداء رغم صلتها بالأسرة الإسلامية، ويشاهد هذا الموقف المعكوس في المحاكم والمخابرات ومؤسسات الأمن حتى التعليم والإعلام، فيشعر صاحب العاطفة الإسلامية بالغربة في بلده.

إذا درسنا أسباب هذا التناقض وجدنا عوامل كثيرة كعامل الخضوع لسيادة الدول الأوربية المعادية للإسلام والعمل الإسلامي، والعوامل السياسية، وهناك عامل آخر مهم للغاية، وهو منهج أصحاب العمل الإسلامي وأسلوب معالجة القضايا والسلوك مع المسئولين.

كان منهج السلف في العصور الماضية استنكار الشر، والدعوة إلى الخير، وكان يجري عمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتطبيق هذه الدعوة في الحياة الفردية والاجتماعية، وبتكوين الذات تكويناً إسلامياً، وكانت الدعوة توجه بلطف ولباقة وحكمة، بدون الإساءة إلى أحد، على المنهج النبوي الشريف، "فما بال أقوام.." بدون تسمية أو إشارة، بطريق لا يثير الإحن والضغائن، ولا يثير النفوس، ولا يمس كرامة الإنسان.

ولكن إذا درسنا منهج الخطباء المعاصرين في خطب الجمعة، والدعاة في مواعظهم، والكتاب الإسلاميين في كتاباتهم، وجدنا التلويح والتصريح؛ بل الاعتداء على كل من لا ينضم إلى صفوفهم، ولا يقتصر هذا الأسلوب على نقد الحكام؛ بل يتعدى إلى نقد رجال الطبقات العليا وأصحاب المناصب العالية؛ بل يزداد خطورة عند ما يتعدى إلى نقد عامل إسلامي آخر، يسعى كلاهما للعمل الإسلامي، فيجهر بشكوكه وظنونه وشبهاته حول شخصيته ومنهجه، ويولب عليه رجال الحكم.

وقد تصعد هذا الاتجاه في الشباب والمتحمسين للدعوة الإسلامية الذين يسيئون الظن أكثر مما يحسنون، وقد منيت الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر بهذا التسرع في الحكم، وفقدان روح التصبر، والإيثار، والتعاون في عمل الخير، ونكران الذات، والتواضع، والتفهيم والإقناع، والتبشير، ففقدت تأثيرها على النفوس.

لقد غلب في نفوس بعض العاملين للإسلام الظن أن منهجهم هو المنهج للدعوة، وأنهم هم المخلصون وحدهم، وأن الحكم الإسلامي لن يقوم إلا إذا قام بأيديهم، وأن غيرهم خارج عن

الإسلام، ولا يوثق به ولا يستعان به، فيبدأون التهجم على من لا يتفق معهم ويتضخم بذلك عدد أعدائهم وينضم رجال الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية إلى صفوف الأعداء.

إن فشل الدعاة في كسب ثقة رجال الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية وعدم صلاحيتهم للتوصل إلى أي اتفاق أو توافق معها، والقدرة عليها في المرحلة الأساسية الحاسمة وقطع الصلة بها، والهجوم عليها والصراع الداخلي بين مختلف قادة الفكر الإسلامي، يشكل العنصر الأساسي للأزمة التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم، وهي أزمة باكستان، وبنغلاديش، ومصر، والجزائر، وسوريا، وليبيا، وتونس، وأماكن أخرى، يجري فيها الصراع بين الحكام والدعاة.

وازداد هذا الانشقاق والانفصال بخوض بعض الجماعات الإسلامية الانتخابات ولجوئها إلى المعارضة السياسية رغم الخلافات الشديدة بين مبادئها ومبادئ هذه الأحزاب، واتخاذها مواقف سياسية ودعائية فأصبح الدين بذلك نظرية سياسية.

لقد تطور هذا الوضع المتناقض المشتبك في كثير من الدول الإسلامية، وإذا دققنا النظر وجدنا أن هذا الوضع يرجع إلى أكثر من عوامل دينية أو عقدية، ويبدو كأن الحكام المسلمين ينظرون إلى رجال الحركة الإسلامية كزعماء المعارضة السياسية، أو كمدبري الثورة ضد النظام القائم، سواء كان هذا النظام ديموقراطياً ومنتخباً، أو كان ديكتاتورياً، أو ملكياً، وينظرون إلى رجال الحركة كزعماء سياسيين يسعون إلى حرمانهم من كراسيهم واجتثاث أصولهم.

إن الحل الوحيد لهذا الوضع يكمن في صلاحية الدعاة لاستغلال أي انتماء إسلامي، أو ميل إلى الإسلام في الطبقات التي تشغل المناصب العليا، وتحمل مقاليد الحكم، والتأثير عليها ذهنياً، وفكرياً وعاطفياً وقومياً، وإقناعها بأنهم لا يريدون إلا إقامة الحق والعدل، وإصلاح الأوضاع، وأن يختاروا طريق كسب الشعبية لهم، والرأي العام، وثقة الجماهير.

لقد أفسدت المجابهة بين الحركة الإسلامية ورجال الحكم والتناقض والصراع بين العاملين عمل الدعوة الإسلامية كثيراً، وقد فشلت هذه الاستراتيجية التي اتخذها بعض مفكري الحركة الإسلامية في العصر الأخير، أنهم وصفوا كل من لا ينضم إلى صفوفهم طاغوتاً، وكفروه واستباحوا دمه، وانشغل بعض المتحمسين أو المنتمين إلى الجماعات الإسلامية بأعمال العنف والإكراه التي تتعدى إلى قتل من له صلة بالنظام القائم، أو حركة أخرى، فيجري بذلك سفك دماء الأبرياء، ولا تخلو من هذه الأعمال الطائشة المساجد والمدارس، ويستهدف العلماء ورجال الأمن، والمصلحون، والموظفون من المخلصين والمتبعين للدين والمواظبين على واجباتهم، واستغل المعارضون للحركة الإسلامية هذه الأعمال الطائشة التي يقوم بها بعض المتحمسين الذين ليس من اللازم أن تكون نشأتهم نشأة دينية، أو تكون لهم صلة وثيقة بالحركة الإسلامية، بل يكونوا مندسين فيها، أو مغلوبين على أمرهم، ووضعت بذلك قيود على تحركات الدعاة وفرض الحظر على كتابات كثير من العلماء الذين ليس لهم في الواقع صلة بمثل هذه الحركات، فكان الدين الخالص هدفاً وغرضاً للمعارضين،

يستغله أعداء الإسلام، ولذلك يجري تطويق العمل الديني في كثير من الدول الإسلامية.

إن لموقف العداء للحركة الإسلامية أسباباً كثيرة، وعوامل عديدة، ومن هذه العوامل موقف بعض العناصر التي تظهر انتماءها إلى الحركة الإسلامية، فيجب على الدعاة، والمصلحين إعادة التفكير في موقفهم ومنهجهم لكيلا تتطور المجابهة التي نشأت ليس بين الدعاة والحكومات فحسب؛ بل بين الدعاة والمثقفين بالثقافة العصرية، وهم الذين يديرون دفة الحكم، لا تتطور هذه المجابهة إلى حرب أهلية، أو تدخل مباشر للدول الأجنبية.

العالم الإسلامي من الاعتصام إلى الانفصام[1]

قد يبدو من التهكُّم والسخرية أو السلبية أن يقال إن العالم كله باستثناء الدول القوية يعيش في حالة شبه احتلال واستعمار، ومنه العالم الإسلامي، ويبدو هذا القول غريباً؛ بل يعتبر جهلاً بالنسبة للتاريخ المعاصر، وتقدم خريطة العالم الجديدة أمثلة هذه الدعوى، وتقدم أسماء للدول التي استقلت خلال المنتصف الأخير من القرن المنصرم، كما تدل عليه قائمة أعضاء الأمم المتحدة التي هي دول ذات سيادة مطلقة في التعبير السياسي، لها أعلام، ولها برلمانات ووزارات، ولها سفارات، ويفتخر المسلمون أنفسهم أن عددهم في العالم قد بلغ أكثر من ألف مليون نسمة، وإن نسبتهم في عدة دول تبلغ تسعين في المائة.

ولا شكٌ أن كثرة العدد في النظام الديمقراطي الذي تعدُّ فيه الأصوات، ولا ينظر فيه إلى الهويات ولا الكفاءات ولا الصلاحيات، والقدرات المعنوية، له الوزن والقوة السياسية والحق في تقرير مصير البلاد وتعيين جهتها، وتخطيط سياستها ونظامها، لقد كان حقاً من مقتضى هذه النسبة العددية أن يكون للدول التي تزيد في العدد صوت ووزن في ميزان قوى العالم فضلاً عن وزنها في سياسة البلاد الداخلية، وأن يكون لها نفوذ سياسي في العالم، وتأثير في مجرى أحداث العالم، ولكن رغم هذه النسبة المرتفعة

---

[1] المجلد: ٦٢، العدد: ٥، أكتوبر ٢٠١٦م.

يعاني سكان العالم النامي معاناة كبيرة، وتتضخم مشاكلهم وضغوطهم، ولا يسمح لهم بممارسة حقوقهم، وحريتهم ولا ترعى مصالحهم.

إن الذي يدرس الواقع في العالم الإسلامي يفاجأ بظاهرة غريبة في سائر الدول الإسلامية، لا يجد لها نظيراً في التاريخ، إنه يصادف الأغلبية الإسلامية غريبة في بلادها، ومنعزلة عن سياستها، ولا يجد لها تمثيلاً في أي مجال من مجالات الحياة، ولا يجد لها حقاً في تكوين سياسة البلاد، وفرض رغباتها، وعلى العكس من ذلك تتحكم في سياستها أقلية فكرية لا صلة لها بالشعب إلا القومية، ويجد خطأ فاصلاً بين طموح الشعوب الإسلامية ونوايا القيادات السياسية، وتتسع هذه الفجوة بين رغبات الشعوب المسلمة وطموحها ومطامع قياداتها السياسية، فإن الشعوب المسلمة حريصة على التمسُّك بالإسلام، والثقافة الإسلامية، وتعميق الذاتية في كل قطاع من قطاعات الحياة، من التفكير إلى التخطيط، ومن التعليم إلى الإعلام، ومن العبادة إلى الاقتصاد، ليكون المجتمع نموذجاً للحياة الإسلامية، وتعبيراً وانعكاساً لرغبات الإنسان المسلم التي ظلت مجمدة خلال العهد الطويل للاستعمار.

وذلك ما يعترف به المحللون والساسة المطلعون في أوربا الذين يتابعون الاتجاهات الشعبية في العالم الإسلامي، ويبدون بها مخاوفهم، ويدبرون ويخططون، ويوجهون الحكومات القائمة إلى مكافحة ذلك الاتجاه، وقد أجمعت التقارير الصحفية على تصاعد الصحوة الإسلامية في العالم كله، وانتشار الإسلام في الدول الغربية انتشاراً واسعاً، وأدى اعتقاد بعض المسئولين الذين درسوا

الإسلام وأدركوا سداد تعاليمه للعصر الحاضر إلى حد أن طالبوا بتطبيق الشريعة الإسلامية لمكافحة الاتجاه الإجرامي في المجتمع.

ولمنع هذا الاتجاه الذي أحدث في الغرب الشعور بالخطر الإسلامي المعروف بـ" إسلاموفوبيا" دبرت الوكالات الغربية مؤامرة لتفريق المسلمين على أساس الانتماءات المذهبية والفكرية، وتوجيه الناشطين إلى أعمال التطرف، ثم دبَّروا مؤامرة لوضع أصحاب أفكار منحرفة أو معادية للفكر الإسلامي في مواضع السلطة.

فإن القادة السياسيين الذين يحكمون البلاد بقوة السلاح ويتلقون أوامرهم من الدول الكبرى وكانت نشأتهم في المعاهد العلمية ومراكز التربية الأوربية، يتخذون مواقف تتعارض مع طموح شعوبهم، فيحدث بذلك صراع بين الشعب ونظام حكمه، ويعاني كل فريق منهما من عدم الثقة في الآخر، الأمر الذي يؤدي إلى تحركات مؤدية إلى مجابهة، فيشعر المسلم بغربة في وطنه، لأنه يرى من يمثله وينوب عنه، أنه لا يدين بدينه، ولا يحترم القيم والمثل التي يتمسَّك بها، ويواجه في بلاده مشاهد يأباها ضميره، ويشمئز منها، فيشعر باختناق بما يسمع ويقرأ، وبما تتجه بلاده إليه، وقد حمل ذلك كثيراً من أصحاب الضمير الحر على أن يغادروا بلادهم ويقتنعوا بالعيش في النفي طوعياً فارّين بدينهم وشرفهم، وليس عددهم بقليل، وليسوا من عامة الناس؛ بل هم أصحاب توجيه وكفاءات عالية تفتقر إليها بلادهم، لكي لا تقرع آذانهم كلمة نابية، وأعينهم مشاهد، تأباها ضمائرهم؛ لأنهم لا يملكون قوة ليغيروا المنكر، ولا حرية رأي ليعبِّروا عنه لتستريح به ضمائرهم.

فخلت البلدان من العقول النيرة الذين كان في إمكانهم أن

يحوِّلوا الصحوة الإسلامية إلى بناء كيانات إسلامية على أسس متينة صالحة، ثم أحدثت الدوائر المعادية للإسلام حوادث تؤدي إلى تفرُّق المسلمين، وإلى تحاربهم وتقاتلهم، وتدمير بلادهم بأنفسهم، وهذا هو المنظر العام في العالم الإسلامي كله الذي أصبح مسرحاً للقتال؛ يحارب المسلم أخاه المسلم، ويقتل المسلم أخاه المسلم، ويدمر بلده بنفسه كما جاء في القرآن الكريم "يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ" (الحشر: ٢).

إن ما يحدث اليوم في كثير من البلدان الإسلامية من أعمال القتل والسجن والنفي وقمع الأصوات الحرة، وما تواجه هذه البلدان من ظروف عدم الاستقرار، نتيجة مباشرة لخضوع هذه البلدان لأطماع الدول الأوربية ومطامع الحكام فيها، وولاء الحكام لقادتها.

إن هذا الوضع يحتاج إلى بذل جهود كبيرة من قِبَل قادة المسلمين المنتشرين في العالم كله أن يتَّحدوا ويدركوا خطورة هذا الوضع الذي يتطوّر إلى حالة حرب أهلية في العالم الإسلامي، وخاصة في الشرق الأوسط، ويبذلوا جهودهم لتوحيد كلمة المسلمين كما جاء في القرآن الكريم: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (الحجرات: ٩=١٠) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسى ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم"(رواه البيهقي في الشعب)

والمسلمون أمة واحدة " إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ " (الأنبياء: ٩٢) وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من العصبيات، وإن تصور القومية والوطنية والإقليمية والانقسام على أساس العصبيات، تصور مستورد من أوربا، وإن هذا التصور هو الذي أدى إلى انقسام المسلمين، وهم يشكلون وحدة مجتمعة كان لها وزن ورهبة في السابق، وقد غزت الأفكار الغربية العالم الإسلامي، فوزَّعتها إلى دُويلات وإمارات ومشيخات، واستغلت أوربا هذا الانقسام، وفرضت عليها حمايتها ووصايتها، وتستثمر الانتماءات الإقليمية المفروضة عليها لفرض سيطرتها عليها، فإذا لم يتحد المسلمون فإن العالم الإسلامي سيعود إلى عهد الحمايات والوصايات والانتداب، كما كان بعد انفكام الخلافة العثمانية، وقبل إيجاد وحدة عملية لا بدَّ أن تتخذ تدابير لإيجاد وحدة شعورية وفكرية، وبذل جهود لحل النزاعات القائمة بين وحدات مختلفة"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (آل عمران: ١٠٣) " وجاء في موضع آخر: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " (الأنفال: ٤٦)

الثورة تتمخض عن الثورة[1]

إن الإسلام دين طاعة لأولي الأمر، فقد ورد في القرآن الكريم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً" [النساء: ٥٩] وجاء في الحديث النبوي الشريف "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)" [رواه البخاري].

والإسلام دين الوحدة والتضامن، وهو دين اجتماعي، فيه حرية الفرد، ولكن هذه الحرية مقيدة بمبادئ، ولها ضوابط، وقد قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند توليه الخلافة: "أطيعوني فيما أطعت الله فيكم" وعلى هذا الأساس قامت الوحدة الإسلامية.

وقد تولى في التاريخ حكام دام حكمهم مدة طويلة؛ من الخلافة الأموية إلى الخلافة العثمانية، فكانت المهمة الأولى لهذه النظم الحاكمة وقاية الدولة الإسلامية من الغارات الخارجية، وبفضل هذه السياسة الحكيمة بقيت الدول المفتوحة في ظل الإسلام من القرن الأول إلى العصر الأخير كمصر والشام والمغرب وبلاد الفرس، وإذا حدثت فتنة قام هؤلاء الحكام بإحباطها.

وبهذه السياسة دام الحكم الإسلامي وبقي في أيدي المسلمين أكثر من ألف سنة، وإذا خرجت منطقة من المناطق الإسلامية من

---

[1] المجلد: ٦٠، العدد: ٢٠، أغسطس ٢٠١٤م.

أيدي المسلمين، خرجت لخيانة القادة، أوالتشاجر والتحارب في صفوف الحكام، أوتهاون الحكام في إقرار الأمن والسلامة، والذود عن حوزة الدولة، وفرض حكمهم، والعدل والإنصاف مع الرعية.

لقد كانت الخلافة العثمانية آخر نظام حكم إسلامي، يجمع بين قوميات وأوطان للمسلمين من العرب والعجم، وكانت لها صولة وجولة وهيبة على النفوس، وقد واجهت هذه الدولة مؤامرات ودسائس من الدول الغربية الناهضة، لكن نعرة القومية والوطنية شتت شمل هذه الدولة التي كانت آخر رمز للوحدة الإسلامية، والتضامن الإسلامي، وتفككت هذه القوة العالمية بالثورات التي قامت في أراضيها.

ولكن التاريخ يشهد أن هذه الثورات لم تكن إلا لقلب نظام وإقامة نظام بديل، وإنما أدت إلى حدوث ثورات تلت ثورات، ولم تستقر الأمور، وقد دعمت اللجوء إلى وسائل قلب نظام الحكم بالثورة، الثورة الاشتراكية التي اكتسحت أوربا الشرقية، ثم الصين، والهند الصينية، وفرض على إثر هذه الثورات نظام استبدادي للحكم، فرضت فيه القيود على حرية العقيدة، وحرية الفكر، والعمل، والعلم، والثقافة، وأممت الملكيات الفردية، وقام فيه نظام يشبه نظاماً فردياً رغم دعوى الديمقراطية، وفرض الحظر على العقيدة الدينية، ولكن لم يفرض الحظر على الإلحاد ومخالفة القيم الخلقية والدينية المتوارثة.

وتأثر العالم الإسلامي بهذه الثورة، فقامت فيه ثورات تولى العسكريون فيها الحكم بقلب نظام الحكم المدني، وأدت هذه الثورات إلى خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات، وتسلط على البلدان التي قامت فيها هذه الثورات، وتسيطر عليها الحكام الذين

اختاروا طريق الانتخابات المزورة لتبرير بقاء حكمهم، وامتد حكمهم ثلاثين أو أربعين سنة، ومردوا على حكمهم، وفي بعض البلدان تزاحمت الثورات؛ كان منها أفغانستان بعد ثورة داود خان، ثم سوريا والعراق والسودان والصومال التي تعاقبت فيها الثورات، وكل ثورة ألحقت بالبلاد كلها خسائر، وقد شهدت مصر وسوريا وبلاد أخرى سلسلة من الثورات.

لقد كان المسلمون أمة واحدة تحت نظام حاكم، وهم اليوم أمة انقسموا إلى دويلات وإمارات، وحكام ليس بينهم روح التعاضد والتراحم، ويظهر ذلك المنظر منظر الخلافات في مؤتمرات القمة، ويشهد العالم العربي الصراع، وبهذا التفرق والتشرذم خرجت هيبة المسلمين من النفوس، وتأثرت بذلك الأقليات الإسلامية في بلدان الأغلبية غير الإسلامية، وتأثر بها زعماء العالم، فغيروا موقفهم من العالم الإسلامي الذي كان له في السابق وزن ويحسب له حساب، وخاصة الشرق الأوسط الذي أغناه الله بالثروات.

إن المنظر اليوم في العالم العربي فضلاً عن العالم الإسلامي المتشتت في إمارات مختلفة، هو منظر التحارب والتقاتل بين صفوف المسلمين، ليس بين الحكام ورعيتهم؛ بل بين مختلف الفئات والطوائف للمسلمين، ليس بين السنة والشيعة؛ بل بين طوائف مختلفة للشيعة والسنة، وبين المعسكرات والجمعيات، حتى رجال الدين والحركات الدينية، لا يستثنون من هذه النزاعات، وكل فريق يلجأ إلى القوة، ويستخدم وسائل العنف، ويوفر لهم الزعماء المتربصون بهم الدوائر، الأسلحة والمعونات لنشر هذا الانقسام.

وقد كانت الحروب في السابق بين دولة ودولة، كما حدث

بين العراق وإيران، وبين العراق والكويت، والآن تجري هذه الحرب الطاحنة بين أفراد الشعب الواحد، والبلد الواحد، وبذلك يتصاعد عدد اللاجئين، ويرتفع عدد القتلى بالإضافة إلى ما يكلف استخدام الحكام لوسائل القمع والكبت والاعتقال والإعدام.

وتجري اليوم انتخابات الرئاسة في مصر وسوريا، والأغلبية من الناخبين في هذه البلدان محرومة من الاشتراك في الانتخابات، أو مضطرة إلى مقاطعة الانتخابات، ولا يزال الوضع في اليمن وليبيا والجزائر متأزماً، ولا يحل هذا الوضع إلا نظام حكم يرضي الجماهير من الشعب.

في مثل هذا الوضع المهين ينشأ في الذهن سؤال أليس في العالم الإسلامي المتحارب المثخن بالجروح، رجل يرشد إلى طريق النجاة من هذه البلبلة، وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا الطريق بقوله: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" [الحجرات: ٩ - ١٠]، فالإصلاح هو الطريق الأرشد "إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" [هود: ٨٨ - ٩٠]، "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ" [النساء: ١٢٨].

فيجب على القادة والساسة في مثل هذا الوضع معالجة طريق الإصلاح، وتخفيف حدة التوتر، واتخاذ وسائل لمنع سفك الدماء، وإخماد الفتنة، وذلك هو الطريق الإسلامي لحل المشاكل.

إلى حل قضايا المسلمين ومشاكلهم

قضايا المسلمين في العالم ومسئولية الدول الإسلامية[1]

يمر المسلمون بمحنة إثر محنة في مختلف أنحاء العالم ؛ محنة في الدول التي يعيشون فيها كأغلبية ، ومحنة في الدول التي يعيشون فيها كأقلية ، محنة ناتجة عن كوارث طبيعية كالمجاعة والسيول والزوابع والزلازل والهزات الأرضية وحوادث ، ومحنة بسبب الصراعات بين مختلف الفرق والطوائف الناشئة على أساس العصبيات العنصرية والإقليمية التي كان المسلمون أبعد الأمم عنها ، وحاربها الإسلام واقتلع جذورها ، ولكن المذاهب الفكرية المعاصرة والتربية الأوربية والحكم الأجنبي قد غرس بذور الشقاق في أرض المسلمين ، فأصيب المسلمون بأدواء الأمم الأخرى ، وهناك محن تنشأ بسبب الصراع بين الحكام وأفراد الشعب لقيام حكومات عسكرية جاءت إلى الحكم بالثورة في الخمسينيات بإسقاط الحكومات التي قامت بعد الاسقلال باسم إصلاح ما أفسدته النظم السابقة ، لكنها تحولت إلى حكم فردي بعد مدة ، وبقي حكامها في الحكم بالانتخابات المزورة ، وقامت بقمع حركات الإصلاح ، وكانت فريستها الحركات التي تمثل مشاعر الأغلبية الإسلامية ، فواجه قادة المسلمين صعوبات وشدائد من أسر وتعذيب ومطاردة لمن طالب منهم بإصلاح الظروف ، وفرضت قيود على حرية الرأي وعقوبات شديدة لمن خالف قوانين الإكراه ؛ فلا تطيب حياة المسلمين في

---

[1] المجلد : ٥٨ ، العدد : ١ ، يوليو وأغسطس ٢٠١٢م.

بلادهم في ظل هذه الحكومات التي تخضع لسيطرة الدول الأوربية المعادية للإسلام أو للأفكار والمذاهب المعادية للدين والأخلاق.

أصبح المسلمون مستهدفين للشدائد والمآسي في العالم كله سوى بضع دول تبدي اهتمامها بالإسلام والمسلمين، ومن المأساة الكبرى أن بعض دول العالم الإسلامي رغم النسبة إلى الإسلام والمسلمين تحاول إخفاء هذه النسبة، وتخجل في ظهور اتجاهها أو ميلها إلى الإسلام أو المسلمين، فإذا حدثت فتنة في أي بلد وكان عرضتها المسلمون أو إذا أهين الإسلام ومقدساته فلا تستطيع هذه الدول أن تعبر عن مشاعرها بصفتها دولة الأغلبية الإسلامية، ولا ترفع صوتها ضد المأساة التي يتعرض لها المسلمون؛ لأنها تخاف أن تتهم بانحياز إلى المسلمين أو الانتماء إلى الإسلام، وتعتبر رجعية بذلك، فتمر وقائع وتصريحات مهينة للمسلمين وللإسلام ومقدسات المسلمين بدون أن يكون لها وقع على نفوس قادة المسلمين، أو رد فعل، أو تأثير على السلوك مع المهاجمين على الإسلام والمسلمين، كذلك إذا تعرض بلد من بلاد المسلمين لاعتداء، أو لسياسة استبدادية، أو ظلم على الشعب المسلم، أو خطر لسلامة البلاد، أو لعقيدة سكانها، فلا يؤثر ذلك على موقف الحكام المسلمين، ولا يثير غيرة فيهم، فيعيش بذلك الشعب المسلم منقطعاً ومنعزلاً عن إخوته المسلمين في بلد آخر، وقد جاء في الحديث الشريف: " عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجلٌ يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال تحجزه ـ أو تمنعه ـ الظلم فإن ذلك نصره " (رواه

البخاري) و"عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" (رواه البخاري). و"عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"(رواه مسلم) وقد خلد التاريخ الإسلامي أمثلة للنجدة وإغاثة المظلوم، وقصة الحجاج بن يوسف الثقفي، وقصة المعتصم، والزنكي، وصلاح الدين من هذه القصص التي ظهرت فيها الغيرة الإسلامية، وتغير بها مجرى التاريخ.

إن هذا الوضع مسئول إلى حد كبير عن جرأة الأعداء على الإسلام والمسلمين فقد وقعت خلال بضع سنوات ماضية عدة مآسي، وكان المسلمون هدفاً رئيسياً لها وسكتت الدول الإسلامية على هذه المآسي، فازدادت قسوة أعداء الإسلام، وعلموا أنهم يتمتعون بحرية تامة في سلوكهم مع المسلمين، وقد كانوا يعتبرونهم أمة عالمية واحدة، فعلموا في هذا العصر ذي النزعة العلمانية والقومية والوطنية والاقليمية أنهم شعوب وجاليات إقليمية.

كان المسلمون قبل غزو القومية والوطنية والإقليمية في عزة وكرامة، وكانت لهم قوة ترعب العالم، فقد كان المسلمون في قلة قليلة في بعض البلدان؛ ولكنهم كانوا يعيشون في احترام، وكانت مصالحهم مصونة.

كان لا يتجرأ أحد أن يمسهم بسوء خوفاً من عواقب هذه

الإساءة؛ فقد تعرض المسلمون لمجزرة في طرابلس الغرب فقامت عاصفة في الهند، وتعرض المسلمون للمآسي في دول البلقان فهب المسلمون في الهند ودول آسيا وإفريقيا بإبداء العطف عليهم، ورفعوا أصواتهم ضد هذا الاعتداء، وتعرضت تركيا للهجوم الأوربي؛ فقامت حركة الخلافة في الهند، وهي من أقوى الحركات التي ظهرت في تاريخ الهند، وتولدت منها حركة تحرير البلاد من الحكم الإنجليزي، ويعترف بذلك المؤرخون في الهند، كذلك تعرضت بعض البلدان الإسلامية للاحتلال ففاضت قرائح الشعراء، وتحركت أقلام الأدباء، وألسنة الخطباء للتنديد بهذا الاحتلال، وعرض الغير من المسلمين نفوسهم للنجدة، فكان المعتدى يفكر ألف مرة في الاعتداء على المسلمين، وإذا حدثت حادثة وجدت قوة رادعة، فكانت هذه الحادثة مؤقتة ومحدودة وإقليمية.

لقد ضعفت أواصر الأخوة الإسلامية، وضعفت الحمية الدينية في هذا العصر، ولغياب هذا الارتباط بالمسلمين أصبح المسلمون في كل بلد منعزلين عن إخوانهم، وخرجت هيبتهم من النفوس، وصاروا كما جاء في الحديث الشريف: "كالشاة في الليلة المطيرة".

ملأ الإعلام الغربي العالم بالصراخ والعويل على ظهور الاتجاه الإسلامي في الجمهوريات الإسلامية ذات الأغلبية الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق، وأبدى مخاوفه بتصعد النزعة الدينية وما يتشكل في ذهنه من الخطر الذي يواجه الأقليات غير الإسلامية في هذه الدول، فتغيرت سياسة الانفتاح للإسلام في هذه الدول التي خرجت من قبضة الاشتراكية وعادت إلى سياستها القديمة لقمع الحركة الإسلامية حتى فرض القيود على الصلاة وتدريس القرآن الكريم.

وفي سوريا اليوم تستمر المجزرة البشرية والمأساة الإنسانية التي لا يوجد لها مثيل في التاريخ المعاصر، بالإضافة إلى السخرية والازدراء بعقيدة الأغلبية المسلمة المتمسكة بدينها، فقد كان بلد الشام حصناً من حصون الإسلام، وفي هذا البلد الإسلامي تثار نعرات الإلحاد والثورة على الإسلام علناً منذ أربعين سنة، والإعلام الغربي يغض بصره؛ لأن الذين يواجهون هذه المأساة ينتمون إلى حركة إسلامية، ولا تتجرأ دولة إسلامية على التدخل لوقف هذه المأساة، وما هو أسوأ منه أن منظمة الدول الإسلامية قد فقدت تأثيرها، بل وقع وجودها في مثل هذه الأوضاع، ذلك لأن كل بلد له مصلحة سياسية أو قومية.

إن الإعلام العالمي يثير ضجة إذا تعرض رجال الأقلية غير الإسلامية في أي بلد إسلامي لأي مشكلة؛ فيضخم الأحداث، وتوجه الدول الأوربية الضغط إلى هذه الدولة الإسلامية، ولكن الأحداث المؤلمة في مختلف أنحاء العالم والغارات المدبرة على المسلمين والمذابح التي تجري لإبادة المسلمين وتدمير مؤسساتهم لا تنال أي اهتمام او عناية فضلاً عن كلمة عطف وإبداء مشاعر إنسانية من دعاة الحضارة والحقوق الإنسانية.

إن الأحداث في سوريا وغزة لا تقع في مناطق منعزلة عن العالم، وإنما تقع على مشهد من وسائل الإعلام العالمي، ولكن الصحافة العالمية وأكثر من ذلك الأمم المتحدة التي تتحرك لمسألة دقيقة إذا أرادت الدول الكبرى، لا تبالي بهذه الأحداث المؤلمة التي تؤدي إلى معاناة ألوف من الأبرياء من تقتيل وتشريد وتدمير للممتلكات.

إن قصة اضطهاد المسلمين في الدول غير الإسلامية قصة مماثلة، إنها لم تعد قصة محاربة المسلمين، وإنما تجاوزت إلى محاربة الإسلام نفسه؛ فكان من واجب العالم الإسلامي أن يبدي رد فعله، ويعبر عن قلقه، ويتخذ وسائل دبلوماسية لإبداء مشاعره وأن يظهر الامتعاض بهذا السلوك في سياسته، وسلوكه ومعاملاته مع الدول التي تعتدي على ما يعتز به العالم الإسلامي من مثل، وعقائد ومناهج.

فإن نصرة المظلوم واجب إسلامي، ورفع كلمة الحق سمة للتعاليم الإسلامية، ويجب أن يكون ذلك شعار كل بلد مسلم.

مرحلة اختبار للقيادات الإسلامية وصلاحيتها لمواجهة الوضع ومعالجته[1]

إن الأوضاع التي يعيش فيها المسلمون في العالم كله ؛ سواء كانوا في قلة أو كثرة، أقلية أم كانوا أغلبية، تبعث على القلق، والهم، وتسوق الذين يحملون حساسية وانفعالاً زائداً، إلى الشعور بخيبة الأمل، والانهزامية، فيفقدون أعصابهم، ويأخذهم اليأس، وخاصة بعد الأحداث المؤلمة في البلدان الإسلامية التي شهدت الثورات الشعبية، وتكبدت خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات وظهر لأول مرة في التاريخ المعاصر الاتجاه الإسلامي وفوزه في كسب ثقة الشعب، ثم ارتدت الأمور، وأعيدت عقارب الساعة إلى الوراء، وعاد النظام السابق، وأجبرت الحركات الإسلامية على الانسحاب من ميدان القيادة، وفرض عليها الوضع السابق ؛ وضع القهر والكبت، والحرمان من الحقوق الشرعية، لكن الذين لهم معرفة بتاريخ الإسلام والمسلمين، يعرفون ما مرّ به المسلمون من محن وشدائد، ونكسات وأزمات، ثم أكرمهم الله به من عزة وكرامة وسيادة، وما حدثت في التاريخ الطويل من مؤامرات وخيانات، وما قام به القادة المخلصون والعلماء المصلحون، من جهود لرأب التصدعات والتغلب على الأزمات، وتوجت جهودهم بالنجاح والفوز، فخرجت الأمة من أزماتها منتصرة.

إن الذين يقارنون الأوضاع الحاضرة، بالأوضاع الماضية،

---

[1] المجلد: ٥٩، العدد: ٥، نوفمبر وديسمبر ٢٠١٣م.

تزيدهم هذه الأوضاع القاهرة إيماناً، وتبعث على العزم، وتزيد الثقة في سداد الإسلام، ويقيناً في أن النصر بيد الله، وأن العاقبة للمتقين، وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة بقوله: " وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا " (الأحزاب: ٢٢) إن تعوّدوا على التأمل والدراسة، والمصابرة في مواجهة الشدائد، والمخاطرة في سبيل تحقيق الأهداف العليا، ولم تكن نشأتهم في البيئة المادية، ولا يثور مثل هذا الإحساس بالإحباط في نفوس من يدرس تاريخ الإسلام، والمسلمين، ويعرف المراحل الصعبة التي مرّ بها المسلمون، والشدائد والاختبارات التي عانوا منها في تاريخهم الطويل، ولم يكن علمه محصوراً على مجرّد الانتصارات التي حققها المسلمون الأوائل، وفتح البلدان، وإنشاء دولة إسلامية قوية واسعة الأجزاء؛ بل يتعدى علمه إلى المراحل السابقة؛ مراحل المحنة والبلاء، وإلى فترات المحنة المتعاقبة.

إن الوقت ينقضي فيصبح لمحة خاطفة، مهما طال، واشتد على النفوس، وتطوي به التجارب المريرة، والمحن الشداد، لقد كانت الانتصارات التي يتمجد بها تاريخ المسلمين، ثمرة كفاح مرير، وجهاد طويل، كلّف كثيراً من النفوس الغالية، وخسائر فادحة، واشتمل على نكسات، وفترات قلق، وامتحنت فيها كفاءة المسلمين، وصلاحيتهم للمصابرة والمثابرة.

كان فتح القسطنطينية في ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) مثلاً نتيجة محاولات بدأت في القرن الأول، فقد حاصر المسلمون القسطنطينية إحدى عشرة مرة، واشترك في الحملات الأولى كبار الصحابة في مقدمتهم مضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو أيوب

الأنصاري رضي الله عنه، الذي توفي في حملة عام ٥٢هـ ودفن تحت أسوار مدينة القسطنطينية، وتوج بهذا النصر السلطان محمد الثاني الذي اقترن باسمه لقب "الفاتح". ولم يكن فتح القدس قبل ذلك بقرون، والذي حقّقه السلطان صلاح الدين الأيوبي إلا نتيجة لكفاح مرير طويل، وقد سقط القدس في أيدي الصليبيين في عام ٤٩٤هـ، وكان نصب عين الفاتحين المسلمين كعماد الدين، ونور الدين الزنكي أن يحرّروا القدس، وبذل جميعهم ما كان في وسعيهم لتحريره، وقد أنشأ نور الدين الزنكي منبراً لوضعه في بيت المقدس، بعد الفتح، وتجرّع المسلمون خلال أكثر من ٩٠ سنة لاحتلال القدس المرائر، وحاول الصليبيون تصفية المسلمين كلياً في المنطقة؛ ولكن تحقّق حلمُ تحريره في عهد السلطان صلاح الدين في عام ٥٨٣هـ، وأعيد تاريخه، ومحيت آثار العدوان، وأحييت معالم الإسلام.

لقد تعرضت مصر، والشام لحملات صليبية مركزة، وغلب الأعداء، لكن هذه الهزيمة التي لقيها المسلمون، كانت قصيرة، ثم عادت هذه المنطقة إلى سيادتها، لقد فرض الاستعمار الغربي على سائر البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً، وحاول طمس معالمها الإسلامية وإذابة ذاتيتها حتى القضاء على اللغة العربية، لكن انحسر هذا الاستعمار أخيراً، وكذلك الحكم الاشتراكي الغاشم الذي ساد في مصر والشام والعراق واليمن، انقضى عهده.

استغرقت حروب التحرير أكثر من خمسين سنة، وقدم المسلمون في هذه الحروب تضحيات جسيمة، وكان الاستعمار في عهده الطويل مكباً على إزالة كل ما يدل على مجد الإسلام، والقضاء على كل ما يمتّ إلى الإسلام بصلة، من تغيير الأسماء،

وتغيير مناهج التعليم، ونظام القضاء، والثقافة، وتغيير الخط، وقام بتربية وتشجيع العناصر المناوئة للدين، وتصفية العناصر الإسلامية لسلب هذه البلدان هُوِيَّتها الإسلامية، ولكن عادت هذه الدول كلها إسلامية، ولم يبق فيها إلا أذيال الاستعمار وحواشيه.

ولم يقدر الإعلام الغربي، والتعليم الغربي، والإدارة الغربية، والجيش الغربي، والمخابرات الغربية أن تغير هوية هذه الدول الإسلامية، بل نشأ الإسلاميون في جامعات الغرب، وكان من المصادفة الغربية أن كبار الدعاة المعاصرين والكتاب الذين يردون على الغزو الفكري الأوربي، هم من خِرِّيجي الجامعات الغربية، وكثير منهم نشأوا في أوربا نفسها، وقد كان كثير من الشباب قبل انتقالهم إلى أوربا للتعليم أو للعمل، غير متحمسين لدينهم، وغير متبعين لتعاليم دينهم؛ لكنهم صاروا متحمسين لدينهم، ومتبعين لتعاليم دينهم ومحتفظين بها، وبهم ينتشر الإسلام، وتوجد في هذه الطبقة صلابة إيمانية لا تقلّ عن الذين نشأوا في البيئات الإسلامية التقليدية، بل يفوق كثير منهم الناشئين في البيئات التقليدية في الحماسة الدينية والبطولة وروح التضحية للدين.

إن هذا الاتجاه أصبح ظاهرة منتشرة في أوربا، وهو مشاهد في تكاثر المساجد، والمراكز الإسلامية، والمكتبات ودور النشر التي تساعد على اعتناق العقلاء ورجال العلم للإسلام، ويتضح ذلك بما تنقله الصحف والمجلات من تقارير الإقبال على الإسلام في الأوساط العلمية، وقبول شخصيات للإسلام بعد أن عاشت في جو الكراهية للإسلام زمناً طويلاً.

لقد حاربت أوربا الإسلام، وسخرت قلوب الكثيرين، من

أبناء الأمة الإسلامية بنظام تبشيرها، ووسائلها المادية، وادعى أحد زعمائها أنه أعدّ نظاماً للتعليم يسلخ المسلمين من هويتهم الإسلامية، فتكون أجسادهم ووجوههم كمسلمين، ولكن أذهانهم وأفكارهم تكون خاضعة للمنهج الأوربي.

سلكت أوربا سياسة فرض سيطرتها على العالم الإسلامي عن طريق الحكام المسلمين والمثقفين الغربيين الذين يديرون دفة الحكم، ويستولون على النظام، وكانت سياسة هؤلاء الحكام قمع الحرية الدينية، وكبت حركات العمل الإسلامي، وفرض الحظر على الأحزاب السياسية ذات الاتجاه الإسلامي، وكان اعتقاد قادتها أن العاطفة الإسلامية أصبحت مخمودة، ولكن الثورات التي اكتسحت هذه الدول الخاضعة للحكام العسكريين، أبرزت الاتجاه الإسلامي في الشعوب الخاضعة للحكم الاشتراكي، وظهر هذا الاتجاه جلياً في الانتخابات، وقد أيدت الدول الغربية هذه الثورات بوصفها الربيع العربي، ولكن وصول أصحاب الاتجاه الإسلامي إلى الحكم أجبرهم على قلب مجرى الأحداث، وإعادة سياسة فرض حكام يقومون بقمع الحركة الإسلامية، ولو تطلب ذلك فرض حكم عسكري، وقد اختارت هذه الدول هذه السياسة في الصومال وفي الجزائر وفي مالي أخيراً حيث وصل أصحاب الاتجاه الإسلامي إلى الحكم، فتدخلت الدول الغربية عسكرياً.

إن الاستيلاء العسكري على بلد من البلدان الإسلامية أو الانتصار العسكري في معركة من المعارك أمر تكرر في التاريخ الإسلامي مراراً، ومثل هذا الاستيلاء القاهر أمر مؤقت، لأن هذه السياسة تؤدي إلى ردّ فعل، وتثير العقول والمشاعر والعواطف، فتتغير

الأوضاع ولو بعد مدة من الزمن، مهما طال القهر والكبت، وإن من الحكمة أن تغير أوربا والخاضعون لها استرتيجيتها ويدركوا هذه الحقيقة، فإن المتعاملين معها المنبثين في صفوف المسلمين، لا يستطيعون قهر شعوبهم وكبت حريتها مدة طويلة، وهذا هو الدرس الذي يجب أن يستفاد من الاتجاهات التي تلت الثورات في العالم العربي، ولكن مجرى الأحداث الأخيرة يستدعي إلى أن تفكر أوربا في سياستها وتعترف بتنامى الشعور في الشعوب الإسلامية، وتقر بأنها لم توفق في تغيير طبيعة العالم الإسلامي، وأن الإقبال على الإسلام نال شعبية، وإن هناك اتجاهاً جديداً يجب أن يعالجه العقل المسلم، ويستعد لمواجهته بحكمة وذكاء، وروية، بدلاً من التهور والتسرع والانفعال.

وكذلك يجب في الأوضاع الحاضرة على الحركات الإسلامية أن توجه القوى إلى ما هو أرجح في المعالجة لهذه الأوضاع وأنسب، كما يجب اللجوء إلى التدبر والتخطيط، والحلم والأناة في عرض الإسلام، ومعالجة القضايا المستجدة، وغلبة روح التشاور والتفاهم، وكسب ثقة الشعب وإزالة لما تروجه وسائل الإعلام من خطر وصول أصحاب الاتجاه الإسلامي إلى الحكم، والوحدة، ودراسة طبيعة الأمور واتخاذ سبل متكافئة لها.

"أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (العنكبوت: ٢ -٥) "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ "(الشعراء: ٢٢٧)

المسلمون أمة عالمية تملك وسائل العطاء والإرشاد[(١)]

يعيش المسلمون في العالم وضعاً غريباً، لا يقاس بوضع أمة أخرى من نواح مختلفة، فإنهم يواجهون التهديدات والمطالبة بتغيير منهج حياتهم، وتعديل نظام تعليمهم وتربيتهم، والاعتداء على مقدساتهم، رغم كونهم في أغلبية في أكثر من خمسين دولة، وأقلية كبرى في عدة دول كبرى في العالم، ورغم وجود المواقع الجغرافية والثروات المعدنية الهائلة في أراضيهم والطاقة البشرية المتدفقة، وتميُّزهم عن غيرهم من الأمم بروح التضحية والفداء وحب الموت، ما لا يوجد في غيرهم، إنهم يسيطرون على مواقع استراتيجية، تؤثر على نظام المواصلات والنقل العالمية، وتشكل نقط مراقبة فعلية في العالم، لا تستغني عنها الدول العالمية الكبيرة، ويملك المسلمون حقوقها تاريخياً، وقد فشلت المحاولات التي بذلتها الدول الاستعمارية في الاستيلاء عليها مباشرة، لأن استيلاء بلد أجنبي يثير حفيظة بلد أجنبي آخر، ويثير مطامعه، ويُوْجَدُ بين الدول الطامحة العالمية تنافس شديد، وبهذا التنافس الدولي بقيت كثير من هذه المواقع الاستراتيجية محمية.

وقد نجح الغرب بعض النجاح في السيطرة على موقع استراتيجي، وهو الموقع الواقع في فلسطين؛ بإقامة نظام يتعامل معه، ويحقق مطامعه ولبعد المسافة بينه وبين هذا النظام الذي رباه وقواه، يخشى على مستقبله، فإنه مهما قوى ساعده، محاط بكثافة

---

(١) المجلد: ٥٩، العدد: ٩، أبريل ٢٠١٤م.

سكانية تعتبره أجنبياً جائراً مغتصباً، وتوجد في داخل البلاد أيضاً أغلبية تناضل لاستعادة بلدها، ولتأمين سلامة هذا الجيب الذي أنشأه الغرب لخدمة مصالحه، تبذل الدول الغربية وفي مقدمتها الدول الكبرى ما في وسعها من قوة، ووسائل مادية، لوقاية هذا الجيب من اكتساح القوى المحيطة به، وتسعى إلى تعطيل تلك القوى وتجميدها.

إن هذه المواقع الاستراتيجية التي توجد في بلدان المسلمين، وهي كثيرة منتشرة في العالم، برية وبحرية، والقوة الكامنة تجبر الدول الكبرى على وضع العالم الإسلامي في منظورها دائماً، ومنحه الأولوية في سياستها وتخطيطها، وتحمل هذه الدول الكبرى أطماعاً وتُوجَدُ بينها أحقاد، وخلفيات صراع، أدت إلى حروب طويلة لا تنسى، وهي خالدة في الذاكرة، فلا تستطيع دولة منها أن تبذل جهدها للاستيلاء عليها كلياً، إلا بواسطة الحكومات القائمة محلياً والاستعانة بها، وستبقى سيادة أوربا غير المباشرة على هذه المواقع ما دامت الحكومات في المنطقة متعاونة معها، ولذلك تخشى الدول الأوربية الصحوة الإسلامية، لأنها إذا قويت فإنها ستصل إلى الحكام، وقد أبدت الصحف الأوربية، قلقها بعودة الإسلاميين إلى الحكم في بعض البلدان العربية، ومن أجل حفاظها على مصالحها أنها تحارب الصحوة الإسلامية، ويتجلى هذا القلق في معظم التعليقات التي يكتبها المعلقون الأوربيون، وأكثر من يخاف هذه الصحوة، إسرائيل، وقد بلغ القلق ببعض المعلقين إلى حدّ أنهم دعوا إلى التوصل إلى هدنة في هذه الحرب المعلنة ضد الصحوة الإسلامية، والتصالح مع المعقولين في قياداتها، والمساومة معهم حول المصالح الأوربية، لأنها تشعر بأن

حربها تزيد الإسلاميين قوة وصلابة وتدرباً، وتثير حقداً في النفوس وروح الانتقام منها.

ولكن هذه الأصوات المتوازنة لم تجد نجاحاً معقولاً من زعماء السياسيين الذين يواصلون سياسة ضرب الحركة الإسلامية، وضرب القوى المتعاونة معها برفع هتاف الإرهاب الموهوم.

إن هذه الوسائل التي تختارها بعض الدول الأوربية لمضايقة المسلمين بتهمة الإرهاب، أو الاتجاه الإسلامي، أووضع عقبات في سبيلهم، ستؤدي إلى الإخلال بتوازن النظام الاجتماعي، وتقلق الحياة الاقتصادية فيها، وتحدث اضطراباً لا يغفله إلا حقد أعمى، فإن الحياة الصناعية في هذه الدول تحتاج إلى عمالة أجنبية كبيرة، وإن التقدم الصناعي والحضاري الذي أحرزته هذه الدول لا يستمر بمجرد الاعتماد على السكان الأصليين للبلاد الذين يتضاءل عددهم، ويتصاعد الاعتماد على القوى العاملة من الخارج، وفي عدة دول أوربية يشكل المسلمون الأغلبية في القوى العاملة، ومهما بلغت تهديدات هذه الدول فإنها لا تستطيع الاستغناء عن هذا العدد الضخم الذي استوطن البلاد، كذلك الإجراءات التي تتخذ في بعض البلدان الأوربية وخاصة أمريكا لتشديد الرقابة على مواطني بعض البلدان الإسلامية ومضايقتهم لدى الوصول إلى تلك البلدان، أو الخروج منها، تقف في وجه المتوجهين إلى تلك البلدان بحثاً عن العمل، أو التجارة، وتجبر هؤلاء العاملين في مختلف المجالات على البحث عن بلد آخر لممارسة نشاطاتهم، ثم إن هذا الموقف سيقلب الموازنين والتصورات عن النظام القائم، ويفضح دعاوي هذه البلدان عن العلمانية والديمقراطية، وحقوق الإنسان،

وحرية العمل والعقيدة، والسلوك، وكيف يمكن أن تدعى هذه الدول أنها دول متقدمة متحضرة تؤمن فيها سلامة المواطنين، ويتمتع المواطنون فيها بحرية كاملة، وبعض المواطنين فيها يجبرون على اتخاذ نوع معين من اللباس والطعام، والشراب، والعبادة، والعقيدة، وباتخاذ هذه السياسة كيف تستطيع هذه الدول أن تقيم علاقات ودية مع أكثر من خمسين بلداً في العالم، لها أهمية سياسية وجغرافية وتجارية.

وبالإضافة إلى المواقع الاستراتيجية التي تحمل أهمية حيوية للدول الكبرى تحمل دول العالم الإسلامي ثروة غنية من المعادن والفلذات، وثروة الحيوان والبحار، والغاب، بالإضافة إلى البترول والذهب، ما تتوقف عليه الصناعة الأوربية.

والطاقة البشرية لها وزن في الحياة المعاصرة، رغم اكتشاف الوسائل والآلات وهي ذات قيمة حاسمة في الصناعة والدفاع معاً.

ويملك المسلمون أصواتاً في المنابر الدولية، كالأمم المتحدة، ووكالاتها، فإذا أتيحت لهم فرصة حرية التعبير حسب الضمير بدون قيود مفروضة عليهم من قبل السلطات المتعاملة مع الدول الأوربية، كان لهم تأثير في السياسة العالمية.

إن الهمّ الأكبر لقادة أوربا في العصر الحاضر هو إبعاد المسلمين عن الشعور بمنابع قوتهم وتضامنهم ووزنهم وأهمية موقعهم في العالم، وإنهم يعملون جاهدين لإبعاد المسلمين عن هذا الشعور وتعاليم دينهم، ويروجون فيهم العلماينة والقومية، والإلحاد بالقوة، كما يحاول الغرب منع المسلمين من العمل بدينهم، وتطبيق تعاليمه على الحياة، وتوريط الدعاة في النزاعات

مع الحكومات بإثارة الحكام وتأليبهم عليهم، وتفريق كلمتهم لكيلا يواصلوا عملهم في نشر الوعي الديني، وتغيير الحياة في غالبية المسلمين، وقد استسلم بعض الولاة لأوامر الحكام الغربيين، ولكن هذا الموقف العدائي المتصاعد واستهداف الإسلام والعمل الإسلامي والتركيز على الدول الإسلامية والعناصر الإسلامية وحدها وإغفال العناصر الأخرى التي تمارس الإرهاب في مختلف أصقاع العالم، وخاصة غض البصر عن كل عدوان من قبل إسرائيل ومخالفتها لحقوق الإنسان، سينمي من جهة أخرى تدريجياً الشعور الديني في الأوساط الإسلامية التي كانت مجردة عن هذا الشعور، ويثير ردود فعل، وهذه هي النتيجة الطبيعية والنفسية.

إن هذا الموقف العدائي المكشوف من طبيعته أن يوجد في المسلمين شعوراً بالذاتية ووحدة في صفوفهم إذا وجد فيهم فهم بموقف الدول المعادية لهم، فأدى هذا الشعور إلى التقارب بين صفوفهم المختلفة، وهذا هو المكسب الكبير رغم المحن والشدائد، ويبدو أن هذا الشعور قد نما في الشعوب الإسلامية كما تدل عليه نتائج الانتخابات التي أجريت في بلدان الثورة العربية، وقد أدرك الأعداء نمو هذا الشعور وظهوره، فقلبوا الموازين، وأعادوا مجرى الأمور إلى سابق عهدها، وصعدوا جهودهم في تشتيت شمل المسلمين بإيجاد صراعات بينهم، وقد تصعد في المسلمين الشعور بأن منهج الإسلام هو خير المناهج، وإذا نقل هذا الشعور إلى حياتهم وقاموا بتعديل منهج حياتهم لتتطابق مع تعاليم الإسلام، وحلوا مشاكلهم في ضوئها، فإنهم سيكونون خير الأمم حقيقة.

إن الوضع الراهن يقتضي أن ينمو في المسلمين شعور وفهم

للوضع المفروض عليهم من الخارج ليفهموا الأعداء والأصدقاء ويميزوا بينهم ويحلوا مشاكلهم بأنفسهم ؛ لا بالاعتماد على من يسبب مشاكلهم، فإنهم أمة عالمية ذات مواهب وذخائر طبيعية، ومواقع استراتيجية تستطيع أن تؤثر على السياسة العالمية والحركة العالمية، وانهم عنصر لا يستغنى عنه وإنهم يملكون ديناً كاملاً ونظاماً شاملاً للحياة، وإذا تصاعد هذا الشعور واقترنت بها قوة الإرادة، وحرية العمل، والاستقلالية، تغيرت حالتهم، وتصبح هذه المحن منطلقاً إلى مستقبل أفضل، وقد قال عز وجلّ: " وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا "(البقرة: ١٤٣).

من المجابهة إلى الدعوة والبلاغ[1]

إن الوضع اليوم في العالم الإسلامي كله ؛ من بنغلاديش وباكستان، إلى مصر، وسوريا ؛ ماراً من ليبيا وتونس، وضع مماثل، رغم الثورات التي قلبت نظم الحكم التي دامت أكثر من ثلاثين سنة، اضطهد فيها الدعاة والعلماء والعاملون على القيم الدينية والخلقية، اضطهاداً لا مثيل له في التاريخ المعاصر، في عهد الاستعمار الغربي، وقد كانت الفترة السابقة فترة كبت الحقوق، وقمع الحريات، وفي المعسكر الاشتراكي الذي اشتمل على دول إسلامية فرض الإلحاد، وفرضت القيود على تناول المواد الدينية حتى القرآن الكريم.

قد أفادت التقارير الصحفية أن الجنود السوفيت خلال غزو أفغانستان الذين كان معظمهم من الدول الإسلامية، كان إقبالهم على القرآن الكريم الذي حرموا من إلقاء النظر عليه، ومنعوا عن تلاوته مدة سبعين سنة، ومن أراد أن يتلو القرآن أو يدرس الطلبة ؛ كان يذهب إلى الغابات أو المقابر ؛ ليختفي عن أنظار الرقباء، وكانت عاقبة ذلك وخيمة، ومارس الحكم الاشتراكي هذه السياسة القمعية في الاتحاد السوفيتي، وفي الدول الإسلامية التي خضعت لها ومنها الدول العربية.

أما الغرب فقد أجبر الحكام الموالين له، على وضع عقبات

---

[1] المجلد: ٥٩، العدد: ٨، مارس ٢٠١٤م.

في سبيل التعليم الديني بفرض القيود على الحركة الإسلامية والمراكز الإسلامية، رغم دعوى حرية التعبير والعمل، وإطلاق الحرية في الحركات السياسية.

كانت هذه السياسة عالمية، وكان السبب الرئيسي لها، الخوف من الإسلام، والاعتراف بصلاحيته لجذب القلوب.

وقد أفادت الأنباء الواردة من بنغلاديش بوقوع الاضطرابات في البلاد لموقف الحكومة المعاند للحركة الإسلامية، واتهامها بالخيانة والغدر والإرهاب، وصدور حكم بالإعدام على عدد من القياديين الإسلاميين.

لا يختلف هذا الوضع عما يسود في الدول العربية التي قامت فيها الثورة، واشترك في هذه الثورات؛ من ليبيا إلى سوريا، عدد من القادة الذين كان انتماؤهم إلى الحركات الإسلامية التي فرض عليها الحظر في السابق، وأجريت الانتخابات الحرة، فظهر فيها الاتجاه الإسلامي كعنصر بارز، لكن أبعد عن الاشتراك في النظام الجديد، ولم يبعد عن الاشتراك والتمثيل في النظام السياسي الجديد؛ بل أدين واتهم بالإرهاب.

وذلك لطبيعة الفكرة الأوروبية الثائرة على الدين: "إن الدين لا صلة له بالسياسة، وأن السياسة لا صلة لها بالدين". وأكثر من ذلك أن الإسلام دين الإرهاب والعنف، وهي نتيجة للفكرة التي سيطرت على الغرب منذ القرون الوسطى بتأثير الحروب الصليبية.

وقد لقنت أوربا بمدارسها ونظمها ووسائلها التربوية كل من يتربى في معاقلها أخذ هذه الفكرة تلقيناً وإيماناً بها.

وقد كان من تقصير الدعاة إلى الإسلام والعاملين له أن

يكافحوا هذه الفكرة، وينشروا فكرة أن الإسلام دين الرحمة والعفو والأمن والسلام، وإنه دين الإصلاح وصلاح النفس، وأن تكون لهم مدارس للتعليم والتربية تلقن هذه الفكرة، ويتخرج منها أجيال من المثقفين الذين ينتشرون في مجالات العمل من السياسة والاقتصاد والإدارة المدنية والأمن، ويكون لهم رسوخ ودخل في سائر دوائر العمل الاجتماعي، فإذا كان لهم مثل هذا النفوذ لما أمكن للقادة السياسيين المعدودين على الأنامل من المرتزقة والوكلاء أن يفرضوا على الشعب أفكارهم المغايرة لرغبات الشعب المسلم، وينفذوا مخططات القادة من خارج البلاد، ويخدموا مصالحهم وينفذوا ما يملى عليهم من إجراءات.

إن الحاجة اليوم هي بث الوعي الإيماني في النفوس، والشعور بأن النظام السياسي المفروض عليهم، نظام مفروض عليهم من الخارج، وإن التدخل الأجنبي المعادي للإسلام في نظم الدول الإسلامية هوالسبب الوحيد لمعاناة الشعب المسلم في كل بلد إسلامي، وهذا التدخل يؤدي إلى كبت الحريات المدنية، وإبعاد النفوس الطيبة المخلصة عن مواقع النفوذ فضلاً عن مواضع القيادة، وقد أدركت العناصر الخارجية بخطر تنامي الشعور الإسلامي وانتشاره في مواقع العمل الهام في تركيا التي أحرزت تقدماً كبيراً في إقرار الأمن ورقي البلاد، واجتنب الحكام المجابهة مع النظم السياسية الخارجية وقادوا البلاد بحكمة وهدوء وتعاون مع الغرب بحكم عضوية البلاد في الناتو.

لكن مجرد انتمائها إلى الإسلام وضعت عقبات في سبيل انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، وكانت الكنيسة أكثر تحمُّساً

وحرارة في هذا السبيل، ثم نشأت في البلاد حركة ضد النظام لعناوين وأعذار مختلفة، والآن اتسعت دائرة هذه المعارضة وانضم إليها بعض المخدوعين، ومن المثقفين الغربيين في مختلف دوائر النظام، ويخشى أن ينقلب الوضع في البلاد، وتحدث تفرقة بين مختلف الطوائف.

إن مسئولية الحركات الإسلامية في مثل هذا الوضع أن تبتعد عن موقف المجابهة لتجنُّب الإجراءات القاسية، ومنع فرض القيود على العمل الإسلامي، ومواصلة عمل الدعوة، وتشكيل الذهن، وإزالة المخاوف من النفوس بالنسبة للإسلام والعاملين للإسلام، وقد أشار إلى ذلك أحد أصحاب الفكر الإسلامي فيقول: .

"ليس خطب الدعوة الدينية والتجديد الإسلامي بهيِّن، فليست رسالتها ومهمّتها قلب نظام فقط، أو تغيير وضع سياسي بوضع سياسي آخر، ونظام اقتصادي بنظام اقتصادي آخر، ولا نشر الثقافة والعلم، ومكافحة الأمية، والجهل، أو معالجة البطالة والتعطل، أو معالجة عيوب اجتماعية أو خلقية، إلى غير ذلك مما يقوم له الدعاة والمصلحون في أوروبا، وفي الشرق، وإنما هي دعوة الإسلام التي تشمل العقيدة، والأخلاق، والأعمال، والسياسة، والعبادة، والسلوك الفردي والاجتماعي، وتتناول العقل، والقلب، والروح، والجسم، وتعتمد على تغيير عميق في القلب، والنفسية، والعقيدة، والعقلية، وتنبع من القلب، قبل أن تنبع من قلم، أو صحيفة كتاب، أو منصة خطاب، وتنفذ على جسم الداعي وحياته قبل أن يطالب بتنفيذها على المجتمع".

إن الوضع اليوم في العالم الإسلامي كله؛ من بنغلاديش

وباكستان، إلى مصر، وسوريا؛ ماراً من ليبيا وتونس، وضع مماثل، رغم الثورات التي قلبت نظم الحكم التي دامت أكثر من ثلاثين سنة، اضطهد فيها الدعاة والعلماء والعاملون على القيم الدينية والخلقية، اضطهاداً لا مثيل له في التاريخ المعاصر، في عهد الاستعمار الغربي، وقد كانت الفترة السابقة فترة كبت الحقوق، وقمع الحريات، وفي المعسكر الاشتراكي الذي اشتمل على دول إسلامية فرض الإلحاد، وفرضت القيود على تناول المواد الدينية حتى القرآن الكريم.

وقد أفادت الأنباء الواردة من بنغلاديش بوقوع الاضطرابات في البلاد لموقف الحكومة المعاند للحركة الإسلامية، واتهامها بالخيانة والغدر والإرهاب، وصدور حكم بالإعدام على عدد من القياديين الإسلاميين.

لا يختلف هذا الوضع عما يسود في الدول العربية التي قامت فيها الثورة، واشترك في هذه الثورات؛ من ليبيا إلى سوريا، عدد من القادة الذين كان انتماؤهم إلى الحركات الإسلامية التي فرض عليها الحظر في السابق، وأجريت الانتخابات الحرة، فظهر فيها الاتجاه الإسلامي كعنصر بارز، لكن أبعد عن الاشتراك في النظام الجديد، ولم يبعد عن الاشتراك والتمثيل في النظام السياسي الجديد؛ بل أدين واتهم بالإرهاب.

إن الحاجة اليوم هي بث الوعي الإيماني في النفوس، والشعور بأن النظام السياسي المفروض عليهم، نظام مفروض عليهم من الخارج، وإن التدخل الأجنبي المعادي للإسلام في نظم الدول الإسلامية هوالسبب الوحيد لمعاناة الشعب المسلم في كل بلد

إسلامي ، وهذا التدخل يؤدي إلى كبت الحريات المدنية ، وإبعاد النفوس الطيبة المخلصة عن مواقع النفوذ فضلاً عن مواضع القيادة ، وقد أدركت العناصر الخارجية بخطر تنامي الشعور الإسلامي وانتشاره في مواقع العمل الهام في تركيا التي أحرزت تقدماً كبيراً في إقرار الأمن ورقي البلاد ، واجتنب الحكام المجابهة مع النظم السياسية الخارجية وقادوا البلاد بحكمة وهدوء وتعاون مع الغرب بحكم عضوية البلاد في الناتو.

إن هذا الوضع المأساوي الذي يعيشه المسلمون ، نتيجة مباشرة لتفرُّق كلمتهم ، وتوزُّعهم على معسكرات ، وانتماءاتهم إلى أفكار ونظريات متصارعة ، والبحث عن حلول القضايا في منابر من يتربّص بهم الدوائر ، ويكيد لهم مكايد.

ولا عزة ولا قوة للمسلمين ، سواء كانوا عرباً أو عجماً ، إلا بالإسلام ، وبالاعتصام بحبل الله المتين.

إن مسئولية الحركات الإسلامية في مثل هذا الوضع أن تبتعد عن موقف المجابهة لتجنُّب الإجراءات القاسية ، ومنع فرض القيود على العمل الإسلامي ، ومواصلة عمل الدعوة ، وتشكيل الذهن ، وإزالة المخاوف من النفوس بالنسبة للإسلام والعاملين للإسلام.

التحرر من التبعية الأجنبية ودعم العنصر الوطني أساس الإصلاح والخروج من المأزق[1]

إن تاريخ المسلمين بعد تحررهم سياسياً من الاستعمار الغربي الحقيقي، تاريخ حافل بالمنجزات والمكاسب في جوانب، والمآسي والنكسات في جوانب أخرى، فإذا كان جانب من الجوانب يبشر بخير ويدل على تقدم وازدهار، ثمة جانب ينذر بخطر، ويهدد بعواقب مفزعة، ويدل على تراجع وتقهقر، فيجد الدارس لهذا التاريخ الذي يمتد إلى أكثر من خمسين سنة، تناقضات لا يوجد مثيلها في تاريخ البلدان الأخرى، إنه يجد أعمال البناء والرقي في مجال من مجالات الحياة، وأعمال الهدم والنقض والتردي في مجال آخر، ولذلك لا يمكن أن يصدر حكم على مسار هذه الدول إلا أن الشيء الوحيد الذي يلاحظ في هذا التاريخ، هو التحرك، والاجتهاد، والسعة، وكثيراً ما يحدث أن الدارس للمسار في العالم الإسلامي يجد الأمور تتجه إلى هدف سليم، أو تسير على منهج قويم، ثم ينقلب المسار ويتغير المنهج.

لقد ازدادت المساحة التي يتمتع المسلمون فيها بالحقوق السياسية، وانضمت إلى الدول الإسلامية دول جديدة، وارتفعت رايات إسلامية جديدة في ساحة الأمم المتحدة، ونال المسلمون أصواتاً أخرى في المنظمات العالمية، ووجد لهم منبر لرفع

---

[1] المجلد: ٥٧، العدد: ٢، سبتمبر ٢٠١١م.

أصـواتهـم، ومناقشـة مسـائلهـم كـأمـة، ونشـأت منظمـات إسـلامية لمعالجـة قضـايا العـالم الإسـلامي المتعـددة كالاقتصـاد، والتعليـم، والثقافة، والمواصلات والتجارة، وتحقـق تصـور السـوق الإسـلامية المشـتركة، وأتـى إلى الوجـود شـكل مـن الأشـكال للتبـادل في هـذه المجالات، كما فتحت مجالات للبحث والتحقيق والدراسة للمسـائل التي تتصل بالعالم الإسلامي، فتنتشر جمعيات ومنظمات للدراسـة في مختلف أقطار العالم.

وازدادت مكاسـب العـالم الإسـلامي الاقتصـادية بالنشـاط التجـاري والصـناعي والتبـادل الثقـافي، والاسـتفادة مـن الخـبرات العالميـة، وبـدأت أمـوال المسـلمين تسـتثمر بعـد أن كانـت راكـدة، ومجمـدة، أوكانـت تنفـق فيمـا لا طائـل في الإنفـاق عليـه، وأنشـئت بنوك إسـلامية ومشـاريع إسـلامية، ويجـرى التعامـل فيهـا بالشـروط التجارية الإسـلامية، ولا شـك في أن هـذه التطـورات هـي مكاسـب ومؤشرات إلى الرقي.

لقـد ازدهـرت دول كـثيرة في العـالم الإسـلامي واتسـعت رقعتهـا، وأحـرزت ثـراء ورخـاء، وازدادت ذخائرهـا ومواهبهـا وقـدراتها، لكنهـا رغـم هـذا الثـراء والمواهـب والقـدرات والقـوى البشرية الهائلة، لا تشكل قوة يحسب لها حساب، أو وزناً في ميزان القوى، وليست في مكانة التصدى أو الصـمود أو الـرفض والقبـول في مصاف الدول في العالم.

إن هناك أسباباً كثيرة لهذا التناقض، التناقض بين أسباب الثـروة ووسـائل الرخـاء، وكثـرة العـدد، وبـين أسـباب الاسـتكانة والتراجـع والضعف، وهي أسباب حاسمة، يتوقف عليها مصير هذه الدول.

كان السبب الأول أن هذه الدول لم تحاول خلال هذه الفترة التحرر الفكري، رغم دعوى قادتها أنهم يسعون إلى التحرر، فقد قضت هذه الدول طول هذه الفترة في حالة التقليد والمحاكاة للغرب، في سائر مجالات الحياة والفكر، فلم تبرز لهذه الدول شخصيتها المتميزة التي تعتز بها الشعوب وتباهي بها.

لم يخرج العالم الإسلامي بدوله ودويلاته وإماراته، من حالة الاتكال على الخبرة الأجنبية، والعمالة الأجنبية، وعلى الأصح على التربية الأجنبية، فلم تبرز لها ثقافة واحدة، ولا منهج واحد للحياة، ولا سيادة النفس، ولم يتحقق الاكتفاء الذاتي حتى في التعليم والتربية، فضلاً عن الاقتصاد والدفاع.

قامت الثورات في البلاد الإسلامية باسم الوحدة والحرية ومكافحة رواسب الاستعمار، أو فساد الحكم السابق، ولكن تكرر هذه الثورات وتعاقبها أدى إلى خسائر في الصلاحيات والكفاءات القومية، واعتماد الحكومات الجديدة على الدول الكبرى لبقائها في الحكم، وازداد التعاون بين حكوماته وحكومات الدول الأوربية، ومنحت مزيداً من التسهيلات والترخيصات للعمل والدعوة إلى الأفكار والمذاهب الغربية، والشك والشبهات في العناصر الوطنية، حتى التبشير فتحت له مجالات واسعة، واعتبرت العنصر الإسلامي عدواً لها، ووضعت عقبات في سبيل الدعوة الإسلامية، وآثرت بعض الحكومات التغرب والتفرنس على التعرب والوطنية، وصار العالم الإسلامي متوزعاً لارتباط دوله المختلفة بقوى أجنبية ونظم سياسية متعارضة متناحرة، واتباعها مناهج مختلفة ومصالح مختلفة، وهي فاقدة الإرادة لخضوعها لأوامر الدول الكبرى، ومن أجل

ذلك يجري صراع بينها وبين شعوبها، وصراعات بين مختلف طبقات شعوبها، وبين دولة ودولة.

بذلت محاولة للوحدة باسم القومية العربية، فزادت الفجوة بين العرب وغير العرب، وبين القوميين والإسلاميين، ثم قامت ثورات عسكرية، وفرضت الاشتراكية الإلحادية، فزادت الفجوة بين من يناصر الاشتراكية وبين من يعاديها باعتبارها معادية للإسلام، ثم بذلت محاولات باسم الديمقراطية، ففرضت ديموقراطية مزيفة، ديموقراطية أقرب إلى النظام العسكري، وديموقراطية إباحية على غرار الديموقراطيات الغربية المادية، كانت ديموقراطية، ولكن الجمهور المسلم لم يكن له دور ولا تمثيل لمشاعره، وبقي نظام التعليم والتربية والإعلام تابعاً لنظام التعليم والتربية والإعلام الغربي الحاقد للإسلام، فخلقت فجوة بين النظم الديمقراطية وغير الديمقراطية، وقامت لمحاربة هذه النظم حركات إسلامية، فنشأ صراع بينها وبين النظم القائمة وبلغ هذا الصراع أشده في الدول التي كان يحكمها العسكريون.

أصبح الشعب المسلم بجراء هذه الصراعات شعباً محطماً موزعاً، ويواجه من أجل ذلك التحارب والتناحر، وازداد هذا التحارب وتفاقم لأنانيات بعض الزعماء والنزعات المتطرفة لبعض القادة في العالم الإسلامي، كما يحدث في العالم الإسلامي العربي منه وغير العربي، وبلغ حد ثورة الشعوب ضد الحكام الذين فرضوا أنفسهم باسم الجمهورية والجماهيرية، وباسم الشعب، واستغلوا ثروات البلاد لمصالحهم ومصالح أسرهم، وعاملوا شعوبهم التي تطالب بحقها بالبطش والقهر، وتوجد مثل هذه الأنانيات والنزعات

المتطرفة في بعض قادة الأحزاب والمنظمات والمؤسسات، فتقف عقبة في سبيل وحدة العمل القومي، وتتطور هذه النزعات أحياناً فيصبح وسيلة هدم لما يبنيه الآخر، ويحدث الصراع الداخلي في صفوف القادة الاجتماعيين.

ومن أسباب المآسي في العالم الإسلامي ابتعادُ الشعوب عن الحكم، فقد أدت الشعوب الإسلامية دورها في الكفاح للحرية، وقدمت تضحيات لا يوجد نظيرها في تاريخ الأمم، لكنها بعد أن نالت الحرية السياسية أقصيت من تمثيل دورها وصنعت لها أقفاص من ذهب وفضة لتعيش فيها، أقفاص النظم السياسية والشعارات، والهتافات والفلسفات، فحرمت الوحدة والحرية في آن واحد، وصارت عبيداً لأصحاب هذه الفلسفات والشعارات.

عاشت الشعوب الإسلامية في كثير من الدول مكبلة ومقيدة، وحولها أسلاك من حديد ونار إلا أنها بدأت تستعيد وعيها وتدرك خطورة الوضع ودورها في الحياة، وسيتقوى وعي هذه الشعوب إذا أتيحت لها قيادات مخلصة للإسلام والوطن الإسلامي، ولم تتعرض لمؤامرات لقلب هذا التحرك الإصلاحي، ولم تتوغل إلى صفوفها عناصرُ التخريب، إن ما يحدث في أجزاء من العالم الإسلامي من حركة يجب أن ينظر إليه في هذه الخلفية، وعند ما تنال هذه الشعوب حريتها الحقيقية وتزول العقبات في سبيلها وتتحد القوى الحاكمة والقوى الشعبية وتتحقق رغباتها، تصبح أمة واحدة في العالم كله، ويأتي النظام الحي المندفع برغبات الشعوب المؤمنة، وتحل مشاكل كثيرة يواجهها العالم الإسلامي بتوجيه طاقاتها إلى مافيه الخير والرشاد.

إن القيادات السياسية الجديدة التي تتشكل في الدول التي تقوم فيها الثورات، وتأتي إلى الوجود نظم سياسية جديدة، يجب أن تستفيد من هذه التجربة للثورات في العهد الماضي، فإن تجربة العالم الإسلامي في جزئيه العربي وغير العربي، والآسيوي والإفريقي، لا تبعث على التفاؤل، والاستبشار، وقد خسر العالم الإسلامي في الماضي في الثورات العسكرية والنظم الديموقراطية الغربية، كثيراً من الإرادة، والأراضي، والقيم الوطنية، والثقة بالنفس والذاتية، ولا تحل الأزمات المعاصرة إلا عودة الإرادة، والقيم الوطنية، والولاء لدين ومعتقدات ومشاعر الأغلبية، والذاتية والتضامن.

كيف يمكن التضافر بين الأضداد؟[١]

هذا شاعر عربي قديم يقول:

هــــو الــــوزير ولا إزر يشــــد بــــه
مثــــل العــــروض لــــه بحــــر بــــلا مــــاء

ينطبق هذا البيت من الشعر على الحياة المعاصرة التي تخضع في سائر مجالات الحياة للأفكار والتصورات الغربية التي تختلف فيها الأسماء عن معانيها التي توجد في القواميس، ويوجد بذلك تعارض شديد بين الأقوال والأعمال، وبين الألفاظ والمعاني المستعملة.

وقد كان هناك تعارض طبيعي بين الشرق والغرب، وبذلك قال أحد الشعراء الإنجليز الكبار "روديارد كيبلنغ": "الشرق شرق، والغرب غرب، ولا يلتقيان". فالغرب أساسه على حضارة الروم واليونان، ولهما طبيعة خاصة للحياة الطبيعية والفكرية والثقافية، ولهما تاريخ مليئ بالحروب وسفك الدماء، وبذلك تكونت الحضارة الغربية من هذه الطبيعة الحربية، وطبيعة السيطرة على الضعفاء.

وإن الحضارة الغربية المزعومة يعوزها عنصر الرحمة والصدق والوفاء والإنسانية، وتغلب عليها القسوة، واستغلال الفرص، والتمييز العنصري، ورعاية المصلحة الذاتية، ولذلك كان شعار الدول الغربية أن المصلحة الذاتية هي في الدرجة الأولى في المعاملات والسلوك، وعدم التقيد بالقيم والمثل، وهي تتغير وتختلف حسب

---

[١] المجلد: ٦٤، العدد: ٤، أغسطس ٢٠١٨م.

المصلحة، فلا صداقة ولا عداء دائمين لديها، بل هي تخدع دائماً أصدقائها، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه "حديث مع الغرب" فيقول: .

"لقد ألح الغرب على هذا المعنى وتحمس له تحمُّس المؤمنين الجدد، وكان هتافه "لا إله ولا دين، ولا غيب ولا إيمان، ولا روح ولا أخلاق ولا آخرة" وإنما هو حس وتجربة، أو لذة أو منفعة، أو قومية ووطنية، أو غريزة وعاطفة، أو ديمقراطية وجمهورية، أو اشتراكية وشيوعية، وبرز في الميدان أئمة هذه الفلسفات وأبطال هذه الدعوات وتلاميذهم ومعارضوهم على اختلاف فلسفاتهم ونزعاتهم وكثرة مذاهبهم، وتوزعوا العالم الغربي، وخضع لهم كل شيء وازدهرت مدارسهم مدة طويلة، ولا تزال تسيطر على العقول والآداب، ومراكز السياسة ودور الاختبار، والمجتمع الأوربي المعاصر قد اقتبس من كل هؤلاء وتأثر بمجموعهم في قليل أو كثير، وآمن بالقدر المشترك بينهم وهو "المادية".

مُنحت أوربا فرصة تحقيق هذه المبادئ التي آمنت بها في سخاء وحرية لا نظير لها في تاريخ الحضارات، وهي أطول فرصة مع أعظم مقدار من الآلات والوسائل والتسهيلات التي تمنح القيادات في التاريخ، على يد عمالقة نوابغ عبقريين في العلم والاختبار والتنظيم والإدارة، وليست على وجه الأرض قيادة تعارض هذه القيادة أو دولة قوية تعرقل سيرها، وقد وضعت الكنيسة النصرانية أوزارها قديماً أمام طموح أوربا المادي والفكري، والنهضة العقلية الوثابة التي لا قبل لها بها، وخضع الشرق الإسلامي لغزواتها السياسية والفكرية، في القرن التاسع عشر المسيحي وخلا لها الجوُّ، ودان لها العالم بشرقه وغربه وشماله وجنوبه".

هذه الطبيعة تختلف كليا عن الشرق الذي هو مهد الديانات، فالشرق يتقيد بقيم معينة ونواميس خاصة للحياة الفردية والاجتماعية، وفي مقدمتها الإيثار والرحمة وضبط النفس، وترجيح مسئلة الغير على المسألة الذاتية، والشعور بالمسئولية في سائر الأعمال، ولكن هذا التقيد بالقيم ليس في العبادة فحسب، بل في المعاملات والسلوك مع الغير من سائر الأديان، وخاصة المسيحية التي تقول إذا لطم أحد على خدك الأيمن فعليك تقدم خدك الآخر، وإن تاريخ المسيحية مبني على هذا التميُّز بالإيثار والرحمة، وإليه أشار القرآن الكريم بقوله: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ " (المائدة: ٨٢ -٨٣)

إن هناك صراعاً بين التعاليم النصرانية التي تقوم على الحب والإيثار، ومواقف الحكومات الأوربية التي تحمل طبيعة اليونان والروم المادية، ويدل التاريخ المعاصر على أن الغرب الذي يدعي احتضان المسيحية، تحمل حضارتُه هذه الطبيعة، وهي تعارض سائر تعاليم المسيحية من الأساس.

وأما الإسلام فهو نظام كامل شامل وجامع للحياة، وتشتمل تعاليمه على المودة والمحبة، والصدق والوفاء، والمؤاساة والولاء، والتضامن والتعاون على أعمال الخير والبر، والأمن والسلام، وعدم التمييز.

وإن القوة العالمية التي تدعي الحرية ونجدة الملهوفين وإيواء المقهورين، تمثل هذه الطبيعة الحربية، وتسبب نزوح آلاف مؤلفة من أوطانهم إلى دول أخرى، وترتكب مخالفات لحقوق الإنسان، وتحدث اضطرابات ومآسي في مختلف أنحاء العالم، وأخيراً انسحبت من الوكالة الدولية لرعاية الحقوق الإنسانية، وتحدث مشاكل ومعضلات لأصدقائها.

إن واقع العالم المعاصر، واقع مؤلم للغاية، مهما ادعى أصحاب العقول التابعة للغرب بالتقدم والحضارة، فإن التمييز العنصري شائع في أمريكا، وأوربا، وفي إفريقيا يمارسه البيض المتحضرون، وتساعد الدول المتحضرة على هذه الممارسة، وأن التطرف الديني شائع اليوم في سائر البلدان الأوربية، التي استعمرت العالم، فشوهت وجهها، وطمست معالمها، وفرضت عليها عقيدتها ولغتها وثقافتها، وهو أمر معروف يعرفه كل من يلقي النظر على ميزانيات الإرساليات التبشيرية، والإذاعات والوكالات العاملة لخدمة الإنسان من أجل التنصير، وإن الحروب وسفك الدماء يجري بتأييد الولايات المتحدة، وروسيا، وفرنسا، والدول الأوربية الأخرى، وتجري مسرحيات دامية في مختلف أنحاء العالم، ويجري استعباد الشعوب وقهرها بنطاق أوسع.

ويقف العالم المعاصر على فوهة بركان للسياسات الطائشة التمييزية، لبعض الحكام الغربيين، أما الأخلاق والمعاملات فقد كانت الفريسة الأولى، ولكن تمجيد الحضارة المعاصرة رغم الحروب، رغم قتل الحريات، رغم فرض نظم لا ترغب فيها الشعوب، رغم إبادة ملايين من الأبرياء، ورغم تفشي الخلاعة

والمجون والانحلال الخلقي، ورغم تفشّي الفقر في مساحات واسعة من الدول التي يحكمها الغرب، تستمر في كل مكان ولدى كل شعب، لأن صلاحية التمييز بين الخير والشر، والتفكير الحر قد تلاشت، ووضعت غشاوة على العقول، وينطبق على هذا الوضع قول الشاعر العربي أبي فراس الحمداني:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه
ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم
ذئاباً على أجسادهن ثياب

إلى منهج جديد لعرض الإسلام وترشيد العمل الإسلامي[1]

كان التعريف بالإسلام ونفض الغبار عنه، وإزالة الشبهات العلمية، وشرح مفاهيمه بالأسلوب الحديث، والعقلية العصرية، وإثبات سداده للعصر من أرجحيات العمل الإسلامي، فانصرف العلماء والكتاب والمفكرون إلى التأليف في الموضوعات العلمية من وجهة النظر الإسلامية، وقد قامت للقيام بهذا العمل أكاديميات ومؤسسات علمية، ودور النشر، واستفاد المهتمون بالفكر الإسلامي بسائر الوسائل الميسرة من كتب وصحف، وإذاعة وتلفزيون، وبدأ الآن استغلال الانترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي لمتابعة ما يذاع ضد الإسلام، وبثّ ما يشرح وجهة النظر الإسلامية إزاء القضايا المستحدثة، وتنقية ما أثير من الغبار عليه في السابق، ونشأت بفضل هذه الجهود العلمية والدعوية يقظةٌ في المسلمين، وفي غير المسلمين معرفة عن الإسلام، وأدى ذلك إلى إقبال عدد كبير من المثقفين إلى الإسلام، حتى في الدول الأوربية، ونشأت حركات إسلامية في مختلف مجالات الحياة.

وبعد ظهور ما يوصف بالعقلية الإسلامية في هذا العصر بفضل جهود الدعاة، وبسبب الحركات الإسلامية التي نشأت لنشر الفكر الإسلامي، ومواجهة الأفكار والنظريات المادية، وما قاسى العالم الإسلامي بتأثير الاشتراكية والرأسمالية والاستعمار والاستشراق

---

[1] المجلد: ٦١، العدد: ٦، نوفمبر٢٠١٥م.

والتبشير، لاحظ أعداء الإسلام في أوربا الشرقية والغربية أن الإسلام يبرز كقوة ثالثة بديلة للقوتين العالميتين اللتين لهما نظريات وأفكار مضادة، فتشاور الساسة في أوربا حول خطر انتشار هذه اليقظة بتأثير معرفة الإسلام، ففكروا في تحويل آثار هذه اليقظة إلى اتجاهات تبدو في ظاهرها إسلامية، ولكنها في داخلها تتعارض مع تعاليم الإسلام، وتوقع المسلمين العاملين بالإسلام في صراعات، وساعد على هذا التحول تقليدُ بعض العاملين للمناهج الأوربية والحركات الغربية في تحقيق الأهداف.

وقد اندفع الأعداء إلى مواجهة ما حسبوه الخطر الإسلامي لبقائهم، ورفعوا شعار الخطر الإسلامي وصلاحيته وظهوره كبديل للنظامين العالميين، وكثفوا الدعاية ضد هذا الخطر الموهوم، وهذا الإحساس بكون الإسلام خطراً للعالم والحضارة المعاصرة، يعرف بإسلاموفوبيا، وسخرت لنشر هذا الخوف وسائل الإعلام بسائر صورها وأشكالها، وقوة تسخيرها وتزويرها للأذهان، كما ساهمت المكتبات العلمية ومراكز البحوث الفكرية ومراكز التحقيقات وإعداد الاستراتيجيات في الدول الشرقية والغربية لإقناع العالم بهذا الفكر القائم على نفسية الخوف، وتحركت الحركات الأوربية لإعداد مؤامرات لإحداث الصراع في العالم الإسلامي لتبرر هذا الخوف، ومن هذه الحركات دعمُ المتشددين والمتطرفين في المجالات الإسلامية للقيام بأعمال تبرر هذا الخوف، وإثارة صراعات بين المسلمين أنفسهم، ونشر الأفكار المضادة، ودفعهم إلى استعمال القوة لإثبات أن الإسلام دين الشدة والعنف.

يقضي هذا الواقع من قادة الفكر الإسلامي السديد أن يقدموا الإسلام الحقيقي، ويواجهوا المنحرفين عن منهج الإسلام الصحيح

القائم على السيرة النبوية وسير الدعاة والمفكرين الذين دافعوا عن الإسلام في عصور مختلفة، وهذا الردّ يحتاج إلى إعداد كتب، والقيام بالعمل الإسلامي السديد لعرض الإسلام وردِّ الأفكار المنحرفة عن الإسلام.

وقد أعرب كثير ممن اعتنق الإسلام بدراسة الإسلام عن حيرتهم بأنهم بعد دراستهم للإسلام واقتناعهم بنظام عدله، وشرف الإنسان في ظله لما أتيحت له فرصة الاختلاط بالمسلمين في دولة الأغلبية الإسلامية، وجدوا بوناً شاسعاً بين الإسلام المقروء والإسلام الواقع.

وينطبق ذلك على الحركات الإسلامية وقادتها أيضاً، فإن الانصراف إلى العمل الإسلامي والنشاط السياسي أحياناً يؤدي إلى تقصير في إتباع تعاليم الإسلام في مقايسة الأمور، وتكون حياة المناضل في الحركة الإسلامية غير منسجمة مع حكم الشريعة والخلق الإسلامي.

واجه الإسلام في عصر الاستعمار والنهضة العلمية في أوربا تهماً وتشويهاً لتاريخه، فانصرف الدعاة إلى الإسلام إلى عرض الإسلام علمياً ونظرياً، فأغفل في هذا العرض العلمي جانب التطبيق العملي، ولم يصرف الاهتمام إلى العمل مثلما صرف إلى عرض الإسلام علمياً، فكنا ندعو إلى ما نلتزم به نحن في حياتنا اليومية في أعمالنا التي نتمتع بها بحرية، بل نقتدي فيها أعدائنا ونسير معهم خطوة خطوة.

هذه الجهود التي تبذل لتعريف الإسلام لا تستطيع أن تثمر إلا إذا رافقتها جهود لتطبيق الإسلام في الحياة، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى فيقول:

"فأول ما يجب على المسلمين بصفة عامة والعاملين في نطاق الدعوة والصحوة بصفة خاصة، أن يمثلوا السيرة الإسلامية النموذجية المثالية إلى حدّ الإمكان بكل وضوح وجلاء، فإن ذلك من أقوى أسباب احترام هذا الدين والحرص على دراسة مصادره وتعاليمه التي تصبغ المسلمين بهذه الصبغة المميزة، وتسبكهم هذا السبك الجميل، وتحملهم على العناية بدراسة القرآن والسيرة النبوية والشريعة الإسلامية، وقد تخلى المسلمون مع الأسف من زمان عن تمثيل هذه السيرة وتأثروا بالتقاليد والعادات والقيم والمثل التي هي شعار الأكثرية غير المسلمة وبقايا الحضارة المحلية القديمة أو من تأثير الحضارة الغربية المادية الحديثة".

القيادة الإسلامية أمام تحديات جديدة[1]

تمر الأمة الإسلامية بأصعب فترات، لا يوجد لها مثيل في التاريخ، باعتبار عموم المشاكل وشمولها، وبتعبير أوضح تألم سائر جسدها، وتناخر سائر بنيانها، فإن مشاكلها ومعاناتها تعم العالم كله، وتلمس آثارها في سائر الأجزاء التي فيها وجود إسلامي.

وهذه المشاكل أو المحن تبدأ من العقيدة، إلى الحياة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، فهي شاملة لسائر جوانب الحياة.

ومن حيث العموم أن هذه المشاكل توجد في سائر البلدان التي يعيش فيها المسلمون، سواء كانوا في أغلبية، أم كانوا في أقلية، فهي عامة من الصين في جانب إلى أمريكا في جانب آخر، أي من الأقصى إلى الأقصى.

كان المسلمون في التاريخ الماضي عرضة للمحن في مناطق معينة، وكانت لهم مناعة وصولة وغلبة في مناطق أخرى، فكان يقال إن شمس الإسلام إذا غربت في جزء في العالم، طلعت في جزء آخر في العالم، وكانت محنتهم عسكرية، وهي محنة محدودة التأثير والنتائج، وكانت هذه المحنة تحدث في المسلمين اندفاعاً وثورة، ثم إنها تزول وتمحي آثارها بعد مدة.

إن الوضع اليوم يختلف عن أوضاع المسلمين في تاريخهم

---

[1] المجلد: ٥٥، العدد: ٥، نياير وفبراير ٢٠١٠م.

الماضي حتى عهد الاستعمار الذي كان قد سيطر على سائر العالم الإسلامي، لم يكن أخطر من الوضع الحالي.

لاشك أن الإسلام اليوم يكسب نفوساً جديدة، وله وجود في مناطق جديدة لم يكن له وجود فيها في الماضي، وانتشرت مراكز إسلامية، وشيدت مساجد، ويجري إنشاء مدارس في أوربا، حيث لم يكن لهذه المؤسسات في الماضي وجود، والكتاب الإسلامي اليوم ذائع ومنتشر في المناطق غير الإسلامية وكراسي الدراسات الإسلامية مفتوحة في الجامعات العالمية، وفرص دراسة الإسلام متاحة اليوم أكثر مما كانت في الماضي، وقد كان الإسلام محصوراً ومنحازاً في الماضي في المناطق الإسلامية، والبيئات الإسلامية، وفي لغات المسلمين الخاصة

إنها لا شك ظاهرة جديدة تبشر بخير، وتجنى ثمارها، وتلمس آثارها.

ولكن مقابل ذلك، المخططات العالمية المدعمة بسائر الوسائل الفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية التي تستهدف الإسلام والمسلمين في هجماتها لا تقل خطورة بل تنذر بخطر جسيم للأمة الإسلامية بأسرها وهي في حالة التنفيذ ولم تعد مجرد مخططات، بل دخلت في حيز التنفيذ، يجري العمل بها.

وهذه المخططات التي تعدت إلى حيز التنفيذ تحمل طبيعة الغزو العسكري والغزو السياسي، والغزو الفكري، والثقافي معاً، ومما يزيد البلاء شدة، وضخامة هو سد سائر منافذ الدفاع فضلاً عن الكفاح، حتى الدفاع عن النفس أو تبرئة النفس عما يلصق بها من تهم، أو إدانة على أقل تقدير، فيصدق عليها المثل العربي "رمية من غير رام".

يواجه المسلمون اليوم دعاية مكثفة ضد الإسلام والمسلمين، ولا يستطيعون أن يردوا هذه الدعاية، رغم وجود صلاحيات وقدرات فيهم، ورغم كون الحق معهم فإنهم بعيدون كل البعد عما يشاع عنهم في الإعلام، لأنهم لا يملكون وسائل الإعلام القوية، وقد أغلق المعادون لهم سائر الإمكانيات البشرية والعلمية، وتساندهم في ذلك حكومات المسلمين أنفسهم، لأنها خضعت رغبة أو رهبة للقوى العالمية التي تحارب الإسلام، فتساعد هذه الحكومات على تنفيذ هذه المخططات.

وأخطر من ذلك ما يجري تنفيذه في مناهج التعليم، وإخراج المواد التي تحدث في الطلبة وعياً إسلامياً، فإنه يؤدي إلى تجريد المسلمين من الشعور والوعي الإسلامي المتميز، والإحساس بما يحاك ضدهم من مؤامرات.

وقد عمت هذه الحملة العالم كله، فانطلقت حركات عالمية ضد المدارس الإسلامية، والكتاتيب الإسلامية في بلدان الأقليات الإسلامية وبلدان الأغلبية الإسلامية.

إن الحربَ التي يواجهها المسلمون اليوم قد اتخذت اتجاهاً جديداً لم يعرف في الماضي، وهي الحرب النفسية، والشعورية، وهي أخطر من حرب الأعصاب أوالحرب الباردة التي جرت بين أوربا الغربية وأوربا الشرقية في عهد الاتحاد السوفيتي، إنها حرب غير مرئية يتصدى لها المعرض لها، فقد اتخذ الأعداء طرقاً غير مباشرة لحرب الإسلام، وهي الخداع والمكر والجدل لإحلال إسلام يتطابق مع تصورهم بدلاً من محاربة الإسلام علناً.

ومن وسائل الدعاية ضد الإسلام التي تعتمد عليها

الاستراتيجية الجديدة، هي الشعر، والنكات السياسية، والموسيقي، وأدوات التسلية، واللعب، والأزياء، ومواد الاستهلاك والبضائع التي تستخدم فيها إشارات مهينة لعقيدة الإسلام، أو المنهج الإسلامي، وترويج المفاهيم الخاطئة المنحرفة عن الإسلام باستخدام كفاءات لائقة لها من الأدباء والفنانين، وينال الذين يؤدون هذه الإساءات، دعماً سياسياً، ووقاية من غضب أهل الغيرة من المسلمين.

و بجانب ذلك يواجه المسلمون في بلدان هم فيها في أغلبية، صراعات مسلحة بين مختلف الفرق والعصابات التي تدعمها الجهات الخارجية، والعناصر المغرضة، فيجري سفك دماء المسلمين بأيديهم، ومسرح ذلك الذي ينال دعماً من الدول الخارجية: الصومال، والسودان، باكستان، واليمن، وأفغانستان، والعراق، التي تحدث فيها صراعات مسلحة بين مختلف فئات المسلمين، أوتفجيرات انتحارية، يذهب ضحيتها المسلمون، والهجمات على مراكز ومؤسسات وطنية، كما يواجه المسلمون ضغوطاً ومعاكسات من الأغلبية غير الإسلامية، في البلدان التي هم فيها في الأقلية، أولهم تمركزفي بعض المناطق، وهم محاطون بأغلبية غيرإسلامية كتائلند، وبورما، ونيجريا، فيجري سفك دماء المسلمين بالإضافة إلى محاولات الإساءة إلى الإسلام وتجريح مشاعر المسلمين في الكتب الدراسية ووسائل الإعلام وتثارالشكوك والشبهات في ولائهم للوطن، واتهامهم بالتزمت والإرهاب.

يواجه المسلمون اليوم غزواً استعمارياً موسعاً، لا يشترك فيه بلد واحد، ولا يتعرض له بلد واحد، ولا يستخدم فيه تيكتيك أو

استرتيجية واحدة، بل تستخدم طرق متنوعة، فقد استولى الاستعمار على عدة بلدان علنياً، ويخطط لبسط نفوذه في البلدان الأخرى.

وفي المجال الاقتصادي انتقلت ثروة أصحاب الخير في سائر البلدان الإسلامية إلى القوى الأجنبية لأنها تستولى على البنوك، والمصارف، وجمعيات التمويل، فلا يستطيع أهل الخير أن يتصرفوا في مالهم الذي كسبوه من عرق جبينهم وكد يمينهم حسب رغبتهم، فتملي عليهم القوى الأجنبية طرق الإنفاق حتى في أموال الزكاة والبر والصدقات، وتعين مصارفها.

وأخطر من ذلك أن المسلمين يواجهون اليوم حملات التشويه، والتزوير، والتحريف، بأقلام بعض أدعياء الفكر الإسلامي وزعماء الإصلاح المزعومين من الذين ينتمون إلى الإسلام، أو يدعون أنهم مسلمون، درسوا الإسلام، ويروج هؤلاء الكتاب أفكاراً جديدة، واتجاهات جديدة، يحدث الشذوذ الفكري في أوساط المسلمين، وتعارض بين الدعاة والمصلحين وصراع فكري وعملي، وقد كان هذا العمل يقوم به المستشرقون وحملة الأقلام الغربية المعروفون، وكان ذلك أمراً مكشوفاً، فقد كانت كتبهم في السيرة النبوية، وفي التاريخ الإسلامي، والعلوم الإسلامية مكشوفة، ومحدودة الانتشار، لا تنتشر إلا في أوساط المثقفين ولكن الخطر الحديث الذي ينبعث من أوساط أو عناصر تدعي الانتماء إلى الإسلام أكثر خطراً من الخطر الماضي، فإن هذه الكتب والمؤلفات بأقلام مؤلفين لهم أسماء إسلامية تخدع الذهن الساذج، وهي بالعربية والفارسية والإنجليزية، ولغات المسلمين الأخرى، وقد سهل هذا العمل ووصوله إلى عامة القراء الصحف،

والمجلات، والانترنت، والتسجيلات، والمنشورات، وقد انتشرت هذه الأفكار الشاردة، وأحدثت في القراء اضطراباً فكرياً، وشكوكاً وشبهات في الثوابت والمسلمات.

إن هناك حرباً عسكريةً وحرباً فكرية، وحرباً ثقافية، وخطراً خارجياً، وخطراً داخلياً، والذين يشنون هذه الحروب هم أحرار، ينالون كل دعم من القوى الخارجية والداخلية، أما الذين يقدرون على مواجهة هذه الحروب، هم مقيدون مكبلون أو لا يعرفون الواقع، فيسكتون، أو يحبون العافية، فيلازمون الصمت أو مشتغلون بقضايا ومسائل فرعية أو بالية، ويصرفهم الانشغال بهذه المسائل والأمور عن الاهتمام بالقضايا الحاسمة التي يتوقف عليها مصير الأمة الإسلامية

يواجه المسلمون خطر التنصير العالمي، وقد انتشرت شبكات التنصير بفروعها المختلفة التعليمية والتبشيرية في عدة بلدان إسلامية، وتصاعد نشاطه في البلدان المنكوبة بالحروب، أوالصراعات الطبقية، أوالاقتصادية، وفتحت كنائس في البلدان التي لم تعهد بها كالإمارات ودول الخليج، وأفغانستان والعراق، وتبذل مجهودات لتغيير نسبة السكان الدينية في البلدان الإسلامية، وهو أيضاً خطر جسيم، وتدعم القوى الخارجية الأقليات غير الإسلامية في بلاد المسلمين عسكرياً واقتصادياً وتحرضها على المطالبة بالاستقلال كما حدث في إندونيسيا ويجري الآن هذا العمل في السودان.

إن هذا الوضع يشبه الوضع الذي سبق الاستعمار الغربي، فاستغلته الدول الأوربية لاستعمار المناطق الإسلامية باسم الوصاية، أوالحماية، أوالانتداب.

إن الاستيلاء على آراضي المسلمين قد حدث مرات في التاريخ، ولا يشكل ذلك خطراً كبيراً، وقتل النفوس، والتخريب، وأعمال الهدم في منطقة من المناطق الإسلامية أيضاً وقع كثيراً، وتعرض المسلمون للإجراءات التعسفية لقوة من القوى، ولكن الوضع اليوم هو بمثابة وباء يعم العالم كله، وهوإدانة الإسلام والمسلمين، وتحميلهم مسئولية الفساد في العالم كله، وبذلك أصبح المسلم في كل مكان مشبوهاً يخشاه الناس، ويؤخذ الأبرياء، ويعاقبون على أعمال أو نوايا منسوبة إليهم.

إن هذا الوضع هو أخطر من الحروب والمآسي، ويشير إليه ما كتبته مجلة اكنومست عن المسلمين الذين يعيشون في أوربا، ويصدق على المسلمين الذين يعيشون في بيئة غير إسلامية، أن المشكلة اليوم هي أن العدو مجاورنا، وهو في صفوفنا، وإن محاربة العدو الخارجي سهل، ولكن محاربة العدو الكامن الدخيل صعب.

تقوم بعض الجهات بمحاولات لالتقاء الأديان المختلفة وتجري الحوار بين مختلف الأديان، ولها نتائج مشجعة، وقد تغيرت أذهان كثير ممن كانوا يعادون الإسلام، بفضل هذه اللقاءات، وإتاحتهم فرص دراسة الإسلام، وإنه لمبادرة جاءت في وقتها، ولكن القوى العالمية مكبة على توسيع هذه الفجوة، بل تركز على الهجوم على التعاليم الإسلامية السمحة باعتبارها مسئولة عما تسميه بالإرهاب، وتغض بصرها عن سائر عناصر الإرهاب في العالم، والحركات المتطرفة العدوانية المنتشرة في العالم التي لا تخفي عداءها لعناصر أو أديان أو مذاهب فكرية أخرى، وهي منتشرة في أوربا وأمريكا، وفي الوقت نفسه تبث وسائل الإعلام العالمي مواد كراهية

الإسلام والمسلمين، وتنشر الكتب والمؤلفات المعادية للإسلام ونبي الإسلام، فإذا لم تهدأ هذه العاصفة يظل توفيق هذا المجهود الذي بادرت إليه هذه الجهات محدوداً.

إن هذا المجهود لن يوفق ويثمر إلا إذا اشترك فيه الكتاب والإعلاميون، والساسة في العالم كله، وأسهموا في إيجاد الثقة المتبادلة والتفاهم بين أتباع مختلف الديانات والحضارات.

وكمتهمين تعود المسئولية أكثر إلى المسلمين أن يكافحوا هذا التيار بوسائل العلم، والإعلام، واللقاءات، والحوارات، ويوسعوا نشاطهم بل يمنحوه الأولوية في أعمالهم، وفي الوقت نفسه يحترزوا عن الأعمال الصادرة من ردود الفعل ويصبروا على ما يواجهونه من استفزازات، لأنها تمنح هذه الدعاية الوقود، كما يجب على الحكام المسلمين والقادة السياسيين والمسؤلين عن أجهزة الأمن أن يتخذوا إجراءات رادعة، ويكتشفواالجهات المعنية المسئولة عن إحداث هذه الأوضاع.

يتطلب الوضع اليوم وعياً، وشعوراً، وفراسة، ودراسة، ومعرفة، وحكمة، وأسلوباً متكافئاً لمواجهة الأخطار الناشئة التي تهدد مصير الأمة الإسلامية، ووجودها كأمة متميزة ذات رسالة وقيادة وشهادة.

لقد كانت الأخطار السابقة محدودة لا تعدو الخطر العسكري، لكن الخطر المعاصر هو خطر علمي وفكري، وثقافي، وخطر داخلي، وخارجي، ولذلك أنه لا يحتاج إلى أسلوب عسكري، كما تلجأ إليه بعض العناصر، أو يفكر فيه بعض القادة، أوزعماء الحركات المنعزلة، المتطرفة، بل يزيد الوضع حدة وتوتراً،

وتحدث مشاكل، وعقبات في عمل الإصلاح، وإنما يحتاج إلى أسلوب علمي وفكري، وإعلامي، ومن حكمة الدفاع أن يستخدم السلاح الذي يستخدمه العدو، وأن تعرف هوية العدو الحقيقي ووسائله التي يستخدمها، إليه تشير الآية الكريمة:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله، إنه هو السميع العليم﴾ [الأنفال: ٦٠ـ ٦١]

إن فشل المسلمين في المعركة التي هم فيها، يرجع إلى أنهم يختارون الوسائل التي لا تناسب الوضع، ولا تستند على الدراسة، وعندما يدرك المسلمون طبيعة المعركة يكون النصر حليفهم، ويخرجون من مأزقهم الذي وقعوا فيه منتصرين.

فرصة للاحتساب وفهم الظروف[1]

الدنيا بخير والحمد لله على ذلك، فالحق له تأثير في القلوب، وللحق محبون، وللخير عاملون، يضحُّون في سبيله بكل غال ونفيس، ولا تزال هذه الدنيا عامرة بأصحاب القلوب الصافية والوجوه النيرة، والأيدي المتوضئة، والعاملين في سبيل الحق والعدالة الذين يكافحون ليل نهار لتوجيه الإنسان إلى كرامته وشرفه، وإخراج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها، وجور الأديان المنحرفة وظلمات الأوهام والخرافات والنظريات التافهة والمادية الطاغية، إلى حياة الطمأنينة والسعادة، ولا تزال الدنيا تسعد بهذه النفوس المطهرة، لا تثني همَّتَها العقباتُ، ولا تلهيها المغرياتُ عن أهدافها، ولا تشغلها شواغلُ الحياة المادية الرعناء، وإنما تتحرق قلوب أصحابها لتأدية الرسالة السامية، تأتسى فيها بالسلف الصالح، فتجد لذة في شقاء، وغنى في حرمان.

ولا تزال الدنيا بخير، فإن هناك قلوباً صاغية لأصحاب كلمة الحق، واحتراماً لصوت الحق وإكراماً للداعي إلى الحق وسط صخب الحياة وضوضائها، ووهج الحضارة المادية وزخارفها، يشهد بذلك التجاوُب الشعبي العظيم والإنصات إلى كلام المخلصين الدعاة العاملين في كل مكان، والتهافُت على ما يُكْتب ويُؤلَّف في نشر الحق، وما يُنفَق على المدارس والمراكز التربوية

---

[1] المجلد: ٦٤، العدد: ٩، يناير ٢٠١٩م.

الإسلامية، وانتشارُ الهيئات والمنظمات، والتأييدُ الشعبيُّ الذي تحظى به هذه المؤسسات، فلو أُجْرى إحصاءٌ لهذه المجهودات في مختلف مجالات الحياة، من التوعية الفكرية، والتعليمٍ والتربية، والخدمة الاجتماعية والاقتصادية التي تجري طوعياً بالعاطفة الدينية، وجُمعت هذه الجهود، لفاقت أي منظمة عالمية كبرى مزوَّدة بالطاقات البشرية التي تشتغل فيها وما تكلفه هذه النشاطات من أموال، وما تستغرقه من ساعات عمل، وما تسبِّبه من مجهود فردي واجتماعي.

يقوم هذا التفاؤل على أساس المنظمات والمؤسسات والأنشطة الإسلامية العاملة في مختلف أنحاء العالم وإن كانت هذه المؤسسات غير كافية ,مستوفية لما تقتضيه هذه الأمة المنتشرة في أنحاء العالم كله، ولما تواجهه من مشاكل وأزمات، ولما تتصدى له من مؤامرات ومخططات لإحباطها وتوريطها في مشاكل؛ إلا أنها تغطي بعض جوانب الحياة، وتعالج مواضيع هامة من الفكرة الإسلامية، والحياة الإسلامية، وتعطي فكرة طيبة عن الشمول والجامعية التي كانت مفقودة في السابق، فقد توجهت عناية الباحثين إلى مسائل لم تكن موضع عناية في السابق، ووضعت أسس لتوحيد صفوف الأمة الإسلامية لمعالجة مشاكلها أو مدارستها.

لقد نشأت هذه الأعمال التي تجري في مختلف بقاع العالم بجهود فردية حسب أذواق العاملين وظروف العمل، وكان ذلك بمجهودات مخلصة في أصعب ظروف العمل؛ عهد الاستعمار الذي كان يمنع من الالتقاء والتوافق، وفي ظروف الحواجز الكثيرة التي قامت بين العاملين ومجالات العمل في عهد الاستعمار، ولكنها

تحتاج الآن بعد التجارب التي حصلت والدراسات التي أكملت وظهور فرص التقارب، وتبادل وجهات النظر، وتبادل الخبرات، إلى تنسيق، وإحداث تناسُب بينها وتوزيعها حسب الظروف وترتيبها لتوفير الطاقة والوسائل ومراعاة الأرجحيات.

وقد شعر أعداء الإسلام في الغرب بآثار اليقظة والنهضة في العالم الإسلامي، فأعدُّوا تدابير لإحداث فجوات في مجالات العمل الإسلامي، وإعداد نفوس لتحويل هذا الاتجاه، ودبروا مخططات لتفريق كلمة المسلمين، واتهام العاملين للإصلاح وتوحيد كلمة المسلمين بالمتشددين والمتطرفين، ووصف جهودهم بالإرهاب، وساعدهم في ذلك رجال تربّوا في أوكارهم، وقد أدرك بعض المفكرين الإسلاميين هذا الخطر، وأبدوا خطر تسرُّب المتربصين في صفوف العاملين للإسلام في كتبهم، ومنها كتاب " حصوننا مهددة من داخلها" للدكتور محمد محمد حسين، وقد ساعد في تحقيق هذه الجهود لإحباط العمل الإسلامي الزعماءُ الذين تولوا زمام الحكم في عدد من البلدان الإسلامية، فيدبرون للقضاء علي الحركة الإسلامية أو تحويلها إلى جهات غير جهاتها، وشغلها بما لا شأن لها بها، واستنزاف طاقاتها في صراعات ومشاكل تافهة، أو إثارة الشبهات في العاملين وأعمالهم، لإحداث صراع داخلي وإبعادهم عن ساحة عملهم، ومنعهم من تحقيق غاياتهم.

إن الدول الأوربية تدعى أنها علمانية ولكنها ترعى مصالح الجالية التي تنتمي إليها، وتستخدم وسائلها السياسية والاقتصادية لنشر عقيدتها وثقافتها المزعومة، وتتخذ قوانين لفرضها، وتعاقب من يرتكب عدم رعايتها، وعلى عكسها الدول الإسلامية تراعي

كل تحفظ وحياد في هذا السبيل، وتحترز بعض الدول الإسلامية عن إدانة بعض الاعتداءات أو مخالفات حقوق الإنسان وحتى على الأسس الإنسانية فضلاً عن إبداء الرأي على الأسس الإسلامية، ولا تتجرأ عليها إلا المنظمات والجمعيات الطوعية التي تصادف عقبات من قبل حكوماتها، وفي بعض الظروف تتحالف بعض الدول الإسلامية مع مرتكبي الاعتداءات وتحتفظ بالصلات الودية مع الأعداء، إضافة إلى ذلك يواجه العالم الإسلامي الإعلام المعاند الذي يعتبر تشويه كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، الوظيفة الأولى له.

إن هناك رصيداً للعمل الإسلامي ولكن المسألة اليوم هي مسألة استخدام هذا الرصيد واستغلاله بطريق منسق موحد يتجنب فيه التكرار والتعارض والهدم، بحيث لا تضيع فيه الطاقات ولا تذهب الأعمال سدى ولا تتفرق السبل.

كان طريق الدعوة والعمل للحق والخير محفوفاً بالمكاره في الماضي، فإنه أصبح الآن في بعض المواضع مغرياً فيه المزالق، وقد أصبح في بعض الأحوال مكسباً يختاره المخلص لدين الله وغير المخلص له، وتتسرب إلى هذه النشاطات عناصر لم تتكيف بالجو الإسلامي كلياً فتصدر منها تصرفات لا تتطابق مع السلوك الإسلامي الصميم، كما ظهر في السنوات الأخيرة في بعض البلدان، وكذلك يتسرَّب إلى صفوف العاملين للإسلام أدعياء الفكر الإسلامي الذين يشرحون الإسلام شرحاً مضللاً، وتحدث كتاباتهم القلق والاضطراب في النفوس والأذهان.

وقد يجد المتتبع للأعمال والأنشطة الإسلامية أن الجهود والطاقات تحتشد في مكان بينما تفتقر إليها أماكن أخرى، وتتفرق

بل تتعارض في بعض الأحيان وتواجه الجفاف، لأن المسلمين اليوم منتشرون في أجزاء العالم المترامية، فبينما يوجد في بعض المناطق غنى في الكفاءات والطاقات، يوجد الفقر في أماكن والبؤس والظلم والكبت والحرمان.

وإن المنظمات الإسلامية التي تحظى بالطبيعة العالمية للعمل، وتحمل قدرات للتنسيق والإشراف والتربية تستطيع أن تنظم هذه الجهود، والطاقات المحلية وتنسقها، فتعمل كقنوات تنصب في بحر واحد، وكقطع متجاورات تسقى من ماء واحد، وتؤتي أكلها في حينها بإذن ربها، ولكن تقف في وجه هذا التضامن والتنسيق بعض الحكومات في بلاد المسلمين ووجود رقابة وحظر على أعمال نشر الخير ومكافحة الشر وحتى على إظهار الانتماء إلى الإسلام وربط أعمال الخير بالإسلام، ففي بعض البلدان الإسلامية يسجن الدعاة إلى الخير وتجري اعتقالات للمصلحين، وتفرض القيود على أصحاب العاطفة الإسلامية والاتجاه الإسلامي.

وإن العمل الإسلامي اليوم يحتاج إلى دراسة للواقع والظروف التي يعيش فيها، وفهم الفلتات، ومسح وإحصاء للحاجات والكفاءات دراسة شاملة، وتوزيع الثروة الفكرية والخبرة العملية حسب الحاجة، وتجنُّب تصرفات وأعمال يستغلها الأعداء لوصف الإسلام والعمل الإسلامي بالإرهاب والتطرف، وفي كل بلد يوجد مثل هذه القطاعات المهجورة التي تسترعى الانتباه، وقد تركزت الجهود في المدن وحشدت في بعض الأصقاع، فإذا قام العمل الإسلامي على أساس دراسة، ووجهت العناية إلى القطاعات المهجورة لإزالة التفاوت ووحدت التعاون بين الأوساط

الرسمية والحركات الطوعية، لأثمرت هذه الجهود أكثر مما تثمر اليوم، وخير الغيث ما عم، كما أن طاقاتها تركز على النظرية والدفاع، وتناول الشبهات والتهم والدعاوي التي لا حاجة إلى إعادتها وردها، وإضاعة الوقت فيها، بدلاً من أن تختار مجالات العمل الجديدة، وإثبات سداد الإسلام عملياً، وحل مشاكل الحياة الإسلامية والتنظيم لجميع قطاعاتها طوعياً.

فإن الجهود المبذولة في مجال العمل الإسلامي اليوم تحتاج إلى تيقُّظ ووعي للأخطار والتحديات، ومعرفة العناصر المفسدة التي تسربت إلى صفوف العاملين في الحقل الإسلامي، كما تحتاج إلى تكافُل وتواصل رغم العقبات، وتجنُّب الفرص التي يستغلها أعداء العمل الإسلامي.

الحضور الإسلامي المؤثر في الإعلام من أرجحيات العمل الإسلامي[١]

إن فلسفة التعليم، وصياغة المناهج الدراسية، وبيئة التعليم، وتربية الدارسين، تكوّن أذهان الناشئين، والمجتمع الذي يأخذ أفكاره، ومنهج حياته من المتعلمين والمثقفين، لكن وسائل التعليم، وتأثير الكتاب العلمي يكون محدوداً في المتعلمين، ومن يتصل بهم.

والعلم محدود التأثير، لأنه يعالج العقل، ويتناوله العقلاء، والأدب يدخل في القلب، ويعالج الشعور، ولذلك تأثيره تأثير خالد، كان الأدب وخاصة فن القصة والرواية وسيلة فعالة لتربية الجماهير، وقد سيطر عليها أصحاب قلم وفن، كانوا مسلمين، لكنهم تأثروا في هذا الفن بالكُتّاب الغربيين فنياً وفكرياً وثقافياً، وفي اختيار قضايا الحياة، وطرق معالجتها، ويدل على ذلك تاريخ تطوُّر القصة المعاصرة، وكذلك كان دور الشعر في العصر الحديث، والشعر أكثرُ تأثيراً على النفوس، ولكن الشعر المعاصر خضع هو الآخر لتأثير الشعر الغربي واتجاهات الفكر الغربية، وخاصة الفكر الاشتراكي، فنشر كُتّاب القصة والشعراء في البيئة الإسلامية تصورات غير إسلامية، بل هجم بعضهم على القيم الخلقية، والتعاليم الإسلامية، وقد اقتبس هؤلاء الأدباء والفنانون من الحياة الغربية والآداب والفنون الغربية، أفكاراً وتصورات، وعرضوها باعتبارها صالحة للمحاكاة،

---

[١] المجلد: ٥٨، العدد: ٦، يناير ٢٠١٣م.

وقام بعضهم بتصوير المجتمع الشرقي تصويراً قاتماً مشوهاً، وكان تأثيرهم على النفوس أكثر وأعمق من تأثير العلماء.

فإذا كان العلم يكوّن الفكر، فإن الأدب والفن يؤثران على الشعور والذوق العام، ويطبعان الإنسان وسلوكه بطابع خاص، ويثيران فيه الاندفاع، أوالتردد، والشك، واليقين، ويطوران شعوره، أو يلوثان شعوره، والناحية الشعورية لها قيمة لا تقل عن قيمة الناحية العقلية.

وقد لعب الإعلام في العصر الحاضر دوراً أخطر من دور الأدب الذي كان محصوراً في كتاب، في بناء تصور الحياة، وإنشاء الذوق، وتعيين القبح والحسن، والخير والشر، لأنه مدعم بالوسائل السمعية والبصرية، وهي أوسع وأكثر انتشاراً، وأكبر نفوذاً وتوغلاً، وخاصة بعد نظام البث المباشر للاعتماد على الأقمار الصناعية، فلا تقيدها الحدود الجغرافية، ولا المستويات الذهنية، والعقلية، ولا مراحل العمر، وصلاحية القبول لتنوعها وسعتها ورعايتها لمستويات المستفيدين.

ولتأثيرهذه الوسائل كانت الدول الاشتراكية أسرع إلى تأميم هذا القطاع، فيخضع الإعلام بجميع أقسامه لسياسة الحكومة، وفلسفة النظام القائم، كما اختارت فلسفة خاصة للتعليم، ولذلك تجبر هذه الدول على نشر مواد إباحية في الأخلاق، والإكثار من مواد التسلية والترفيه، ونشر صور عارية، وقصص مهيجة، وعرض الجرائم والحوادث لاستنزاف نهامة القراء للقراءة، وشغف أهل الفن بالفن، وتقوم بتدسيس أفكارها، التي لا يرغب فيها الشعب بهذه المواد المغرية.

أما الإعلام في الدول غير الاشتراكية فهو مطلق غير مقيد بأي

فكرة، ولكن تسيطر عليه جهات ذات فلسفة ومصلحة خاصة، تستغله لأغراض خاصة، فلا يهمها إلا كسب المال، وسرعة الانتشار، فتتسابق إلى نشر كل ما يميل القلوب، ويسحر النفوس، فأصبحت وسائل الإعلام وسيلة لبلبلة الأفكار، وإشاعة الفحشاء والمجون، لكنها أيضاً تحمل طابعاً خاصاً، وتوجهاً معيناً من غير إكراه، ففي مواد الأخبار إنها تستمد من وكالات الأنباء التي تغذيها بالأفكار المعينة، والتقارير الصحفية الموجهة الهادفة، ومعظم هذه الوكالات صهيونية، أو خاضعة للمخابرات العالمية التي تكيد للإسلام والمسلمين، فتعطي هذه الوسائل للإعلام صورة مشوهة عن الأوضاع في العالم الإسلامي.

إنها تلتقط المواد بدون تمييز بين ما هو فاسد، وبين ما هو صالح للمستمعين والمشاهدين، وبين الفنانين، ومقدمي البرامج، وتقدم هذه الوسائل الغرب كنموذج للحياة الراقية، وتقدم صوراً مشرقة له، وتخفي عن المستفيدين بالإعلام الصور الشائنة في الغرب، ولا تسلط الأضواء عليها، كالحوادث والكوارث، والصراعات والإرهاب، والقلق النفسي المؤدي إلى الانتحار أو القتل، وتسلية النفس بوسائل رذيلة، وإذا وقعت هذه الأحداث فإنها تعرضها بحجم ضيق، أو تذكرها هامشياً، وتفخم ما يحدث مثل ذلك في المجتمع الإسلامي، وآخر مثال لذلك أن الإعلام الغربي سلط الأضواء على ملالة، وعرض إعصار ساندي وخسائره في أمريكا باختصار وبصورة هامشية، كذلك يركز الإعلام على ما يحدث في السودان، ولكن يعرض عن ذكر ما يحدث في بورما في الوقت نفسه، وكذلك يسلط الأضواء على آنك

سان سوكي ويعرضها كزعيمة عالمية لحقوق الإنسان، ولكن لا يعرض ما يتعرض له المسلمون في بورما من قمع وتشريد حتى الزعيمة نفسها لا تعير مأساة المسلمين في بورما أي عناية.

إن الإذاعة والتلفزيون، أكثر تأثيراً وشيوعاً من الصحافة، فإن الصحافة تصل إلى من يعرف القراءة والكتابة، أو من له صلة بمن يقرأ أو يكتب، أما الإذاعة فإنها تصل إلى كل من يسمعها من الأطفال، والنساء، والكبار، والصغار، والمتعلم، وغير المتعلم، والتلفزيون أكثر تأثيراً من الإذاعة، لأنه يقدم المنظر مصوراً مشخصاً، ولا تستغني الحياة المعاصرة عن هذه الوسائل للتأثير على الذهن، فإنها تصل الإنسان بالجو الخارجي، بل بالعالم الخارجي.

ومن هذه الوسائل الفيديو والأفلام، والمسرحيات التي تعرض على الشاشة، والإنترنت، فإنها تساهم في تكوين الذهن والذوق، وتوجيه المجتمع، وتعرفه على الموضات والاتجاهات، ومشاهد الحياة، وتصرفات الناس، وقد أصبح الجوال وسيلة فعالة تجمع سائر وسائل الإعلام والاتصال الشخصي، وهو غير مقيد بنظام، وإن له وفيسبوك دور كبير في نقل الأفكار والتأثير على النفوس، كما أنهما وسيلة للبلبلة الفكرية لعدم خضوعهما لنظام ومسئولية.

تستخدم سائر هذه الوسائل الحديثة لنشر الأفكار، والمجتمع الإسلامي يواجه ما تبثه هذه الوسائل من أفكار وتصورات، ولا يمكن وقاية الجيل الناشئ إلا بوسائل متوازية لهذه الوسائل، فهي في حاجة ماسة إلى اتخاذ هذه الوسائل جميعها، بل التقدم والسباق فيها، لمكافحة ما يشاع من الأعداء لتربية الجيل، وتنشئة المجتمع الجديد، وقد سيطرت على هذه الوسائل كلها الحركات الهدامة، وتبث برامجها بلغات

المسلمين، وبعناوين مغرية خادعة، لإحداث الشكوك والشبهات، وصياغة المجتمع صياغة جديدة، إنها بمثابة جواسيس تدخل كل بيت من غير إذن، وتغزو كل نفس، وبالإضافة إلى الهجوم على الإسلام تقدم هذه البرامج تصور نسبية الأخلاق، بل مبدأ الغرائز للوجوديين، فتصور الجرائم، وتعرض الشر أكثر من عرض الحسنات والخير، كما تتبنى هذه المؤسسات تصور حرية المرأة الاستغلالي، فصارت المرأة سلعة رخيصة في هذه المؤسسات الإعلامية.

فإذا كان التعليم في حاجة إلى فلسفة جديدة، ومنهج جديد، لتربية الجيل المسلم، فإن الإعلام بسائر وسائله أحق بأن توضع له فلسفة خاصة في ضوء التصور الإسلامي، وتولي به أهمية أساسية، ولا يتحقق ذلك إلا بتربية جيل من الصحفيين، والمحللين، والفنانين مزودين بروح التعاليم الإسلامية، ومنسجمين مع التصور الإسلامي عن الإنسان والحياة.

إن للصحافة والإذاعة دوراً حاسماً في الدول الأوربية لعرض تصور الحياة، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وهي تردد وتعيد مفتريات المستشرقين ومفترضات الصليبيين التي غزت الأفكار في عصر النهضة، وعهد الاستعمار، وهذه الصحف ووسائل الإعلام الأخرى توجه حكومات بلدانها إلى الخطر الإسلامي، وتبرير إجراءاتها، وتعرض صورة جانبية عن واقع العالم الإسلامي، وتقتبس الإذاعة والصحف في العالم الإسلامي من هذه الوسائل الغربية للإعلام، فتقع في شبكتها، ولا يمكن مواجهة هذا الوضع إلا بالاستقلال في هذا القطاع، وإيجاد إعلام قوي أصيل له مبادئ، وإنتاج فني رائع مؤثر عن الحياة الإسلامية للتغلب على ما تشيعه الوسائل المعادية للإسلام.

وقد لعبت وسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة ووكالات الأنباء دوراً هاماً في العهد الأخير في تكوين الرأي، فحببت إلى النفوس من يجدر بالكراهة، ونفرت عمن يجدر بالمحبة والإكرام.

تعكف هذه الوسائل على تكوين الرأي العام ضد العمل الإسلامي، والتعاليم الإسلامية، والمظاهر الإسلامية، فأصبح الحجاب واللحية والمنديل رموزاً للتخلف، والتطرف، والإرهاب، ويلاحظ ذلك كل من يطالع الصحف، أو يسمع الإذاعة، فإن الحجاب أصبح موضوعاً يبلغ من الأهمية مبلغ إنتاج القنبلة الذرية، كذلك اللحية تسن لها قوانين، وتبحث المسألة في البرلمان، ويدلي حولها الوزراء ببيانات، كذلك التعليم الإسلامي، ودراسة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والذين يرتكبون القتل الجماعي وينتهكون الحرمات، فلهم حرية كاملة، وتفعل بعض هذه المؤسسات ذلك بإغراءات مالية، والأخرى تفعل ذلك لأنها تميل إلى الفساد، وتفعل أخرى مخدوعة، وقد عرضت هذه الوسائل الإسلام كخطر للحضارة، وانتشار الإسلام خطراً على سلامة أوربا، وخوفت العالم بزحف الإسلام الذي وصفته بدين الإرهاب، وسفك الدم بدلاً من أنه دين رحمة وعدل، وأنه حل للمشاكل التي تعاني منها الإنسانية اليوم لغلبة المادية الجامحة، والاستعمار الأوربي الغاشم.

يحتاج المجتمع الإسلامي المعاصر إلى إعلام لا يكون حراً مطلقاً يعرض فيه العارضون كل ما تسوِّل لهم نفوسهم من خير وشر، ولا يكون كذلك مقيداً كإعلام الدول الاشتراكية التي تمارس سياسة التعتيم بالنسبة للعالم الخارجي، وعرض المجتمع

عرضاً غير واقعي، بل يكون إيجابياً بناءاً، صالحاً ومصلحاً، مؤمناً بالمبادئ، وشاعراً بالمسئولية؛ يقوم بالنقد البناء، ويستجيب لرغبات القراء بصورة لا تتعارض مع التصور الإسلامي لحياة الفرد والمجتمع، ويكون إعلاما ذا مسئولية، وذا رسالة ومبادئ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كانت وكالات إسلامية للأنباء مستقلة متطورة تغذي هذه الوسائل، وتمارس عملها بالشعور بالمسئولية والاحتراس في التقاط الأخبار ورفضها وإعدادها.

وقد أسس بعض أصحاب الوعي الإسلامي مؤسسات للصحافة الإسلامية، أو مواقع وقنوات تلفزيونية، وهي رغم كونها محدودة الانتشار تقابل الصحف والمجلات التي تصدر في الملايين، والقنوات التلفزيونية المعادية، كذلك ساعات محدودة في الإذاعات والتلفزيون، وهي مجهودات هامشية بالنسبة للهجوم الصاخب والمزاحم من الأعداء، وعملائهم والمرتزقة، كما تقوم بعض الجهات بإعداد برامج التصور الإسلامي، وهناك أيضاً وكالات للأنباء بوسائل محدودة، تزود الصحف الإسلامية بمواد، وتقوم أيضاً بتصحيح المواد التي تذيعها وكالات الأنباء الأجنبية المعادية، ولكن نطاق هذه المجهودات محدود، لأنها لا تزال محصورة في الجهود الشخصية، وليست على مستوى الحكومات.

بل إنها تواجه معاكسات من الجهات الرسمية، والجهات الموالية للغرب، إن هذا القطاع من العمل الإسلامي أو الخيري يحتاج إلى دعم الحكومات، أو المنظمات التي تملك وسائل مادية، ومن أرجحيات العمل في النظم السياسية التي قامت في العالم الإسلامي أن توجه العناية إلى هذا القطاع.

قبل أن يفلت الزمام[1]

تعرض العالم العربي لسلسلة الثورات التي وصفت بـ"الربيع العربي" بدءاً من تونس التي انفجرت فيها الثورة على حادث بسيط ، ثم انتقلت نيران الثورة إلى البلدان العربية الأخرى ضد النظم الحاكمة التي كانت تحكم بلادها بقوة السلاح ، منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وكان الحكام قد بلغ أكثرهم إلى أرذل العمر ، وكان أولادهم يستعدون لتولي الحكم ؛ بل كان لهم دخل في الشؤون الداخلية كليبيا ومصر وسوريا ، وقد سيطر على الحكم في سوريا بشار الأسد بعد وفاة والده حافظ الأسد الذي بقي في الحكم مدة طويلة حتى في أيام مرضه.

إن هذه الثورات كانت طبيعية ؛ لأن هذه البلدان كانت قد سئمت النظام الفردي الغاشم رغم ادعاء حكام البلاد بأن النظام جمهوري وديمقراطي ، وقد تجاوز القذافي في ليبيا هذا الادعاء ، فوصف بلده أنه جماهيري ، فلقد كان أسوأ من أي نظام فردي غاشم.

وقد سلبت في العهد الذي كان يحكم فيه هؤلاء المستبدون حرية الشعوب ، وفرضت عليها معتقدات وأيديولوجيات تغاير عقيدة الشعب المسلم المتدين ، وقد أشار إلي ذلك المفكر الإسلامي الكبير محمد البهي في آخر كتابه "الفكر الإسلامي في تطوره" وكانت الثورة قد وقعت في ليبيا ، ولمس المفكر الإسلامي في بداية عهد

---

[1] المجلد : ٦١ ، العدد : ٥ ، أكتوبر ٢٠١٥م.

الثورة آثار الانقلاب الذي ظهرت بوادره فأبدى مخاوفه، فكتب يقول وهو يصرح أن طبيعة الشعب طبيعة دينية، وقد ورث هذه الطبيعة من الأجيال السابقة وإن هذه الطبيعة تواجه ثورة فكرية:

"إن أخوف شيء الآن على ليبيا المعاصرة، التي أسستها الحركة السنوسية الإسلامية، أن تنحرف في تيار الماركسية اللينينية باسم "الثورة" أو باسم "الاشتراكية" وتنقلب رأساً على عقب من إيمان بالله إلى كفر به، ومن روحية معتدلة مستقيمة إلى مادية طاغية، وهي لم تمارس "الاستقلال" بعد، ولم يتهيأ لأبنائها أن يقفوا على أقدامهم ثابتين في نظرتهم إلى تيارات الاستعمار الجديد. وهي تيارات العقلية اليهودية العالمية باسم "الثورية" مرة، وباسم "الليبرالية" مرة أخرى".

وقد وقع فعلاً ما كان يخشاه الدكتور محمد البهي، فبعد بداية طيبة للإصلاح والتطوُّر في البلاد الذي بدأ عليه القائد الجديد كمنقذ للبلاد وموجه إلى جهة جديدة، انقلب إلى حاكم مستبد يسلب الحريات المدنية، ويغير مجرى البلاد إلى ما يتعارض مع طبيعة البلاد الإسلامية، وفرض النظام الاشتراكي الملحد على البلاد، وتدخل في شؤون البلاد المجاورة في إفريقيا وآسيا، وقد كانت المملكة العربية السعودية أيضاً فريسة لدسائسه ومؤامراته بالتعاون مع إيران وسوريا، وذهب ضحية لهذه المؤامرات عدد كبير من المدنيين، حتى لم ينج الحجاج الكرام من هذه المؤامرات، وقد حدثت حوادث مروعة في أيام الحج.

ومثل ليبيا كانت سوريا تحيك مؤامرات للإخلال بالأمن والسلام في بلاد الحرمين الشريفين، وتصعدت هذه الاعتداءات

على أمن وسلامة المملكة العربية السعودية بعد ثورة الخميني في إيران التي قامت فيها الحكومة الإيرانية بمساندة النظام القائم في سوريا، وتأييد الحاكم الاشتراكي السوري حافظ الأسد، ووصف الخميني الإخوان المسلمين الذين كانوا يكافحون هذا النظام المستبد العلوي الغاشم بالإخوان الشياطين في عهد حافظ الأسد، ولا تزال إيران تؤيد النظام العلوي القائم في سوريا تحت رئاسة بشار الأسد، وعلى أساس تأييد إيران والاتحاد السوفيتي استطاع النظام العلوي البقاء في سوريا، وقد أشار إلى ذلك بشار الأسد في بيانه الأخير، وأبدي عزمه على البقاء رغم ما مرّت به البلاد من تدمير واسع، ولجوء مئات الألوف من سكان البلاد إلى الخارج، وقد ساعدت إيران ثورة الحوثيين في اليمن ضد النظام بالأسلحة والمعونات المالية، وقد أدت هذه الثورة إلى وقوع خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات، ولا تزال نار الحرب تشتعل في بعض المناطق.

وكان الخميني قد نال تأييد الجماعات الإسلامية من الإخوان المسلمين لثورته باعتبارها ثورة إسلامية ضد الحاكم المستبد الملك رضا شاه بهلوي الذي كان يحلم بإقامة دولة ساسانية، وإعادة عهد كسرى، وعقد احتفالاً لإحياء ذكرى ذلك العهد الكسروي، وكانت له نوايا توسعية؛ فقد استولى على جزيرتين عربيتين في الخليج، فأيدت الجماعات الإسلامية منهم السنة والشيعة هذه الثورة التي تولى فيها العلماء ورجال الدين القيادة السياسية، ولكن هذه الثورة الإسلامية التي أريقت فيها الدماء كما أريقت الدماء في ثورة فرنسا، وذهب ضحية لها كبار العلماء والقادة السياسيين حتى الذين أيدوا الثورة، ولجأ عدد منهم إلى الفرار من البلاد، كان منهم الرئيس بني

صدر الذي تولى الحكم، ووزير خارجية البلاد قطب زاده، ورئيس البرلمان صادق خلخالي، وتحولت هذه الثورة إلى ثورة شخصية، ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع الشديد بين السنة والشيعة.

إن سلسلة الثورات التي تكتسح البلدان العربية اليوم ترجع أسبابها إلى تلك الثورة الغاشمة التي حدثت في إيران، وإن الصراع الشديد بين الشيعة والسنة يرجع إلى ذلك العهد.

إن هذه البذور قد نمت وترعرعت والآن تؤتي ثمارها وانتشرت آثارها في أفغانستان وإيران وسوريا ولبنان وباكستان حيث يواجه المجتمع المسلم صراعاً داخلياً وتراق فيه دماء المسلمين ويستعمل هذا الصراع القوى الاستعمارية.

وفي خلفية ذلك يفهم بيان أحد القادة الإسرائيليين الذي أدلى به أخيراً في البرلمان الإسرائيلي أن إسرائيل الآن لا تواجه أي خطر، فإن القوى المعادية لها مفككة ومشتتة، وهي تحارب وتقاتل لأجل الصراعات الداخلية.

ولا يستغرب ذلك حيث يقوم كل فريق من المسلمين بتكفير الآخر باختلاف في الفكر ولا يكتفي بالتكفير بل يجعل من يتعارض معه في الفكر مباح الدم، ولا يجد هؤلاء المتحاربون صعوبة في الحصول على الأسلحة التي تتدفق عليهم من الدول الصانعة للأسلحة، وهم تجار الأسلحة ولا معونة مالية لتزيد هذه الحرب الداخلية.

فقد بلغت عدة دول إسلامية حالة الدمار الكامل بالإضافة إلى قتل مئات الألوف من الناس فقد دمرت سوريا كلياً، ويعيش آلاف من الشباب في السجون؛ يواجهون التنكيل والتعذيب بأيدي الحكام المستبدين.

وبالإضافة إلى ذلك يواجه المجتمع المسلم البلبلة الفكرية بالشائعات المروعة، والصراعات النظرية والفكرية التي تبثها وسائل الإعلام التي سلبت طمأنينة القلوب وهدوء الفكر والخيال.

لقد آن الأوان ليجتمع قادة المسلمين بغض النظر عن انتماءاتهم وولائهم لحركاتهم أن يجتمعوا ويتحدوا لإنقاذ هذه الأمة المسلمة التي كانت أمة واحدة "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" [الأنبياء: ٩٢]، وأن لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى. ويبذلوا الجهود لإعادة الأمن والسلام والوضع الطبيعي في المناطق التي تجري فيها العمليات العسكرية أو الثورية، ووقف دماء المسلمين ليعود اللاجئون إلى أوطانهم، ويقضوا حياتهم في أمن وسلام، ويسهموا في أعمال إعادة البناء في بلدانهم، وذلك هو حكم الإسلام. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [البقرة: ١٠٢ -١٠٥].

فإن هناك مخططاً عالمياً لتشتيت قوة المسلمين بخريطة جديدة للدول الإسلامية، وتوزيع المسلمين على أسس فكرية وعنصرية وقومية وعقدية وبذلك تتغير خريطة العالم الإسلامي.

الوحدة الإسلامية هي الحل الوحيد للأزمات المعاصرة[١]

إذا استعرض أحد الأوضاع العالمية، وجد أن المسلمين أسوأ حالاً، وأكثر تعرُّضاً للاعتداء والهجوم، ويقاس ذلك بنسبة المسلمين الأعلى في النازحين، وكذلك المسلمون أكثر تعرُّضاً لخرق حقوق الإنسان، ويواجهون الكبت والحرمان من حرية التعبير، والعقيدة، وممارسة شعائرهم الدينية والمظاهر الثقافية، والحقوق السياسية، وإدارة نظم التعليم والتربية حسب تصوُّرهم، فهم في سائر هذه الميادين محرومون من حقوقهم الأساسية، وتفرض عليهم أفكار وتصوّرات وطرق ومناهج للحياة لا تتطابق مع ذوقهم وطبيعة حياتهم، ويتعرض المسلمون حيناً لآخر للاعتداءات المسلحة، ويتكبدون بخسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات؛ ليس في منطقة واحدة، بل في سائر أنحاء العالم حتى في أوربا وأمريكا.

لقد قضى العالم الإسلامي حوالي قرن كامل تحت حكم الدول الأوربية بما فيها الدول الرأسمالية في أوربا الغربية، والاشتراكية في أوربا الشرقية، وفرض عليهم المستعمرون أفكاراً ونظريات، بالوسائل السياسية، ونظم التعليم والتربية، والإعلام، فحدث بذلك في المسلمين انقسام فكري ونظري.

بتأثير قضاء فترة طويلة في الحكم الأجنبي، ثم في عهد حكم الموالين للحكام السابقين يعيش العالم الإسلامي كله اليوم في وضع

---

[١] المجلد: ٦٢، العدد: ٦، نوفمبر ٢٠١٦م.

مأساوي، يجري فيه صراع مسلّح بين مختلف طبقات المسلمين أنفسهم، تقع نتيجة لذلك خسائر فادحة في الأرواح، سواء كان ذلك في العراق الذي شتّت شمله الغزو الأمريكي، ويجري فيه صراع بين السنة والشيعة والأكراد، وتنقل الصحف كل يوم أخبار الخسائر التي تقع بالهجوم المسلح، سواء كان الهجوم مباشراً أم كان عن طريق التفجيرات، ولا تستثنى من هذه الاعتداءات المساجد والمقابر، وحفلات الزواج والعرس، وعمليات التدفين، حتى القيادات السياسية في ذلك البلد موزعة، يجري بينها صراع دموي، ولا توجد قيادة سياسية موحدة، وإذا كانت القيادة السياسية موزعة، والأمن الداخلي مفقوداً، فكيف يمكن أن تعود الحياة إلى الوضع الطبيعي، ويجري في البلد عمل بناء الوطن؟.

لقد كان العراق في التاريخ الطويل قبلة العالم، وكان يعد قوة كبرى، يؤم إلى بغداد والكوفة والبصرة رُوَّادُ العلم، وكانت هذه المدن مراكز الإشعاع الفكري والحضاري؛ ولكن القيادات السياسية التي تولت الحكم في هذا البلد منذ نصف قرن بعد انحسار الاستعمار قضت فترة حكمها في أعمال تصفية أصحاب العقول والولاء للوطن، والوفاء للإسلام والوطن الإسلامي، ولجأت إلى أيديولوجيات وفلسفات مستوردة من الذين استعمروا العالم الإسلامي، وقضوا على هويّته، ومحوا معالم تاريخه، وجفّفوا منابع قوته، من أجل الولاء للعناصر التي تتربص بالعالم الإسلامي الدوائر، وخاصة مراكز القوة في العالم الإسلامي التي كان لها دور مجيد في التاريخ؛ دور التصدي للغزو الأجنبي، وللفلسفات الأجنبية من عهد العباسيين في القرن الثالث، وواجه علماؤها الغزو

الفكري من الفرس إلى اليونان والروم والهند، وأخذوا ما طاب منها، ونبذوا ما لم يطب، وأسسوا قاعدة للحضارة الإسلامية العالمية التي حملت أطايب الحضارات العالمية.

وبالإضافة إلى الاستعانة والاعتماد على هؤلاء المتربصين الذين كانوا يضمرون الحقد، ويحملون روح الانتقام، قبلوا الأفكار والنظريات والأيديولوجيات التي فرّقت كلمة المسلمين، ووزّعتهم على مخيمات ومعسكرات متصارعة بالإضافة إلى تصورات الوطنية والقومية التي وزّعت العالم الإسلامي الموحد في ظِلّ الخلافة، إلى أوطان صغيرة، وكيانات مصغرة متحاربة، ثم غرس هؤلاء المتربصون والأعداء للوحدة الإسلامية اتجاهات وميولاً وعصبيات إقليمية بين هذه الكيانات المصغرة.

كان المسلمون في العالم كله أمة إسلامية واحدة بفضل الآية الكريمة "إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" [الأنبياء: ٩٢]، وكانت الحدود والجغرافية للانتظام بموجب آية "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجرات: ١٣].

وكان من تأثير هذه الوحدة أن حادثاً وقع في الهند كان له أثر في العاصمة الإسلامية في جزيرة العرب، وكان للجريمة التي وقعت في أوربا ضد المسلمين صدىً في عاصمة الدولة العباسية في بغداد، ويذكر التاريخ الإسلامي هذين الحادثين فكان فتح الهند للإسلام وفتح عمورية رمزاً لهذه الوحدة.

ومن أمثلة هذه الوحدة حركة الخلافة في الهند عندما تعرضت

تركيا للمؤامرة الغربية، وصمد مصطفى كمال باشا في وجه الغزو اليوناني وأنقذ تركيا عسكرياً، وأكسبه عملُه هذا لقب "الغازي" ولا يزال يعرف في الهند بهذا اللقب، رغم وقوعه في آخر المطاف في فتح الغرب الذي انتقم بالقضاء على الخلافة بإجبار مصطفى كمال على قبول شروطه للصلح.

كانت هذه الوحدة في الشعور، وفي الولاء، وفي الانتماء إلى الإسلام سمة للمسلمين في الماضي، بغض النظر عن الحدود الجغرافية، كان شعارهم "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ" [آل عمران: ١٩]، "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" [آل عمران: ٨٥]، ولكن الولاءات لعقائد وأفكار ونظريات مستوردة كسرت هذه العروة الوثقى التي كانت تربط العالم الإسلامي كله.

عندما كسرت هذه العروة الوثقى أو الحبل المتين الذي كان يوحّد العالم الإسلامي كله شعورياً وفكرياً وعقلياً وعملياً كان المسلمون قوة عالمية بفضلها، وتفرّقت كلمة المسلمين بغلبة النزعات الوطنية والإقليمية والفلسفات الفكرية بإعلان بعض القادة في العالم: مصر للمصريين، والشام للشاميين، ثم وزعت الفلسفات والانتماءات إلى أفكار متصارعة، البلد الواحد على بلدان مختلفة، فلم تبق مصر بلداً واحداً، ولا الشام بلداً واحداً، بل توزعت مصر إلى معسكرات وتكتلات، وكذلك الشام والعراق، وتوزّع كل بلد من هذه البلدان التي رفع قادتها شعار القومية، إلى قوميات ووحدات متفرقة، وكان هذا التفرّق سبب الشقاء والصراع الذي يجري اليوم في العالم الإسلامي، سواء كان ذلك في آسيا أو إفريقيا،

ولا يصعب على من يستعرض الظروف في إفريقيا أن يشاهد آثار هذا التفرّق، ونتائج هذا التفرّق، وكانت النتيجة الرئيسية لهذا التفرّق غلبة الهوان، وذهاب هيبة المسلمين من النفوس. "وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" [الأنفال: ٤٦]، "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [آل عمران: ١٠٣ -١٠٥].

لقد خرجت هيبة المسلمين من القلوب في العالم كله، وتشجع غير المسلمين عليهم في كل مكان، ويتجرّأ واحد منهم فيحاول حرق القرآن، والإساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وصل الوضع إلى حد إهمال العالم كله معاناة المسلمين وشقاءهم، وعدم اهتمامه بمأساتهم، ولا تحرّكه مواكب الشهداء وجثث القتلى وإن بلغت المئات والألوف، ولا تثار قضاياهم في محافل الحقوق الإنسانية وأجهزة الأمن العالمي.

إن هذا الوضع المأساوي الذي يعيشه المسلمون، نتيجة مباشرة لتفرُّق كلمتهم، وتوزُّعهم على معسكرات، وانتماءاتهم إلى أفكار ونظريات متصارعة، والبحث عن حلول القضايا في منابر من يتربّص بهم الدوائر، ويكيد لهم مكايد.

ولا عزة ولا قوة للمسلمين، سواء كانوا عرباً أو عجماً، إلا

بالإسلام، وبالاعتصام بحبل الله المتين، وقد أشار إلى ذلك العلامة أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يخاطب الأمة العربية في حفلة التكريم في دبي عام ١٩٩٩م فقال:

"إن الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد العربي صلى الله عليه وسلم، منبع حياتكم، ومن أفقه طلع صبحكم الصادق، وأن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو مصدر شرفكم، وسبب ذكركم، وكل خير جاءكم ـ بل وكل خير جاء العالم ـ فإنما هو عن طريقه، وعلى يديه، أبى الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه، وتمسُّككم بأذياله، والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه، ولارادّ لقضاء الله، ولا تبديل لكلمات الله، إن العالم العربي بحر بلا ماء، كبحر العروض حتى يتخذ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم إماماً وقائداً لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام، كما نهض في العهد الأول، ويخلص العالم المظلوم من براثن مجانين أوربا الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنية، ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير، بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم، ويوجّه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب، إلى التقدم والانتظام والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان، إلى الطاعة والإيمان، وإنه حق على العالم العربي سوف يسأل عنه عند ربه، فلينظر بماذا يجيب؟.

الإسلام نظام كامل متكامل للحياة[1]

إن الإسلام نظام متكامل للحياة، يشمل جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، والروحية والمادية، بدون تفريق وتمييز بينها، ولا يقوم كيان الحياة الإسلامية ولا يتحقق له النصر والغلبة إلا إذا وُجِد ارتباط وتركيب متناسب بين سائر هذه العناصر التي يتكوَّن منها الصرح الإسلامي، وإن مثله مثل البنيان الذي لا يقوم بمجرد مواد البناء والتشييد -مهما كانت متينة ونافعة ووافرة- إذا لم تُرَكَّب هذه المواد المتفرقة بتنسيق متوازن، وبتخطيط بنائي، لا يثبت هذا البناء في مكانه، ولا يؤدي وظيفته المنشودة إذاحدث خلل في التركيب، أو أصيب جزء منه بوهن أو استرخاء، ولذلك وصف الحديث النبوي الشريف المسلم وحياته بالبنيان الذي يشدُّ بعضه بعضاً، وبالجسد الواحد.

ليست مشكلة المسلمين اليوم أن الإسلام غير مُمَثَّل في حياتهم، ولا توجد نماذج للتعاليم الإسلامية، وإنما المشكلة هي أن هناك نماذج، وهناك جهوداً لتمثيل جوانب مختلفة من التعاليم الإسلامية، لكنها متفرقة، وإذا وجدت فهي غير متناسبة، فيوجد الدعاة إلى عقيدة صافية، ومتمسكون بها، وتوجد عناية بالعبادات والأخلاق، وعناية بالدعوة إلى الإسلام، وتوجد أفراد وجماعات تقوم بالتضحية والفداء في سبيل الإسلام، وكل جانب من جوانب

---

[1] المجلد: ٦٤، العدد: ٨، ديسمبر ٢٠١٨م.

الحياة الإسلامية ممثَّل في الحياة المعاصرة، ولكن هذه الجهود مفرقة وملتزمة بجوانبها الخاصة التزاماً يمنعها من العناية بجوانب أخرى للعمل، وقد يقتنع فريق بعمله، والتزامه بجانبه بطريق لا يجد وقتاً ولا داعياً إلى التعرُّف على النشاط الإسلامي في الجانب الآخر، والإسهام فيه، فإذا كان هذا الفريق مثلاً مهتَّماً بالتعليم، فلا يهمه أن وقعت ردة في منطقة مجاورة له، أو في أي جزء من أقطار العالم، وإن كان مهتًمًا بالدعوة فلا يهمه إذا انتشر الجهل والفقر في المسلمين فيصبحون عالة على غيرهم، وإذا كان مشغولاً بخدمة الناس، والعناية بأعمال الإغاثة، وحل مشاكل اجتماعية واقتصادية فلا تلتفت عنايته إلى جانب إصلاح النفس وتوثيق الصلة مع الله، والتخلق بالأخلاق الإسلامية، وبأعمال الدعوة، وبالجهاد وردّ الظلم في غير مجتمعه الذي يعيش فيه، فتبقى كثير من المسائل والمشاكل والأمراض الاجتماعية والانفرادية غير معالجة، لأنه ليس هناك من يهتم بها.

وإن هناك نظماً للتعليم والتربية لا تتطابق مع تعاليم الإسلام، وإن هذه النظم للتربية والتعليم مقتبسة من نظم التعليم الغربي الذي يعتني بالجوانب المادية فقط، ولا تتمسك بالقيم الخلقية فيوجد بذلك في الحياة تناقض.

وتأتي في هذا السياق الحركات التي تسمى بالحركات الإسلامية، فإن الوسائل التي تختارها هذه الحركلت لا تأتي في ضمن التعاليم الإسلامية لتحقيق الأهداف بأي وسيلة من الوسائل، فإن الإسلام يؤكد على سلامة الوسائل، ويفرض عليها قيوداً، فإذا كانت الوسائل غير مطابقة للإسلام فإنها لا تحقق

الأهداف المنشودة، وينطبق ذلك على كثير من الحركات الإسلامية المزعومة المعاصرة، وفشلُها في تحقيق أهدافها يرجع إلى حد كبير إلى عدم رعاية التعاليم الإسلامية.

إنها لا شكّ جهود صالحة لها ثمارها ونتائجها، يشكر عليها القائمون عليها، ويؤجرون، لكن رفع الأمة الإسلامية ككلّ لا يتمّ إلا بجهود موحدة، تشارك فيها سائر الطاقات والقوى العاملة بتناسُق وانسجام بين جوانب العمل، وتكافُل القوى، وتمثيل سائر الجوانب، ولو بأقدار معينة في الحياة بحيث تقترن العبادة بالأخلاق، وخدمة الإنسان، والدعوة والجهاد، وتجد سائر شعب الإسلام تمثيلها المتناسب المتناسق في حياة المسلمين، وخاصة في حياة العاملين، ويقف المسلمون صفاً واحداً في قيادة موحدة خالصة لعزة الإسلام والمسلمين، واعية بالأخطار والتحديات، بصيرة بطرق المعالجة في تحقيق هذا الهدف، فالمسألة الأساسية الجوهرية هي مطابقة الحياة الإسلامية مع تعاليم الإسلام الكاملة، وفي سائر الجهات من الشعور، والعاطفة إلى العمل والمظاهرة، والتناسق بين هذه الجوانب.

كان العمل الإسلامي في الماضي رغم عدم توفر الوسائل للإعلام أكثر انتشاراً، وأكثر صلاحية لكسب القلوب، لأنه كان يقوم على الصلاح الذاتي للمسلمين الذين كانت حياتهم تعكس التعاليم التي كانوا يتظاهرون بها في حياتهم، وإن كانوا تجاراً، أو كانوا يشتغلون بالأمور التي تعتبر دنيوية، وكان الصلاح الذاتي مقترناً بالإصلاح الاجتماعي، لأن صلاح الفرد لا يضمن له بالبقاء إلا إذا صلح المجتمع الذي يعيش فيه، فإن المجتمع بمثابة حمى،

يحمل قوة رادعة، وقد أهمل في الحياة الاجتماعية اليوم جانب الصلاح الفردي، ولذلك فقدت الدعوة تأثيرها رغم تدعيمها بالوسائل، كان فرد واحد في السابق يحدث انقلاباً لأن نفوذه كان يمتد، ويتوسع بمدى ارتفاع مستواه في الصلاح الذاتي، وتمسُّكه بالقيم التي يدعو إليها، وبأخلاقه وشمائله، وبتحرق قلبه لإصلاح الناس، واستئصال جذور الفساد من حياتهم، وكان عمله يطابق مصلحة الدعوة ومصلحة الأمة، وكان يعيّن مهمته ومنهج عمله حسب حاجة الأمة، لا حسب ذوقه واختصاصه، فلم تكن الدعوة مهنة، وإنما كانت هواية ووسيلة للتقرُّب إلى الله، وكان الجلوس في مجلس فرد من هؤلاء الأفراد، أو الاتصال به لفترة قصيرة من الزمن عامل تغيُّرٍ في الحياة، وفي التاريخ أمثلة لحدوث تغيُّر جوهري في الحياة باتصال عابر بفرد صالح له قلب مستنير تجسدت فيه دعوته، فقد تكون طبيعة بعض النفوس رقيقة نفاذة، يشف منه الصلاح، وتنجذب إليه القلوب، وتقبل عليها النفوس، وتحمل نظراتها جاذبية تثير القلوب وتحملها على الاحتساب، وتحدث في النفوس ثورة ذاتية.

ومثل هذا التأثير يلاحظ أكثر في حياة الدعاة الذين يحرصون على اتباع السنة، ويحكمون الشريعة في حياتهم، وقد غيّر بعض الصالحين الدعاة بتأثيرهم على النفوس مجتمعَهم عن طريق جلسائهم ومجالسهم، وأحدثوا الحس الديني في قلوبهم، وهو استحسان الحسن، واستقباح القبيح، والانفعال برؤية المنكر، والاستبشار برؤية الحسنات، وقد أنجب التاريخ الإسلامي أعلاماً تتصف حياتهم بالوحدوية والشمول، وإعداد الجيل الجديد المحافظ

المرابط، الأعلام الذين بدأوا حياتهم بالصلاح الذاتي وبتزكية النفس، ثم الدعوة إليها، ثم التربية، والالتزام بالسنة والشريعة، ثم عكفوا على الإصلاح الاجتماعي، واختاروا مناهج للإصلاح وتغيير المجتمع، ومعالجة المشاكل والفتن في عصرهم.

إن هذا الشمول والجامعية هي أبرز ملامح السيرة النبوية والمتبعين لها، والمتصفون بهذه الميزة يستحقون أن يكونوا قدوة للدعاة في الظروف الحاضرة، ويستحق منهج حياتهم أن يكون موضع دراسة لدى القائمين بأعمال الدعوة في الوقت الحاضر حيث التقط الدعاة العاملون للإسلام أجزاء متفرقة، وركزوا جهدهم على جوانب معينة، وأغفلوا جوانب.

لقد ربط الإسلام كل عمل بالنية، وثم ربط كل عمل بعمل آخر، ويدل على هذا الترابط ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن خطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كلا، إني رأيته في النار في بردة غلها" (رواه مسلم رقم: ١٨٢) وفي حديث عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله، أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله أ رأيت إن قتلت في سبيل الله أ تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف قلت؟" قال: أ رأيت إن قتلت في سبيل الله أ تكفر عني

خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، إلا الدين" فإن جبرائيل عليه السلام قال لي ذلك، (رواه مسلم رقم ١٨٨٥)، وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، ابتغي الأجر من الله، قال: "فهل من والديك أحد حي؟" قال: نعم، بل كلاهما، قال: "فتبغي الأجر من الله؟"قال: نعم، قال: "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما".(رواه مسلم رقم:٦٥٠٧).

إن الذين يتولون تربية الشباب أو لهم دور في مجال التربية والتعليم، أو إسهام في مجال خاص من مجالات العمل الإسلامي، يجب عليهم أن يراعوا تفاوت الأحكام بتفاوُت الظروف الشخصية الاجتماعية، والتناسب في اتباع الأحكام الدينية، والتوجُّه إلى مجالات العمل ليتحقق توازن بين القوى، واعتدال في الفكر والعمل، وأن يكونوا أنفسهم قدوة وأسوة في الاتباع الكامل لتعاليم الإسلام، لا يحتاج ذلك إلى إخراج مسيرة، أو احتجاج،أو تشكيل منظمة،أوحركة.

لقد فشلت كثير من الحركات الإسلامية في تحقيق أهدافها المنشودة، الأمر الذي يحدث سؤالاً في النفوس لماذا لا تكسب هذه المجهودات التي تبذل في سبيل الإسلام النصر؟ وتحدث في النفوس الظنون، فإن هذه الشكوك تزول إذا قام أحد بدراسة عميقة ومقارنة بين الأهداف والوسائل التي تختارها هذه الحركات.

مسئولية الدعاة والمصلحين
لإصلاح الأوضاع الفاسدة والاتجاهات الهدامة[1]

أولُ ما يخسر الإنسان بغلبة النزعة المادية، هي الغيرة والوقوف عند الحدود، فإذا كسب المال وخسر شرفه وانتهك الحدود، اعتبر نفسه رابحاً، لأن المال عنده يغسل كل عار، وقد خسر الإنسان اليوم بجرَّاء هذه العقلية المادية صلاحية الشعور بشرف النفس، والغيرة، ورعاية الحقوق، وأصبح من طبيعته أن يقيس الربح والخسارة والشرف والكرامة بالوسائل المادية والاقتصادية ولو على حساب القيم والأخلاق والدين.

تطورت هذه العقلية في العالم المادي الذي يستعد فيه المتحضر لأن يضحى بكل شيء من أجل رفع مستوى معيشته ليسعد لحظات، وإن شقي في سبيل هذه اللحظات ساعات وأياماً، فيجري فيه سباقٌ إلى كسب وسائل المباهاة والتفاخر والتنعُّم، والحصول على اللذة، والشعور بالحرمان، لأن الإنسان ينظر إلى من هو أعلى منه، وأكثر مالاً ومنصباً، ولا ينظر إلى وسائل أوصلته إلى هذه المنزلة الغالية، ولا إلى خلقه وسلوكه في الحياة، ورفع هذا الاتجاهُ نسبة الجرائم الخلقية، وانتهاك حقوق، وهضم حقوق، وبتضاعُف هذا السباق يتضاعف الشقاء والقلق النفسي، وقد زاد توفُّر المال من شراسة صاحب المال، وحرصه على كسب المزيد منه، وتوفُّر العلم

---

[1] المجلد: ٦٤، العدد: ١٠، فبراير ٢٠١٩م.

من التفنُّن في الاستغلال، والجدل، والدجل، والمكر، والخديعة، واكتشاف وسائل جديدة لارتكاب الجرائم والتنصُّل من المسئولية، وخداع النفوس.

وتساعد في ذلك وسائل الإغراء والتخويف وتشكيل الذهن وتعبئة الآراء، ومنها وسائل الإعلام حتى محاكم العدل أيضاً تخضع لنفوذ الحكام في إصدار أحكامهم سواء كانت مطابقة لنظام العدل أم كانت خاضعة للأغراض المادية، فيصبح الظالم مظلوماً والمظلوم ظالماً، والاغتصاب أخذاً للحق والاعتداء صلاحاً، وعمّت موجة كسب المال حتى في البيئة التي تعاني من التضخُّم المالي، فعمّت الرشاوى والغش والغل والخيانة في الأوساط الراقية، وضاقت الأرض بما رحبت على من لا تقبل طبيعته، أو يحب أن يقف عند حدوده، ويأبي أن ينهج هذا المنهج المادي للحياة ورفع المعيشة، أو لا تسمح له حالتُه الاقتصادية ومكانته في مجتمعه بأن يسير ذلك المسار، فيواجه صعوبات في كل مرحلة من مراحل الحياة في نيل حقوقه، وفي أن يعيش حياة كرامة.

وأما الحكام والقادة فهدفُهم الوحيد أن يستمروا في مكانتهم القيادية مهما كلف ذلك من ثمن، ومهما أدى ذلك إلى سفك دماء، هدفُهم الوحيد البقاء في الحكم وتحقيق أهدافهم، وذلك ما أشار إليه الفيلسوف الإيطالي ميكافيلي(١٤٦٩ -١٥٢٧م) الذي قال إن الغاية تبرر الوسيلة، وأكد على اتخاذ كل ما يمكن من وسائل لخدمة المصالح السياسية، ومن ذلك سفك الدماء، والتدمير، ونقض المعاهدات، ونالت هذه الفكرة القبول في الدوائر السياسية، وبذلك انفصلت السياسة عن الدين والمثل.

هذا هو الواقع في الحياة السياسية، وأساس الأزمات في معظم أنحاء العالم، ومنها العالم الإسلامي الذي تسلط عليه القادة الذين نشأوا في مدارس الفكر الغربي المادي، وتشير الأحداث الأخيرة التي وقعت في عدد من البلدان الإسلامية إلى غلبة الفكر المادي الجامح.

لا يستغرب إذا وجد هذا الاتجاه وساد وعمَّ في مجتمع الحضارة الغربية التي مادتها المادة وروحها الثورة على القيم، ولا فرق فيها بين المنكر والمعروف، بل يقول قادتها إن المنكر والمعروف يتغيران بتغيُّر الزمن، والبيئة، ورغبة الناس، فلا ثوابت فيها ولا قيم ثابتة، بل أساسها الثورة على الثوابت، والإقبال على الجديد، ولكن يستغرب أن تعمَّ هذه الطبيعة للعمل والحياة في العالم الإسلامي.

إن متابعة الحياة المدنية في العالم الإسلامي تدل على أنه هو الآخر يتبع ذلك الركب الذي يسير في العالم الغربي المادي، ويرجع ذلك أساسياً إلى نظام التعليم والتربية والثقافة ومنهج حياة أصحاب السيادة والسلطة الذين نشأوا في البيئة الغربية فيقتبسون من الحياة في الدول المتحضرة مادياً التي تجردت عن القيم والمثل العليا، وتعادي كل مجهود لنشر الفضيلة والخير والصلاح، وتنشر هذه النزعات المادية وسائلُ الإعلام التي تغزو كل بيت، وكل فرد، فتشيع هذه النزعة المادية الاستغلالية، ولذلك لا تقل نسبة الحوادث والظلم الاجتماعي والغفلة في العمل فيه عن غيره من دول العالم، وهو وصمة عار على جبينه، فقد أكرمه الله بالتعاليم الإسلامية السمحة، ويزخر تاريخه بنماذج رائعة للحياة الإنسانية النبيلة والأخلاق والمعاملات ونماذج الإيثار والتفاني والمؤاساة، وقد كان في خير موقف بتراثه وخيراته ليقف سداً منيعاً ويكون أسوة لغيره،

بل ليكون مأوى للبؤساء ويقدم مثالاً ونموذجاً للحياة الإنسانية، نموذجاً لمجتمع نزيه من جميع هذه العاهات، يسوده الشعور بالمسئولية ورعاية الحقوق، تكون كرامة الإنسان مصونة فيه لأنه إنسان، ولكن السباق إلى الاقتداء بالحضارة المعاصرة ومرافقها وشيوع وسائل التسلية المخزية سلب العالم الإسلامي هذه الفرصة الغالية، فبدأت تهدد المجتمعَ الإسلاميَّ جميعُ تلك الأمراض الخلقية والعلل السياسية والاجتماعية التي توجد في المجتمع المادي، وتبرز مشاكل مماثلة لمشاكل المجتمع غير الإسلامي.

كل من يستعرض الأوضاع والأحوال في العالم الإسلامي لا يجد فارقاً كبيراً بين الغرب وبين البلدان الأخرى في الأخلاق والمعاملات والسلوك ومواقف القائمين بالحكم والمسئولين عن الإدارة والعدل والأمن الجماعي والمعيشة، وإنما يجد تياراً واحداً يكتسح في الشرق والغرب، فلو قدم المسئولون في العالم الإسلامي نماذج مختلفة للأخلاق الإسلامية والمعاملات الخلقية لكانوا بمثابة أعلام ومرشدين للإنسانية البائسة، ولا ينقص الأمة الإسلامية أفذاذ يحملون هذا الشعور، ولكن تنقصهم تربية دينية وتوعية لائقة، أو تمنعهم قوانين كبت الحريات ورفع صوت الحق، فهم يفتقرون إلى سند ورعاية وحماية.

إن عمل بناء الحياة على أسس أخلاقية وقيم دينية لا يتصادم مع أي مصلحة ولا يحدث عراكاً وصداماً مع الحكم وأجهزته، وإنما يحتاج إلى بث وعي وشعور بالمسئولية في المثقفين والشباب، والطلبة، وهو عمل إيجابي بنّاء يمكن أن يكون ذلك جزءاً مهماً من نشاطات الحركات الإسلامية، وهو خدمة دينية وخدمة قومية،

وهو أهم من السعي للوصول إلى الحكم، أو الإسهام في الحياة السياسية، والنضال السياسي، وقد أشار إليه القرآن الكريم ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة : ١٢٢] وقد كان الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذي جاهد في سبيل الله، وأنشأ دولة إسلامية، بذل جهوده لإصلاح المجتمع، وتربيته على الخطط الإسلامية، وكان يرسل الدعاة والمصلحين لتربية المجتمع، رغم شغفه بالجهاد، وبذلك انتشر دعاته في مختلف أنحاء الهند، وانتشرت المدارس الدينية، وصلحت حياة الملايين من الناس، وأسلم على يدي أصحابه ملايين من غير المسلمين، وتابوا، وصلحت حياتهم، وعمّ في المجتمع اتباع السنة، وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة، والخلق الإسلامي.

إن بناء المجتمع على أسس إسلامية أهم وأثمن من أي عمل للنهوض بالأمة الإسلامية، فإنه أساس لأي مجهود، ومنطلق له، وبدون إصلاح المجتمع على الأسس الإسلامية لا يثمر أي جهود ولا تأتي التضحيات مهما تضخمت بنتائج مرتقبة.

إنه يتطلب حركة لمكافحة هذه الأمراض الاجتماعية وهي في الواقع ضد روح الإسلام وتعاليم الدين، وقد وردت أحاديث صريحة في كثير من هذه الأمراض الاجتماعية والطبيعية، وورد التوبيخ والتحذير بلهجة عنيفة لا تقل في الأهمية من التأكيد على العبادة، فلتتجه أنظار العلماء والمصلحين إلى هذا الجانب، وليكن المجتمع الإسلامي مختلفاً تماماً عن المجتمع غير الإسلامي في الحياة الفردية والاجتماعية.

ولا يحتاج ذلك الإصلاح إلى تدخل حكومة، وإنما يحتاج إلى تغيّر في موقف العلماء والمصلحين والشعور بخطورته، وإلى اختيار طريقة ناصحة غير سلبية كما أشار إليها المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي -رحمه الله- في كتابه "دعاة لا قضاة" فليكن الدعاة دعاة ناصحين غير مخاصمين، كما يجب على الحكام أن يراعوا في إصلاحاتهم تعاليم الإسلام في الاستفادة من أي جهة في القضايا المادية، لأن رعاية تعاليم الإسلام الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي يلزم لبقاء الشخصية الإسلامية لهذه الدول، فلا يجوز إحلال الحرام وتحريم الحلال، ومثال ذلك ما ذكرته وكالات الأنباء عن البرلمان الباكستاني أن أحد أعضاء البرلمان قدم مشروع قرار لفرض الحظر على الخمر، فرفض هذا المشروع بدعوى أن تحريم الخمر لم يرد في القرآن، وقد ورد تصريح واضح في هذا الصدد: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (المائدة: ٩٠) فيجب التوازن بين الاستفادة الفكرية والعلمية من الآخرين، والسلوك الإسلامي والخلق الإسلامي.

فهرس الكتاب

مقدمة الكتاب ٢
تقديم الكتاب ٦
من التناقضات الغربية
هل هناك تحول في الموقف إلى الإرهاب؟ ١٥
أحداث العالم الإسلامي وموقف الدول الغربية المتناقض ٢١
هل للديمقراطية مكيالان؟! ٢٩
مكيالان لمعالجة الأمور سبب الاضطراب في العالم ٣٤
موقفان متناقضان لحرية الرأي ٤٠
ما هي المقاييس السياسية للرفض والقبول؟! ٤٥
معايير مختلفة للعنف والأمن ٥١
بين موقف وموقف ٥٧
الجهالة أو الغباوة؟! ٦٢
مسئولية منظمة الأمم المتحدة لحل مشاكل الإنسانية ٦٩
مسئولية الأمم المتحدة في تسوية النزاعات......... ٧٦
من الحجاب إلى الصلاة ٨٣
حادثة باريس وانعكاساتها على مجهودات......... ٨٨
إلى أين يتجه الغرب؟
بين الشعوبية القديمة والشعوبية الجديدة ٩٥
استغلال العصبيات الدينية لكسب الفوز......... ١٠١
هل يعود العالم إلى عهد الحرب الباردة؟ ١٠٦
هل تتحول أمريكا دولة استعمارية؟! ١١١
تغير منابع القوة العالمية ١١٦
جريمة جديدة بعد جرائم عديدة ضد الإنسانية ١٢٢
الضمير الإنساني لا يزال حيًا ١٢٦
من يصلح ما أفسدته القيادات العالمية السابقة؟ ١٣١
وسائل الإعلام بين البناء والهدم
الإعلام بين البناء والهدم ١٣٩
الاستهانة بقيمة الكلمة المقروءة والمسموعة مصدر البلاء ١٤٥
العالم الإسلامي وغزو العلم والإعلام ١٤٩

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ١٥٧
وظيفة الإعلام التوجيه، لا التشويش والاضطراب ١٦٢
الإعلام الغربي وانحرافه عن دوره المطلوب ١٧١
مشاكل المسلمين أسبابها وخلفياتها
خطة عالمية لتقسيم المسلمين ١٨٣
المصادر الرئيسية للصراع في العالم الإسلامي ١٨٨
العداء للإسلام سبب الصراع في العالم الإسلامي ١٩٢
العالم العربي في خطر الصراع العالمي ١٩٩
الأطماع الاستعمارية مصدر الاضطراب السياسي........ ٢٠٦
نظامُ التعليم والتربية المستوردُ ٢١١
العالم الإسلامي عالم الأزمات ٢١٨
أسباب خلفيات الأزمات في العالم الإسلامي ٢٢٤
تأثير الحركات السياسية على الحركات الإسلامية ٢٢٩
حالة المجابهة في العالم الإسلامي ٢٣٤
العالم الإسلامي من الاعتصام إلى الانفصام ٢٤١
الثورة تتمخض عن الثورة ٢٤٦
إلى حل قضايا المسلمين ومشاكلهم
قضايا المسلمين في العالم ومسئولية الدول الإسلامية ٢٥١
مرحلة اختبار للقيادات الإسلامية........ ٢٥٧
المسلمون أمة عالمية تملك وسائل العطاء والإرشاد ٢٦٣
من المجابهة إلى الدعوة والبلاغ ٢٦٩
التحرر من التبعية الأجنبية ودعم العنصر الوطني........ ٢٧٥
كيف يمكن التضافر بين الأضداد؟ ٢٨١
إلى منهج جديد لعرض الإسلام وترشيد العمل الإسلامي ٢٨٦
القيادة الإسلامية أمام تحديات جديدة ٢٩٠
فرصة للاحتساب وفهم الظروف ٢٩٩
الحضور الإسلامي المؤثر في الإعلام........ ٣٠٥
قبل أن يفلت الزمام ٣١٢
الوحدة الإسلامية هي الحل الوحيد للأزمات المعاصرة ٣١٧
الإسلام نظام كامل متكامل للحياة ٣٢٣
مسئولية الدعاة والمصلحين........ ٣٢٩
فهرس الكتاب ٣٣٥